THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

المستطرف

في

كل فن مستظرف

(تأليف)

الامام الاوحد العالم العلامة اللوذعي الفهامة الشيخ شهاب الدين أحمد الابشهي تغمده الله بالرحمة والرضوان آمين

الجزء الاول

طبع بمطبعة

دار الكتب العربية الكبرى

على نفقة أصحابها

(مصطفى البابى الحلبى وأخويه بكرى وعيسى)

(بمصر)

893.783
AR811

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المتفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير الحي العليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وأمير صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير و ينجو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير ﴿أما بعد﴾ فقد رأيت جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم و بسطوا المجلدات في التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار وألفوا في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب محصورة فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف ﴿وسميته المستطرف في كل فن مستظرف﴾ واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الاخيار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية والحكايات الجديدة والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ما تشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون و ينشرح بمطالعته كل قلب محزون شعر

من

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

(وجعلته) يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بألفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا فى المعنى

فى كل باب منه درمؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر

فان نظم العقد الذى فيه جوهر * على غير تأليف فالدر فاخر

(وضمنته) كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لى مارمته من الوصول (وجعلت) أبوابه مقدمة وفصلتها فى مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى فى بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤل فى تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر مايراه من خلل وعيوب انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرست الكتاب والله سبحانه المهون للصعاب

(الباب الاول) فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثانى) فى العقل والذكاء والحق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) فى القرآن العظيم وفضله وحرمته وماأعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) فى الآداب والحكم وماأشبه ذلك (الباب السادس) فى الامثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وماجرى مجرى ذلك (الباب التاسع) فى ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الاجواد (الباب العاشر) فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وماأشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى عشر) فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب (الباب الثانى عشر) فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وماأشبه ذلك (الباب الثالث عشر) فى الصمت وصون اللسان والنهى عن الغيبة والسعى بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) فى الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وماأشبه ذلك (الباب السابع عشر) فى ذكر الحجاب والولاية ومافيها من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء فى القضاء وذكر القضاء

وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك (الباب العشرون) فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك (الباب الحادى والعشرون) فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء الحوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) فى محاسن الاخلاق ومساويها (الباب الرابع والعشرون) فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) فى الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين (الباب الحادى والثلاثون) فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) فى ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الاجواد وأحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) فى الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة الباس والتحريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى والاربعون) فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) فى الهجاء ومقدماته (الباب الرابع

والاربعون

والاربعون) فى الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما أشبه ذلك (الباب السابع والاربعون) فى ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء فى التخنم (الباب الثامن والاربعون) فى الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها (الباب الخمسون) فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادى والخمسون) فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثانى والخمسون) فى ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد (الباب الرابع والخمسون) فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) فى العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتوانى وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) فى شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) فى أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادى والستون) فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثانى والستون) فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات مرتبا على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) فى خلق الجان وصفاتهم (الباب الخامس والستون) فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول (الباب السادس والستون) فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الخلفاء (الباب السبعون) فى ذكر

القينات والاغانى (الباب الحادى والسبعون) فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق وما فى معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يمدح وما يذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) فى ذم الخمر وتحريمها والنهى عنها (الباب الخامس والسبعون) فى المزاح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) فى النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله تعالى (الباب التاسع والسبعون) فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعيادة وثوابها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله (الباب الثانى والثمانون) فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول (الباب الثالث والثمانون) فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها باهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم المعاد

﴿الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه﴾

وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ند له أزلى قائم أبدى دائم لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ وهو فوق كل شئ فوقية لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا تشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على ما دلت عليه الآيات والاخبار حى قادر جبار قادر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات يعلم السر

واخفى

وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لايجرى فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولاحقير خير أوشر نفع أوضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فماشاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه ولامهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولاقوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لواجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته لعجزوا وسميع بصير متكلم بكلام لايشبه كلام خلقه وكل ماسواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته ومامن حركة وسكون الا وله فى ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية وقال أبو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد * وفى كل شئ له آية
تدل على انه الواحد * ولله فى كل تحريكة * وتسكينة فى الورى شاهد

(وقال غيره) كل ماترتقى اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

(وقال) على رضى الله عنه فى بعض وصاياه لولده اعلم يابنى انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لايضاده فى ملكه أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل مايتصور فى الاذهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد بن ربيعة

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
وكل ابن أنثى لوتطاول عمره * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله الحصائل

(وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان أشعر كلمة قالتها العرب * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بان محمدا رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق

والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله تعالى عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ماوردت به الاخبار وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

﴿الفصل الثانى فى الصلاة وفضلها﴾ قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا فى اشتقاق اسم الصلاة ثم هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة فى كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فهى من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى أى ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار اذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لا تفوت أحدا صلاة فى جماعة الا بذنب * وكانت رابعة العدوية تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من أمتى هذا عملها فى اليوم والليلة * وقال بعضهم صليت خلف ذى النون المصرى فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال

الله

الله ثم بهت و بقى كانه جسد لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبى انخلع من هيبة تكبيره * وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتى واذا جن عليه الليل نام عنى أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه * وعبد الله بن المبارك رضى الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

وكان سيدى الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريرى رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدى أويس القرنى لا ينام ليله و يقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبى يطيل المكتوبة ويقول هى رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفؤها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر * وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل أثلاثا فاتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فاتت أمه فقام الليل كله * وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلى فى بيته يقول لاهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو فى الصلاة فما شعر به حتى أطفئ * وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير فى المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه فى الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط * وختم القرآن فى ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعى شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال * عند الصباح يحمد القوم السرى * فقال يا ابن أخى لك ولاصحابك لا للجمالين * وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه فى الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدى ربى أفلا أصبر على ذباب يقع علىّ وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب

بيض وهو قائم يصلى فى القمر كأنه يشبه الملائكة * وقال الحسن ما كان فى هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع فى مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه خفقان وغليان * هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلنى رفيقك فى الجنة فقال أعنى على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتنى صلاة الجماعة مرة فعزانى أبو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضى الله تعالى عنهم يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه (وأنشد بعضهم)

خسر الذى ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا وما با
ان كان يجحدها فحسبك أنه * أضحى بربك كافرا مرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعى ومالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأى عندى للامام عذابه * بجميع تاديب يراه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(ومما يستحسن الحافه بهذا الفصل) ذكر شئ من فضل السواك والاذان (أما السواك) فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال أيضا صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفه بن اليمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم الناس ما فى السواك لبات معه الرجل فى لحافه وقال أيضا أفواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها * والاختيار فى السواك أن يكون بعود الاراك ويجزى بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الايمن من فيه وينوى به الاتيان بالسنة

بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ويستاك فى ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح (وأما الاذان) فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخارى ومسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخارى والاحاديث فى فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها﴾ قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة فى مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الزكاة مالا قط الا أهلكته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يزكى ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعنى قوله تعالى رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (ولنلحق) بهذا الفصل ذكر شئ من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزى المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات الآية والآيات الكريمة فى ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذى فى جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفى صحيح مسلم وموطا مالك وجامع الترمذى عن أبى هريرة

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى (ودخلت) امرأة شلاء على عائشة رضى الله عنها فقالت كان أبي يحب الصدقة وأمي تبغضها لم تتصدق في عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت في المنام كان القيامة قد قامت وكأن أمي قد غطت عورتها بالخلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوق ألا من سقاها فشل الله يدها فانتبهت كما ترين (ووقف) سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يا رب ولدي فاتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل (وعشش) ورشان في شجرة في دار رجل فلما هممت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يا رسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فاخذها الرجل بامر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فاطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين (وقال) النخعي كانوا يرون ان الرجل الظلوم اذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبوطا حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خثيم انه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فاعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه

أنه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كساه الله كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه كان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شئ أعطاه خلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل (ووجه) رجل ابنه في تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما رابحا فسأله أبوه هل أصابك في سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت في جملة الناس واذا بشابين أخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت باكثر من ذلك وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكي على الذاهب من ماله * وانما يشقى الذي يذهب

(وحكي) ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فاعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تذكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك واني أرى في وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرني قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم في كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فحذ ذلك الرجل العاصي يده فاخذ رغيفا فبقي منهم رجل لم يأخذ شيأ فقال أين رغيفي فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت

طاو يالانني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فاوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فاوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج واتنهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعى اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل (وذكر) عن مكحول ان رجلا أتى الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائى وأنجع وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاة ولدك وسلامة مامعه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته ومامعه فنادى فى تلك الساعة منادٍ فى البحر ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت فى البحر عجبا يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الا ماسعى والله أعلم

﴿الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب﴾

(قال) الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قضاء الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص وهو صوم القلب

القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر روى فى صحيح النسائى عنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما فى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة سجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكائر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفى صحيح البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم غزير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت فى الصحيح من الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقد يكتفى فى فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

* الفصل الخامس فى الحج وفضله * قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع

اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا من بيته أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفى الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم فى الدنيا وفى الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من ياقوت الجنة وأنه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به و يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء فى الحديث الصحيح ان آدم عليه الصلاة والسلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة لحقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة و يستقبلوا الحجاج و يقبلوا بين أعينهم و يسألوهم الدعاء لهم و يبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق باستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين (ولما) بنى آدم عليه الصلاة والسلام البيت وقال يارب ان لكل عامل أجرا فما أجر عملى قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدنى قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يارب زدنى قال أغفر لكل من استغفرنى من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبى * وفى الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة (وأول) من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة و ينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه (ورؤى) الحسن ابن على رضى الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكى و يقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسكينك ببابك يردد

ذلك

ذلك مرارا ثم انصرف رضى الله عنه فربما كان معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا أنه صدقة لاكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلى فتوجهوا معه فاطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم (وحج) عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقتهم لله تعالى لعله يعتقنى من النار وقال الحسن بن على رضى الله عنهما انى لاستحيى من ربى أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة (ومن) لطيف ما أنشد عمرو بن حبان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيأ

كأن الحجيج الآن لم يقربوا منى * ولم يحملوا منها سوا كاولا نعلا
أتونا فما جادوا بعود أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

﴿وقال غيره﴾

يحجون بالمال الذى يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره * يحط ولكن فوقه فى جهنم

﴿وقال آخر﴾

حج فى الدهر حجة * حج فيها وأحرما * وأتانا من الحجا
زكما راح محرما * فهو ذو الحجة الذى * ماتوفى محرما

(وتخاصم) بدوى مع حاج عند منصرف الناس فقيل له أتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال أبو الشمقمق

اذا حججت بمال أصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
مايقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك﴾

قص الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ماخلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أعز على منك بك

آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضيء خلقه الله عز وجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة ﴿واعلم﴾ أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فاما الاول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء وأما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سوادلته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بلطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوي التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة وأدركته عناية أزلية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبي حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام في أمر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثي فاهلكته وأكلته ولم تبق لي فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذذاك على ما نقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكراله ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ماقاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ماهو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التي كان عليها اليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان

وكلا

وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام فاقول يستدل على عقل الرجل بامور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته فى اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة * وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابى فقال هذا كلام يقطر عسلا وقيل بايدى العقول تمسك أعنة النفوس وكل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج * واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبى حنيفة رحمه الله تعالى وذهب جماعة الى أنه فى القلب كما روى عن الشافعى رحمه الله تعالى واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة (قال الشاعر)

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(وقال آخر)

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الايام فى كرها عقلا

(وقال) عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل * ويقال لا شرف الاشرف العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلى رضى الله تعالى عنه صف لنا العاقل قال هو الذى يضع الشئ مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعنى الذى لا يضع الشئ مواضعه وقال المنصور لولده خذ عنى ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال أردشير أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى أنوشروان أربعة تؤدى الى أربعة العقل الى الرياسة والرأى الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حتفه من أغلب الخصال عليه وقيل أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد فى المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرحمهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغى للعاقل ان يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم أيما أجد فى الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بابى وأمى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الاعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا وحكى بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن على بن أبى طالب كرم

الله

الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات و يترنم بها

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس تعلم أني لا أصدقها * ولست أرشد الا حين أعصيها

(وقال) بعض الحكماء العاقل من عقله فى ارشاد ورأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله فى اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفى فى الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعى رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعى فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله * وقيل ان اياس بن معاوية القاضى كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التى صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان فى زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فانكره وجحده فجاء الى القاضى اياس وقص عليه القصة فقال له القاضى هل أخبرت بذلك أحدا غيرى قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الى قال لا قال انصرف وا كتم أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضى دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندى أموال كثيرة ورأيت ان أودعها عندك فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضى اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معى الى القاضى اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضى وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضى طامعا فى تسليم المال فسبه القاضى وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره (ولما) مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل

المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة والرأى غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأى عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال فى غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا فى هذا اليوم بما عوّلنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فاقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتالفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء

﴿وأما ذم الحق﴾ فقد قال ابن الاعرابى الحماقة ماخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأى فلا يشاور ولا يلتفت اليه فى أمر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن أفرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره فى العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والحجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها فى كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعيانى والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر ﴿وحكى﴾ أن أحمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك

حتى

حتى لاتترك منها شيأ قال و يحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل الزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين * وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رجل يتعبد فى صومعة فاطرت السماء وأعشبت الارض فرأى حماره يرعى فى ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حمارى هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فاوحى الله اليه لاتدع عليه فانى أجازى العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا مايوجب حجة الله عليه وخطب سهل هند ابنت عتبة فحمقته فقال

وما هو جى ياهند الاسجية * أجرلها ذيلى بحسن الخلائق

ولو شئت خادعت الفتى عن فلوصه * ولاطمت فى البطحاء من كل طارق

ويقال للأبله السليم القلب هو من بقر الجنة لاينطح ولايرح والاحمق المؤذى هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث فى القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم﴾ قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته ان أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فاتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لاشئ أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ماينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصغر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبى الذى يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب بن صعصعة على على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له يا أبا الاخطل من هذا الذى معك

قال ابنى وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه فى سنة وفى ذلك قال

وما صب رجلى فى حديد بجاشع * مع القيد الا حاجة لى أريدها

وقال أنس رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيى القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴿وحكى﴾ الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع فاذن فى أذنه فناداه الشيطان من جوفه دعنى أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة فى المصحف وكان أبو حنيفة والشعبى رحمهما الله تعالى يختمان فى رمضان ستين ختمة وقال على رضى الله تعالى عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبى اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر ابن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا وقال على كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لان أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزنى قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وكان عثمان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن على رضى الله عنه لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه ولعن أباه اذا نشر المصحف أغمى عليه ويقول هو كلام ربى وأبطأت عائشة رضى الله

عنها

عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ما حبسك قالت قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراآت فعلى قراءة من تامرني فقال على قراءة أبي عمرو * وعن أبي عمرو اني لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فاشد دبها يدك * وينبغي للانسان أن يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه الاذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا في الليل وأربعا في النهار وروي أن مجاهدا رحمه الله تعالى كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء * وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته أبي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الاخير أفضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القارئ الاخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وأن لا يقصد بها توصلا الى شئ سوى ذلك وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه انه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي للقارئ اذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور ويتيسر المرغوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكي لمن

لايقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما والاحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيى الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن أحاديث كثيرة * وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية له من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ ألم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قرأ فى ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم﴾

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الابرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام

الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة في طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد في طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال علي كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضي الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون في سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام في مناجاته الهي من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضي الله عنهم العلوم أربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فحتى يبرئ غيره (وسئل) الشعبي عن مسئلة فقال لا علم لي بها فقيل له لا تستحي فقال ولم أستحي مما لم تستح الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال علي كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدي * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(وقال بعضهم)

انى رأيت الناس في عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
* الا مباهاة لأصحابه * وعدة للغش والظلم *

نظر رجل الى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت

وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك أبي وأمي ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة في أحكامهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم هلاك أمتي في شيئين ترك العلم وجمع المال * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه في دينه وكررها عليه فقال يارسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لاينفعك معه كثير العمل وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد في الملكوت الاعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان مايفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لايضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لايضر بالعلم وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم باجود الاجواد قالوا بلى يارسول الله قال الله أجود الاجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدي رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل وقال الثوري كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم بها مصيبة والله أعلم وللقاضي العلامة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وقد أحسن كل الاحسان كأنما طرزت في خلع حسان شعر

ولم أقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرنه لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أعشق به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما
فان قلت زند العلم كاب فانما * كباحين لم نحرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب

بنور

بنور الحكمة كما يحيي الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا رأى طالبي العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة ان يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدي النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضي الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتي من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم شعر

العلم أنفس شئ أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فاول العلم اقبال وآخره

(قال) الشعبي دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألني عن اسمي فاخبرته ثم قال ياشعبي كيف علمك بكتاب الله قلت عني يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الى فيها المنتهى قال كيف علمك بانساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه قال لله أبوك وفرض لي أموالا وسوّدني على قومي فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم (قال البستي)

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري وقال الاوزاعي شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال علي رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض ولصالح اللخمي شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

(ودخل) عبد الله بن مسلم الهذلي على المهدي في القراء فاخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في

الرماة فاخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى المغنين فاخذ كذلك ثم دخل فى القصاص فاخذ كذلك فقال المهدى لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله فى أحد منك ومل جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه فى بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لايختلفون فى شئ الاصدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصى فانشا يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فارشدنى الى ترك المعاصى

وذلك أن حفظ العلم فضل * وفضل الله لايؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم أنه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة فى كل شئ أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبدا الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قيل) واذا أردت أن لاتنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق لاشريك له وكفرت بما سواه (ومن فوائد سيدى الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى) فى الحفظ يقرأ فى كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكنا فاعلين ياحى يافيوم يارب موسى وهرون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمنى الفهم وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك ياأرحم الراحمين وعن أبى يوسف قال مات لى ولد فامرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوفا أن يفوتنى منه يوم وقال محمد بن اسحق بن خزيمة مارأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخارى حتى كان يقال ان حديثا لايعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ماوضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث ابن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كما بموته ولهذا قال الشافعى لما قدم مصر بعد موته والله لانت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ماهلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر (شعر)

لاتدخر

لاتدخر غير العلو * م فانها نعم الذخائر
فالمرء لو رجح البقا * مع الجهالة كان خاسر

وللشافعي رضي الله تعالى عنه شعر

أخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة أستاذ وطول زمان

وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضيء به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندامة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لايشكره وأما في الآخرة فعالم مفرط (شعر)

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * صرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فاخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يانبي الله ان هذا العصفور يقول ياموسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لايعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لاتعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه أنت ولا الخضر وما علمي وعلمك وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولايحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقي لايعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يارب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال ياموسى كنت آمر دابة من دوابي أن تبتلعهما قال موسى يارب وأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال موسى يارب وأين ذلك المرج قال في علم من علمي لايعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فكرة فقال فيم تفكرون تفكرون في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يارسول الله أين ابليس منهم قال ما علموا بابليس خلق أم لا قال أمن بني آدم قال ما علموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدها الله في علم غيبه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون

وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لا كتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ما خزنته الدفاتر وانما العلم ما خزنته الصدور وقيل العلم يؤدى الى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل عمى وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودن العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ولابراهيم بن خلف المهرانى

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فاجلها منها مقيم الالسن

وقال على بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعدا اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
ويعجبنى زى الفتى وجماله * فيسقط من عينى ساعة يلحن

ودخل اعرابى السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون * وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال له لا تنظر فى العربية فقال بلغنى ان من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لان يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطا وكان يقال مجالسة الجاهل للعاقل مرض وقال أبو الاسود الدؤلى اذا أردت أن تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولم تدرى بانك جاهل * ومن لى بان تدرى بانك لا تدرى

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ على كلمة واحدة قال هذه واحدة أبو جهل كاه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضى الله تعالى عنه

الناس كنوه أبا حكم * والله كاه أبا جهل

﴿وأما ما جاء فى الادب﴾ فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال على كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروأة صاحب فى المجلس أنيس فى الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح ﴿وحكى﴾ أن رجلا تكلم

بين

بين يدى المأمون فاحسن فقال ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت وا كتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان فينا وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما أنا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فانتى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خيرا لخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فاقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحموضة وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب أن لا يفتخر المرء بادبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * ما فى المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة

لايتم الحسب الابالادب ولايتم الجمال الابالحلاوة ولايتم الغنى الابالجود ولايتم البطش الا بالجراءة ولايتم الجهاد الابالتوفيق والله تعالى أعلم

﴿الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك﴾

قال الحكماء اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لايغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لاينفع كدواء لاينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى اكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لايعود اليك ويوم أنت فيه لايدوم عليك ويوم مستقبل لاتدرى ما حاله ولاتعرف من أهله من أكثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لاتبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسىء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك مابطن ويحرك من عدوك ماسكن لايجد الخجول فرحا ولاالغضوب سرورا ولاالملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من اتهم الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لايكمل للانسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس مايحب لنفسه ويثق بمواعيد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروأة قيل لأفلاطون ماالشئ الذى لايحسن أن يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه أربعة تؤدى الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه جده الغرة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم اساءة الاراء والغفلة أضر الاعداء من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ومن نام

عن

عن عدوه أيقظته المكائد من قرب السفلة واطرح ذوى الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شانه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن أكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال أزهدهم فى السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم عنه من يبخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع فى هبته بائع فى خسته من رقى فى درجات الهمم عظم فى عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق فى مقاله زاد فى جاله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام المروأة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه وبخله يبغضه الى أودائه لا تسئ الى من أحسن اليك ولا تعن على من أنعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه ورفاؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس من ينصر الظالم ويخذل المظلوم من حفر حفيرا لاخيه كان حتفه فيه من سل سيف العدوان أغمد فى رأسه من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحاج من يذهلك خوفه ويملكك سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال ما لا ينبغى سمع ما لا يشتهى جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا من أمات شهوته أحيا مروأته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل

توبته عظمت خطيئته اياك والبغى فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس فى الخير أربعة أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقى ومن تركه استحسانا فهو دنى من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرفاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطئ وان ملك والمتأنى مصيب وان هلك من أمارات الخذلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر فى العواقب سلم من النوائب ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب من ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت وسائله من فعل ماشاء لقى ماساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتتك اذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة لاتشتك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من أفشى سره أفسد أمره الحازم من حفظ مافى يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب مالا يكون طال تعبه لاتفتح بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء التدبير سبب التدمير اغمد سيفك مايناب عنك لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحبه لان كل شئ يفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطاب تحت طلاب ومنية تحت أمنية لايخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه اشتد حتفه من لم تسر حيانه لم تعم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لابالرمم البالية اذا ملك الارادل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفاء خير من قرب يوجب الجفاء اللسان سيف قاطع لايؤمن حده والكلام سهم نافذ لايمكن رده من اطلع على جاره انتهكت حجب أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لابغراهة الدواب من زادت شهوته نقصت مروأته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيأ حرص عليه عند الجدال يظهر

فضل الرجال من أخر الاكل لذ طعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت فى دولة وعز خير من حياة فى ذلة وعجز مقاساة الفقر هى الموت الاحمر ومسئلة الناس هى العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب شر ما عطب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده الياس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا فى غير عجب ولا ماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه ملأ أهله الحسد الصديق من سقم المودة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة و بالتأنى تسهل المطالب و بحسن المعاشرة تدوم المحبة و بخفض الجانب تأنس النفوس و بسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد و بكثرة الصمت تكون الهيبة و بعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة و بالافضال يعظم القدر و بصالح الاخلاق تزكو الاعمال و باحتمال المؤن يجب السودد و بالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه و بالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة و بترك مالا يعنيك يتم لك الفضل * واعلم أن السياسة تكسو أهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة

ومن لم يحمل ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع المروآت كلها تتبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لاتحمل بطنك مالايطيق ولا تعمل عملا لاينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

﴿الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم﴾

﴿اعلم﴾ أن الامثال من أشرف ماوصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا فكم فى ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسند كان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحيل بينهم وبين مايشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ماعلى الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ماعلى المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولاينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لايستوى الخبيث والطيب غررت منكم لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو ردوا

لعادوا

لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون فذكرانما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لا يجليها لوقتها الا هو فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو في شان فبأي حديث بعده يؤمنون ومار بك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ان هي الا فتنتك فاعتبروا يا أولي الابصار وانه لقسم لو تعلمون عظيم ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (ومن) الامثال من الحديث النبوي انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغني ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخيروا لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك ومايعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريبك الى ما لا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر أن يكون كفرا نعم صومعة الرجل بيته الاعمال بخواتيمها

﴿الفصل الثاني في أمثال العرب﴾ ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء موكل بالمنطق ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك أنف في السماء واست في الماء ان الذليل الذي ليست له عضد أي الرجال المهذب انما هو كبرق خلب اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم اياك أعني فاسمعي ياجارة ان لم يكن وفاق ففراق انك لا تجنى من الشوك العنب اذا حان القضاء ضاق الفضاء ان المنا كح خيرها الابكار اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك أن تضرب بلسانك عنقك أكل وجد خير من أكل وذم آفة المروأة خلف الوعد اذا قلت له زن طاط أرأسه وحزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه فلعله فقئت عيناه ترك

الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشتى فى الشيم بلغ السيل الزبى أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق ولو فى الحريق اشتدى أزمة تنفرجى أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها رمتنى بطرفها وانسلت رب رميـة من غير رام الرباح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات استراح من لا عقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى الى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لا ذنب له رب عين أنم من لسان رحم الله من هدانى الى عيوبى ركوب الخنافس ولا المشى على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة أطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الاجم

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أو يهان عند النازلة تعرف أخاك فى القمر ضياء والشمس أضوأ منه القول ما قالت حذام * لقد أسمعت لو ناديت حيا * أقل طعامك يحمد منامك كل فتاة بابيها معجبة كل كاب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ فى بيته صبى كلب جوال خير من أسد رابض * لقد ذل من بالت عليه الثعالب * ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة * لعل لها عذرا وأنت تلوم * لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب ويدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لا عطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لا تقتن من كلب سوء جروا مقتل الرجل بين فكيه ما حك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادى أظلم يا حبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس واستعارية يدك منك وان كانت شلاء

﴿الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين﴾ التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوى لا ينجو من الحيات الحبة تدور والى الرحى ترجع المؤذى ردى

كلما

كلما جلوته صدى * الاسواق موائد الله فى أرضه السلامة احدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لايؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقيل اذا تخفف صار طاعونا أضيع من حلى على زنجية العمل للزرنيخ والاسم للنورة أنشط من أجر دخل نصفه البغل الهرم لايفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولاتجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لاسفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع كقاعد زكاة البدن العلل زلق الحمار كان من سهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لاتبقى ولاتذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لاتعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكساء طاعة الولاة بقاء العز طفيلى ويقترح عناية القاضى خير من شاهدى عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء فى الغربة وطن فر من الموت وفى الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار وولا يزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فمى كل قليلا تعش كثيرا كلامه ريح فى قصب كالابرة تكسو الناس وهى عرياية كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت سندانا فصرت مطرقة كل مافاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لوكان المزاح فحلا لم ينتج الاشرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لوضاعت صفعة ماوجدت الا فى قفاه لوكان فى البوم خير مافات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

﴿ لفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم ﴾

﴿ حرف الالف ﴾

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
اذا جاء موسى وألقى العصا * فقد بطل السحر والساحر
اذا لم يكن فيكن ظل ولاخبا * فابعدكن الله من شجرات
اذا كنت فى فكرى وقلبى ومقلتى * فاى مكان من مكانك ألطف

اذا أراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف ينفعه
اذا ماأتيت الامر من غير بابه * ضلت وان تقصد الى الباب تهتد
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
اذالم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فانت صديقى
الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق
* انما أنفسنا عارية * والعوارى حكمها أن تسترد
ان العدو وان أبدى مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر
* اذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه *
اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الجنان
اذا كنت لاترضى بما قد ترى * فدونك الحبل به فاختنق
* ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر *
* اذا ضاع شئ بين أم وبنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذه *
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص
اذا ما أراد الله اهلاك نملة * سمت بجناحيها الى الجو تصعد
اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل
* اذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه الى ماتستطيع *
اذا صوت العصفور طار فؤاده * ولكن حديد الناب عند التراند
أهن عامرا تكرم عليه فانما * أخو عامر | من مسه يهوان
* اذا محاسنى اللاتى أمن بها * عدت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر
* اخوان صدق مارأوك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
* اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فايسر مايمر به الوحول *
* ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره *
اذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوءك أبعدت الدواء عن السقم
اذا أنت حلت الحزن أمانة * فانك قد أسندتها شر مسند
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل

اذا

اذا أنت عبت المرء ثم أتيته * فانت ومن تزرى عليه سواء
أسأت اذ أحسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس
* الحادثات اذا ألم خطوبها * فلها مساومرة ومحاسن *
* الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره *
العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها
أيا دارهم ماكنت أنت بدارهم * ولا أنا منذ سار الركاب بهم أنا
أقلب طرفى لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
اذا ماقضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

(حرف الباء الموحدة)

بنا فوق ماتشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفى السقام قريبا
بالملح نصلح ماتخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير
بنى عمنا ان العداوة شانها * ضغائن تبقى فى نفوس الاقارب

(حرف التاء المثناة الفوقية)

تحن اليه أفئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع
تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سننتها للناس قبلى
تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب
تفرقت الظباء على خراش * ومايدرى خراش مايصيد
تجتلى الاذن منه أحسن مما * تجتلى العين من وجوه البدور

(حرف الجيم)

جن له الدهر فنال الغنى * آه لمن أغفله الدهر
جربت أهلى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ودامرئ غرضا

(حرف الحاء المهملة)

حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ماحياك انسان

(حرف الخاء المعجمة)

خفض الجاش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت
خليلى ان الحب صعب مراسه * وان عز بز القوم فيه يهان

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب
خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فانصحتك الابعد تجربى

(حرف الدال المهملة)

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
دعينى أنهب الاموال حتى * أعف الا كرمين عن اللئام

(حرف الذال المعجمة)

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاء منعم

(حرف الراء)

رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب
ردوا على صحائفا سودتها * فيكم بلا حق ولا استحقاق
رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر
رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(حرف الزاى)

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

(حرف السين المهملة)

سرورى أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع
سوء حظى أنالنى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب
سبكناه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد
ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم انى نعم الصديق

(حرف الشين المعجمة)

شفيعى اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل
شكرتك قبل الخبر ان كنت واثقا * بانى بعد الخبر لا شك شاكر

(حرف الصاد المهملة)

* صحح لنا والده أولا * وأنت فى حل من الوالده

(حرف الضاد المعجمة)

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

﴿حرف الطاء المهملة﴾

طويل عمر المعالى والندى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد
طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن

﴿حرف الظاء المشالة﴾

ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهم منار رؤية الابصار
ظلمت امرأ كافته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الاغرائزا

﴿حرف العين المهملة﴾

علم الله كيف أنت فأعطا * ك المحل الجليل من سلطانه
على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

﴿حرف الغين المعجمة﴾

غنى بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشئ لابه
غلام أناه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب

﴿حرف الفاء﴾

فلم أر كالأيام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فصبر جميل ان فى اليأس راحة * اذا الغيث لم يمطر بلادك ماطره
فما أكثر الاصحاب حين نعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل
فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب
فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

﴿حرف القاف﴾

قد يجمع المال غيرآكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع
قد يدرك المتأنى نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

﴿حرف الكاف﴾

كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا
كفى زاجرا للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
كنت من كربتى أفر اليهم * فهم كربتى فاين الفرار
كانوا بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء
كأنك من كل النفوس مركب * فانت الى كل الانام حبيب
كالكلب ان جاع لم يمنعك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشر

﴿حرف اللام﴾

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
لعمرى ماضاقت بلاد لاهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
للموت فيناسهام وهى صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
لوأن خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب
لو كان مابى فى صخر لانحله * فكيف يحمله خلق من الطين
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم فى النائبات أقاربه

﴿حرف الميم﴾

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع
من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه
ما كان فى المخدع من أمركم * فانه فى المسجد الجامع
ما قام عمرو فى الولا * ية قائما حتى قعد

﴿حرف النون﴾

نسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالابد من شربه

ندمت

ندمت ندامة الكسعي لما * رأت عيناه ماصنعت يداه

﴿حرف الهاء﴾

هنا كم الله بالدنيا ومتعكم * بما نحب لكم منها ونرضاه
هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رد ماقد فات من طلب
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال
هنيأ لمن لاذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
هم يحسدونى على موتى فواحزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

﴿حرف الواو﴾

ولم أر كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل
واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه
والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبيت بوابا بباب الاحمق
ولا يغررك طول الحلم منى * فما أبدا تصادفنى حليما
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى كامل
وما للمرء خير فى حياة * اذا ما عد من سقط المتاع
وما المرء الا كالهلال وضوءه * يوافى تمام الشهر ثم يغيب
وقد تسلب الايام حالات أهلها * وتعدو على أسد الرجال الثعالب
ومن يأمن الدهر الخؤون فانى * برأى الذى لا يأمن الدهر اقتدى
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب
ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أى مطرح
ولم بمانع الكريم ومانه * بخل ولكن سوء حظ الطالب
ولا بات يسقينا سوى الماء وحده * وهذا جزاء من بات ضيف الضفادع
ومن عاش فى الدنيا فلا بد ان يرى * من العيش مايصفو ومايتكدر
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن مالهن دوام
وأحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزى بما كنت ساعيا
ولا تر بين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا

ومالامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثناء فيخلد
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
وكان رجائى أن أعود ممتعا * فصار رجائى أن أعود مسلما
وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع
ولابد من شكوى الى ذى مروأة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع
وهوّن حزنى عن خليلى انى * اذا شئت لاقيت الذى مات صاحبه
ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر *

﴿حرف اللام ألف﴾

لاتنظرن الى الجهالة والجفا * وانظر الى الاقبال والادبار
لاتسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر
لايصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار *
لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
لايبالى الشتم عرض * كما شتم وذم *
لاتنظرن الى امرئ ما أصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لايسكن المرء فى أرض يهان بها * الا من العجز أو من قلة الحيل
لايقبلون الشكر مالم ينعموا * نعما يكون لها الثناء تبيعا
لاأسأل الناس عما فى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

﴿حرف الياء المثناة التحتية﴾

يفر من المنية كل حى * ولاينجى من القدر الحذار
يريك الرضا والغل حشو جفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت *
يهمهم للشعير اذا رآه * ويعبس ان رأى وجه اللجام
يفارقنى من لاأطيق فراقه * ويصحبنى فى الناس من لاأريده
يزيد تفضلا وأزيد شكرا * وذلك دأبه أبدا ودأبى *
يواسى الغراب الذئب فى كل صيده * وماواست الغربان فى سعف النخل
يهون علينا أن تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول
يغر الفتى مر الليالى سليمة * وهن به عما قليل غوائر
يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم *

تريك

يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

﴿الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم﴾

﴿حرف الالف﴾

ان كنت ماتعمل جيل اعمل كما يعمل معك اذا أبغضك جارك حوّل باب دارك اذا كان صاحبك عسل لاتلحسه كله المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى ألف ذقن ولاسلام عليكم ألف ذقن ولاذقنى اذاغاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله اذاوصلت وسلم الله بع بما قسم الله اذا كنت أعمى وأطروش شم رائحة النقوش اذا كان النبيذ دردى والعشيق كردى والنقل فول حار والعشاء بيسار ايش يكون الحال اذا كان القطن أحر والمغسل أعور والدكة مخلعة والنعش مكسر اعلم ان الميت من أهل سقر والوادى الاحر ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح قال تقريف للحاضرين وتفريق للملائكة الفشر والنشر والعشا خبيزة أكل الدقة والنوم فى الازقة ولادجاجة محمرة يعقبها مشقة ايش أنت فى الحارة يامنخل بلاطارة الرجم بالطوب ولاالهروب اذاوقعت يافصيح لاتصيح أقرع يقول لاقرع مش بنازرع فى بركة القرعان ايش مايطلع يطلع النصف لى والربع لى والثمن لى والثمن الآخر لك ولى العدو مايبقى حبيب حتى يصير الحار طبيب اقعد ياجار حتى ينبت لك الشعير أى موضع راح الحزين يلقى جنازة قال الشاعر

ان دام هذا السير يامسعود * لاجمل يبقى ولاقعود

(غيره) اذالم تكن لى والزمان شرم برم * فلاخير فيك والزمان ترللى

(غيره) اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة * وان أدبرت كادت تقد السلاسلا

﴿حرف الباء الموحدة﴾ بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته بينما يسعد المعترفرغ عمره بينما أصل قبره نسيت همه بينما يعدل المعترحاله جاء الموت شاله بينما يخلص ربناحق انفرقعت جوزة حلق بينما يقطع الجريد يفعل الله مايريد بينما يجىء الدرياق من العراق يكون الملسوع مات بين حانه وبانه حلقت لحانه بدوى مقروح لقى التمر مطروح أين يخلى ويروح بدال لحتك وقلقاسك هات لك شد على راسك بدال اللحمة والباذنجان هات لك قميص ياعريان بدال لحتك التلاته هات لك شد ياشمانه بقى للكلب سرج وغاشيه وغلمان وحاشيه بقى للحرامى اويحلف بالطلاق بعد الجوع والقلة بقى لك حمار وبغله

﴿حرف التاء المثناة فوق﴾ تموت الحدادى وعينها فى الصيد تعالوا بنا نقتبح ونرجع غدا نصطلح ندحرج الحجر العند البعر قال له ايش أنت قال له بزم فردش ترك الفضول من

حزم العقول تراب العمل ولا زعفران البطالة تسكر وتخانق ما هو شئ موافق تجارة الاحق على أهل بيته تضارب الريح مع الموج جاء الهيم على النواتيه تزاوروا ولا تجاوروا تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

﴿حرف الثاء المثلثة﴾ ثوب العيرة ما يدفى . ثقيل واسمه صخر بن جبل . ثور علقوه أعمى عليه قال حتى يطلع شئ يرشوه عليه . ثور عاجز ما يدور ساقيه . ثقيل من أولاد الزنا مر العنا . ثوب عليه وثوب على الوتد قال أنا اليوم أحسن من كل من فى البلد

﴿حرف الجيم﴾ جور القط ولا عدل الفار . جل موضع جل يبرك . جل المقل دموعه جل بحبه قال وأين الحبة . جيت أصطاد صادونى . جاره حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافيه . جارك مرآك ان لم ينظر وجهك نظر ففاك . جاء كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله . جاء كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه * جاؤا ينعلوا خيل الباشا مدت أم قوبق رجلها . جوزوه الله ما لها الاله . جوزوا مشكاح لريمه ما على الاثنين قيمه

﴿حرف الحاء المهملة﴾ حاجة لا تهمك وصى عليها زوج أمك . حول حبيبى ما عونه وقدرنه مع كانونه . حمار حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت . حلينا القلوع وأرسينا وأصبحنا على ما أمسينا . حب ووارى . واكره وارى . حدثنى ونصحتنى عايرتنى وفرحتنى . حط فليسانك فى كمك واشتر أبوك وأمك . حبة قرض تخرب أرض

﴿حرف الخاء المعجمة﴾ خذينى وارغبى فيه أنا حصاد ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالى نيه خبثت لى وصلحت لك خد ذا الصبى فوق صبيانك تمام لا خزانك . خزينه فى جره وملحه فى صره . خبزه بلا ادام ويعزم على الجيران

﴿حرف الدال المهملة﴾ دار الظالم خراب ولو بعد حين . درهم لك ودرهم عليك لا لك ولا عليك . دواء ما لا تشتهى النفوس تجيل الفراق

﴿حرف الذال المعجمة﴾ ذا درب ما يسد ريح ذى ما هى رمانه . الا قلوب ملانه ذا لى وذا أيدى عليه . ذى مائده ما يقعد عليها طفيلى . ذا الخبز ما هو من ذا العجين ذا الولد خرا من ظرفه كل من شال رجليه حك أنفه . ذكروا مصر القاهرة قامت باب اللوق بحشايشها ذكروا المدن جاءت القرى تحجل

﴿حرف الراء المهملة﴾ راح ذاك الزمان بناسه . وجا هذا الزمان بفاسه . وكل من

تكلم

تكلم بالحق كسروا راسه . رأوا حجار راكب حيط قالوا الى أين ياحجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لايشرق ولايغرب رأوا سكران يقرأ قالوا عن تشا كل روحك رأوا شيخا يتهجى قالوا يختم على الصراط رأوا ورد انه على سنداس قالوا ما الذى الفسقية الاذى البلطية . رأوا على قبر مكتوب ياسعادة ساكنه قالوا أبصر من يزاحمه . راكب بلاش ويناغش مراة الريس . ركبتك ورای حطيت يدك فى الخرج . راح الجندى وخلى خلقه عندى . رزق الكلاب على المجانين . راسين فى عمامه مايكون . راحت على جل وجاءت على قطه قال مالذى الشيله الاذى الحطه قال الشاعر

راح الذى كانعيش بفضله بين الورى ويقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل العدم

﴿حرف الزاى المعجمة﴾ زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه . زاوية بلاعيش بنيت ليش . زوج القصيره يحسبها صغيره زوجت بنتى أقعد فى دارها جاءتنى وأربعة وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تقستر * ويمتلى بيتى قماش جاغز لها فى أكلها * ونيكها طلع بلاش

زنبور زن على حجر مسن قال له ايش تريد قال ألحسك قال أنا ألحس البولاد . زنبور زن على فلس بحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن ياندن

﴿حرف السين المهملة﴾ سل المجرب ولاتسل الطبيب . سموك مسحر قال فرغ رمضان سموك حبل قال وطوات . سموك راجح قال ان شاء الله تجى الحق . سبع وزر ولا استتر (قال الشاعر)

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

(وقال آخر)

سيغنى الله عن زيد وعمرو * ويأتى الله بالفرج القريب

(حرف الشين المعجمة) شره ووضيع ويغضب سريع . شئ مانابه وتقطعت ثيابه شعر يحلق وشعر مايحلق . شرب السموم القاتلة ولا الحاجة الى السفل . شمنى ولاتدعكنى شئ مايجى على القلب عنايته صعبه . شراء العبد ولاتربيته شخت بغله عامت زبله ركبت خنفسه زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليل الا لمقطعات النيل

﴿حرف الصاد المهملة﴾ صام سنة وفطر على بصله . صبرى على الحبيب ولا فقده صاحب يضر عدو مبين . صباح الفوال ولا صباح العطار . صباحك ياأعور قال ذى خناقه بايته * صباح الخير ياجارى أنت فى دارك وأنا فى دارى

﴿حرف اضاد المعجمة﴾ ضرب الحبيب كا كل الزبيب . ضربتين فى الراس تعمى ضرب وبكى وسبق يشتكى . ضربة على كيس غيرى كأنها فى عدل حنا . ضمنوا حدايه لغراب قال الكل بطيروا . ضربوا بياع الكسبره خرى بياع التوم قال ذى داهية جاءت على الخضريه

﴿حرف الطاء المهملة﴾ طارت الطيور بارزاقها . طفيلى ويجلس فى الصدر . طفيلى ويقترح . طويل الكم خطار . قليل الفرح فى الدار . طبق وجاريه على محن بيساريه . طبلوا جاكم عثمان يدمن وراويدمن قدام . طعامك ماجانى ودخانك أعمانى طار طيرك وأخذه غيرك . طول ماأعيش يكفينى رعى الحشيش . طوّل الغيبه وجانا باخيبه

﴿الظاء المعجمة﴾ ظهرك عندى نصف الليل

﴿حرف العين المهملة﴾ عنقود مدلى فى الهوا من لايصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لاأباله . عاشق مايسمع بكاصغير . عاشق مايسمع كلام مفارق . عاشق مقل شئ مازرع ايش جايستغل . عزومه حسبت عليك كل وبحلق عينيك . عند المخاضة يبان القيليط ﴿عند الطعان يبان الفارس من الجبان . عريان التينه وفى حزامه سكينه . عريان وفى كمه ميزان

﴿حرف الغين المعجمة﴾ غابت السبوع ولعبت الضباع . غربه وكربه مايحمل الحال غطاس وقلقاس نحسبن فى قدره . غالى السوق ولا رخيص البيت

﴿حرف الفاء﴾ فرجه بلا كسر تعمى البصر . فقير ونفير وكلامه كثير ويقول هاتوا عشا من يخنى . فوق الشراط ملح أودانه . فارس خرا ويسوق فى الوحل . فارس خرا واسمه عنتر . فارس خرا ويسابق الخيل . فردضربه فى الراس تكفى . فصدوا قردضرط قالوا به دم زايد . فرغت الرعانة ياجانم

﴿حرف القاف﴾ قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هو أنا محب فيها . قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ماينطلى . قالوا للقرد شبب قال أيادى ملاح وتمسك الماصول . قالوا للقرد اطلب من ربك قال أنا هو عنده بوجه يبسط . قالوا للجمل زمر قال لاشفف ملمومة ولا أيادى مفرودة . قالوا للدبة طرزى قالت ذى خفة أيادى . قالوا للكلاب احرثوا قالوا ماجرت بهذا عاده . قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى . قالوا لبقر الديوان اذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا اشتهينا نروح بجلودنا . قالوا للغزالة ارحلى حركت ذنبها قالوا

قالوا للعرب ارحلوا حلوا المناسف

(حرف الكاف) كل من عودته با كلك كلما نظرك جاع . كشكار دايم ولا علامة مقطوعة . كل كره واشرب كره ولا تعاشر كره . كل هم كاوى عند همى يارى . كل شئ لا يشبه فانيه حرام . كل مائة عصفور ما يجوحدايه . كل ألف مصه ما يجو بغصه * كل ألف بوسه ما يجو بعبوسه . كلك يا لحمان بالشعره والصنان . كمل حبيبى كل المعانى أعرج وقيليط ومعجبانى . كمل حبيبى وأكمل أعرج وقيليط وأحول وفيه عادة أخرى لمن يواصل بخرا . كأنه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر . كأنه من طواحين الكشكار دايرعلى رجل الفار . كأنه عصفور ينيك بلاش و ياوى فى الاعشاش

(حرف اللام) لولاك يا كمى ما أكلت يافى لولاك يالسانى ما انسكيت يا قفاى لولا الغيرة والحسد كانت عجوزة كفت بلد لولا أختك ما صرت ابن عمتك لو قلينا ها بلية ما جات هكذا لو كان فيها خير ما رماها طير لك وعليك ما يصعب عليك لك اسوة بغيرك لقمة بدقه ولا خروف بزقه لقمة تحت حيطه ولا خروف بعيطه لو سلم الكرم من حارسه طابت مغارسه لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعة ما يخليها لو عمل لى من الذهب وليه هو عندى بتلك العين القديمه لو شال رأسه الى السما كان عصيدة بما لو نظر الجمل لصنمه كان كدمه لولا الكشط والبرايه ما كانت أولاد الحرا كتاب

(حرف الميم) محبة بلا حبه ما تساوى حبه ما شلتك يا دمعتى الا لشدتى من عاشر غير جنسه دق الهم صدره من قدم النحس تعب فى ناخيره من عاشر الحداد احترق بناره من عاشر الزبدانى فاحت عليه روائحه من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه من لا يحط يده لزنده ما يعرف حره من برده ما رأيتك يا نور حتى ابيضت العيون مالى على فراقكم جلد الاهجاجى من البلد ما كفاناهم أبونا قام أبونا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به من يكلم القبيح يروح عرضه وينفضح ما تنقدوهم كلهم زغلية ما فيهم من يعجب النقاد

(حرف النون) نواية تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير نفسك أتلفت أى شئ أخلفت نصف البلا ولا البلا كله ناقص ونحاس ناموسة بانت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقة نيتك مطيتك نسيت يا فلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه نيك حتى تبقى ديك

(حرف الهاء) هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل هان المسك وانتثر هدية تعرقومها

تخليتها ولالومها هدية الاحباب على ورق السذاب قال هو أعمى عن ورق الموز هو عرس تا كل وتنسل أهدوا هدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها هاتوا ذا الغزل المخبل لذا القلب المدمل

﴿حرف الواو﴾ واحد تنفه وآخر لقفه وقال آخر ياقريب الفرج واحد بيخطبوا له وهو قائم عليه قال أنا فى حاجتك واحد جائز رأى قرد يحرش ترمس قال ما الذى الفاكهة البدرية الاذى الصورة القمرية واحد سموه عنبر وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعة وحش ويكش ويقعد فى الوش ويغنى بلينا بكم وقت أكل الدجاج مايفتكرونى وفى وقت شيل التراب هات يدك وايش قام على تومه بفصل الحكومه وقت الشوا واليخنى ماقلت ياأخى الحقنى ووقت ضرب الدرة قلت اصفعوا واصفعنى

﴿حرف اللام ألف﴾ لاتعيرنى ولاأعيرك الدهر حيرنى وحيرك لاأصل شريف ولاوجه ظريف لاأخوك ولاابن عمك تشق ثوبك على ايش لاعاش بليق لاحراس ولادراس لاعاش العار ولابنى له دار لاربح ثوابه ولاخلاه لاصحابه لافى الفراق نجد راحه ولافى الوصل لاتشكرن فنى حتى تجرب به لاتفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى لايضر السحاب نبح الكلاب لايغرك تظريفى الاصل فى ريفى

﴿حرف الياء﴾ ياشب مليح ماأحسن وصفك لافى يدك ولافى طرفك ياويل من ذاق الغنى بعد جوعه يموت وفى قلبه من ألم واجس ياطارق الباب بعد العشى لاتطرق الباب ماتم شى يامن ملناما كان حلنا لسامالنا فى العشرة سنه يهنيكم قدومه قدجاكم بشومه ياليتنا انكسرنا ولابك انتصرنا ياويل من كان عشيه من بيت خيه ياطالب الشر بلاأصل تعالى للصائم بعد العصر

﴿أمثال النساء * حرف الالف﴾ أحبك ياسوارى مثل معصمى الذى فى قلب أم حنين تحلم به فى الليل ان كنتى حره لاتضيعى نقابك بره ان لم تعملى وتفتخرى والا اقعدى وانعفرى ان كانت الدابة أحن من الوالدة قال ذى داهية عياره الكلام لك ياجاره الا أنت جاره ايش تعمل الماشطه فى الوجه المشوم ايش قام على الحزينة بالنقش والزينه ايش ينفع النفخ فى الوجه الاصم أرمله عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعدسكى اسم الزوج ولاطعم الترمل العاقلة فينا تزنى بيقطينا اذا كان زوجى راضى ايش فضول القاضى استعارت الرعنه شئ حسبته لها أخذت المقص ودارنه لها اقعدى فى عشك حتى يجى حد ينشك

﴿حرف الباء الموحدة﴾ بعد ان كنتى لى وحدى بقيت أسمع أخبارك بعد سنة وشهرين

جابت

جابت بنت بشفرين بعد أن كان زوجها بقى طباخ فى عرسها بعد مشيك فى الحلفه بقى لك سلام وغرفه واسمك ستيته بعد أمى وأختى الكل جيرانى بينما تتنقب الحولة انصرف القاضى بنت الخراتف لابن الخرابدف باتت ناموسه على جيزه قالت صبحك الله بالخير قالت مين درى بك قبله بدال ماتمشى وتهزى كتفك رقمى فردة خفك بخراوتزاحم بالبوس بقى لام سيسى برقع وللضفدعه زماره بعد مشيك فى الحلافى لبستى الصافى بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

﴿حرف التاء﴾ تابت القحبة يوم وليلة قالت مابقى فى البلد حكام تضاربت المجنونه والحقا حسبتها الرعنه من حقا تضارب وتتعرى وتصيح ياقلة رجالى تاخذوا أبوناوتكايرونا ترنانه وبيبانه ومفاتيح الخزانه تباهت الرعنه بشعر بنت أختها تخلونى والا استحل بجارنا قالت اذا كان ذافى قلبك خذيه بلا استحلال تتغمى بالخرج ولا تخلى الغنج تقعد عيوشه فى ديارتها مالاحد حاجة فى زيارتها

﴿حرف الثاء﴾ ثوب سيدى ثوب حبيبى ثوب ستى ثوب لقبه

﴿حرف الجيم﴾ جاره بجاره والعداوه خساره جانى عذولى ورتالى ماهى محبه الاشماته لى جاريه وز بديه على باذنجانه مقليه جاتنا العدوه مكحله قطران لاغيره وقلبها فرحان جاب ثيابه يغسلهم بلاصابونه معهم

﴿حرف الحاء المهملة﴾ حوله وتتنقب بنخ حزانى ماعندهم دقيق اشتروالهم منخل رقيق حزانى ماعندهم خبزاشتروالهم بعشره ملوخيه حزينه وواعيه حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعه وطلعت الجبل تجيب دوالحبل حولة ونصرانية لامليحة ولا أصل طيب حزينه مالها مالها مملوك سمت زنبورها خوشكادم حزينه مالها مالها كترت لها بواب حزينه مالها كامليه طلبت لها خف وشعريه

﴿حرف الخاء المعجمة﴾ خطبوها تعززت وكان زمان البوار خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب خذى قطيفة واكمنى سرى قالت مايطاوعنى قلبى خلت مايعنيها واتبعت حك رجليها

﴿حرف الدال المهملة﴾ درى زوجك بكتبتك تمى نهارك مع ليلتك دق من أسفل ولا تطلع ماأنت على القلب

﴿حرف الذال المعجمة﴾ ذكرت العجوز اطلالها

﴿حرف الراء﴾ رقصنى ماأحسنى كان قعادك أجمل رعنا يضحكو بها وهى تضحك

تساعدهم رأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا مالذا الشكل الوضيع الاذا القماش الرفيع راحت تبيع ربعه غابت جمعه راحت رجال الهيبه و بقيت رجال الخيبه راحت رجال اللحم والقلقاس و بقيت رجال الخبز بالفسفاس رأوا خنفسه على مكنسه قالوا مالذى الصيفه الاذا الجار الازعر

﴿حرف الزاى﴾ زمر بالزميمره تبان لك العاقله من المجينينه زوجى ماحكم على قام لى عشيق بشمعه زوجوا بنت نشادرى لسرباتى قالوا قليلات الخراتتدحرج لبعضها

﴿حرف السين المهملة﴾ سودا وتتنقش بسباخ سودا منقبه قفل على خزانه سألوها عن أبيها قالت جدى شعيب

﴿حرف الشين المعجمة﴾ شدى فرطاسك من عند موسه قالوا داشى مافرحتى به وأنتى عروسه شامته ومعزبه

﴿حرف الصاد المهملة﴾ صارت الفحبه واعظه صارت القويقة شاعره

﴿حرف الضاد المعجمه﴾ ضحك ابن سنه على أمه قالت ماأخف دمه

﴿حرف الطاء المهملة﴾ طلعت ترحم نزلت تتوحم

﴿حرف الظاء المعجمة﴾ ظريفه وعفيفه ولها نفس شريفه

﴿حرف العين المهملة﴾ عميا تحفف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه عاقله وجابت طفله وجاتها حطار واشتروا لها قلقاس دكر وحطب أخضر فى نهار مطر وقالوا لها اطبخى على قدر لحمه تقع الصلحه عجوزه وجابت غلام اذا جنت لاتلام عجوزه وخرفانه دى داهيه كانه

﴿حرف الغين المعجمة﴾ غيرك يقوم مقامك عليش قلبى أعذبه

﴿حرف الفاء﴾ فرحت حزينه خربت مدينه

﴿حرف القاف﴾ قالوا للمغانى انزوقوا قلبوا عصايبهم قبه ما كنست بيتها كنست المسجد قالوا دى قبه تطلب الثواب

﴿حرف الكاف﴾ كل من تبعت هواها صارت سراويلها رداها كبرتى يابرقوقه وبقى لك دبوقه كانوا مغانى صاروا ملاهى لاراحت ولاجات كاهى كلى قليه وباتى هنيه كأنها من الباسيطه قماش على جريده كأنها حزمة فجل أصفر وعرقها أخضر كأنها من عمايم اليهود صفر اطويله رفيعة كأنها من بيت الوالى مايتحدث فيها سوى الحاشيه كأنها ضبة جعيدى مخلوعه ولاتأخذشى

﴿حرف اللام﴾ لوكان ماينقش الاالسمان بارت المواشط من زمان للساعة ماجبلت

جابت

جابت المرسين لولا المعاير ما كانت الحرابر

﴿حرف الميم﴾ ماشطه وتمشط بنتها من افتكرنا بياسمينا ما نسينا

﴿حرف النون﴾ نوايه تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير

(حرف الهاء) هش يا دبانة أنا حبلى من مولانا

(حرف الواو) وجه لا يرى بالذهب يشترى

(حرف اللام ألف) لا أنثى مليحة ولا تغنى بايش تدلى

(حرف الياء) يعيش المدلل بلا مكال ياغزالة الاقمار أين كنتى بالنهار يا ما تحت النقاب والشعربة من كل بلية يامن ملنا ما كان حلنا للساعة مالنا فى العشرة سنه

﴿الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول﴾

(الفصل الاول فى البيان والبلاغة) أما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان اذا أشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم أيمان علينا بالغة أى وثيقة كأنها قد بلغت النهاية وقال اليونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندى البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندى يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعانى وقيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولو لم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة وقال البحترى خير الكلام ماقل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكلنا بقصور عنك نعترف
مهد لى العذر فى نظم بعثت به * من عنده الدر ولا يهدى له الصدف

(وروى) أن ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال ياغلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك أمك انما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة فلولا تبصرها بانحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ ومعانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ويخيط الالفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فخلا ومعناه بكرا وقال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه فى حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه مافى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لايحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

(الفصل الثانى فى الفصاحة) قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لايكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الاهبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم فى صدرى وان قصر سقط من عينى * وقد اختلف الناس فى الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعانى ومنهم من قال انها لاتخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بان قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولانرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعانى وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف فى كلام الناس والذى أراه فى ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف فى الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن فى الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة فى مواضعها غير قلقة ولامكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لوكنت كنت كفقت الحب كنت كما * كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولاالضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولاضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لايمكن انشاده فى الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان

القرب فى المخارج يحدث ثقلا فى النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الخفى من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبى صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك ياعم فى جمالك أى فصاحتك (وعرضت) على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها * أحمد الله كثيرا * فقالت حيث أنشأك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت فى اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه . وقال المبرد قلت للمجنون أجزنى هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وأبراقه فاليوم لاشك ماطر

فقال وقد تحجبت فيه السحائب شمسه * كما تحجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثنى فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا . وقال الهيثم بن صالح لابنه يابنى اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعنى كلاما وصوابا قال يابنى ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك . وقال الشعبى كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فيقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الى منها . وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بتيقظ ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * بدل الرجال على عقله

ومر رجل بابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر رضى الله عنه أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله (ومنه) ماحكى أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شئ فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها . وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

سحبان يقصر عن بحور بيانه * عجزا ويغرق منه تحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه * يعيا لديه بحجة وجواب

(وقيل) انه حج مع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان

ان ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة وكان أصحاب أبى على الشقى اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة وكتب ابراهيم بن المهدى اياك والتتبع لوحشى الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك للالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت كلام أبى بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام على حتى مضى رضى الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضى الله تعالى عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضى الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فارادت فتحه الا فتحته ولا فتحت بابا فارادت اغلاقه الا أغلقته (ومن غريب) الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكى أن رجلا كان أسيرا فى بنى بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم فى رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاؤا بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم انى لعاقل فاشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما أراك الا عافلا ثم ملا كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدرى وانه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومى التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بنى بكر بن وائل فان قومه لمكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جلى الاصهب بامارة ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبرى أخى الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا باخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء أى أخذت الشكاء للسفر وأما قوله أعروا ناقتى الحمراء أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الاصهب أى الجبل وأما قوله أكلت معكم حيسا أى ان اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا . وأسرت طيئ غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال أبوه والذى جعل الفرقدين بمسيان ويصبحان على جبل طيئ ما عندى غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعنى فى هروبك على جبل طيئ ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجا . وكانت علية بنت المهدى تهوى غلاما خادما اسمه طل خلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة فان لم يصبها

وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم تركت فلانا يامر وينهى وهو على شرف الموت أى يامر بالوصية وينهى عن النوح ويقال مارأيت فلانا أى ماضربته فى رتته ولا كلمته أى ماجرحته فان الكلوم الجراح ومارأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر ومارأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذى تجرد من ثيابه ومارأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع العائر الذى كالوجهه والساجد المدمن النظر والمصلى الذى يجىء بعد السابق وماأخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل والفروجة الدراعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره أى عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله تعالى عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه ان لعن عليا رضى الله تعالى عنه ولعن من لا يلعنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله تعالى عنه فلقد لقى ربه وأفرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا أو كرها فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان تعفنى فهو خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى شفتاى به أبدا فقال قم فاصعد قال أما والله لأنصفنك فى القول والفعل قال وما أنت قائل ان أنصفتنى قال أصعد المنبر فاحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا ألا وان معاوية وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية اذا نعفيك يا أبا بحر . وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب ان عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضينى منك الا أن تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبى سفيان قد أمرنى ان ألعن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نية المتكلم * ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن

قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أي أسكنها عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فاخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فاخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فاخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدو له من النصارى فقال له أطال الله بقاءك وأقر عينك وجعل يومي قبل يومك والله انه ليسرني ما يسرك فاحسن اليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به في أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناها سكن الله حركتها أي أعماها وأما قوله وجعل يومي قبل يومك أي جعل الله يومي الذي أدخل فيه الجنة قبل يومك الذي تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرني ما يسرك فان العافية تسره كما تسره الآخرة فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ما تهيأ لمتسترمر اد ولا سلم له في التخاص قياد * وكان حماد الراوية لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة في المصحف فصحف في نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وخزيا بالباء الموحدة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاي وترك الهمزة عذابي أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لا نبتغي باسقاط التاء بل الذين كفروا في عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لا يقع الا من الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور في حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم في تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فاكرم نزله وأحسن اليه وساله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى في أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر

منهم

منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى اذا عزم على ظلم أو جور فعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أى أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أى ليشكوا حالهم ومانزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ماحكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فتسحب الى بلاد الترك وتوصل الى أن صار وزيرا عندهم وصار يعرف التركيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا عرفه فيه انى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى أن يحضر فاداحضر قتله واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمدلة والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة فى الكتب فشدد ان ثم أوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه فى غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهى الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل فى آخرها ألفا وأراد بذلك انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يا مولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاى قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا الحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا

فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتينى فقالت بل عرفتك يا مولاى ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

ساترك ماء كم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدى ونفسى تشتهيه
ونجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا * قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها ففسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافى وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليها اخوها وقال له يا فيروز اما ان تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فأتى معهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضى قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد خفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك

متكئا

متكئا فاستوى جالسا وقال يافيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره وردز وجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشئ من ذلك والله أعلم . وهذا كله مما يأتي به الانسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ومنه ما يجده المتستر في أمره من الراحة في كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لان في المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى في غزوة بدر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فاخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يردد هالينظر أي العرب يقال لهم ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للكافر الذي سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهديني السبيل وقد صدق فيما قال رضي الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام . وكما حكي عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول في القرآن فقال الشافعي اياي تعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي الا نفسه وكما حكي عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم علي رضي الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته فأرضى الفريقين ولم يرد الا أبا بكر رضي الله عنه لان الضمير في ابنته يعود الى أبي بكر رضي الله عنه وهي عائشة رضي الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا أن الضمير في ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فاطمة رضي الله عنها وكانت تحت علي رضي الله عنه فهذه منه جيدة حسنة وكلمة باتت جفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

﴿الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال﴾ دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فاحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال يا صبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست باصغر من هدهد سليمان ولا أنت باكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به ثم قال ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود أولى (ولما) أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم

وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين انا قد منا عليك من بلد نحمد الله الذي منّ علينا بك ما قد منا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فانشدهم عمر رضي الله عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

﴿وحكي﴾ ان البادية خطت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء أحد أن يدخل على الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته فاعجبه كلامه وقال انشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه أصابتنا سنون ثلاث سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي أيديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فامر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم (وقيل) ان سعد بن ضمرة الاسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندي ألف ناقة على أنك تدخل في طاعتي فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * اني لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الاجسام ان لنا * أحلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا أبصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر

فان

فان ألم به أمر فافظعه * رأيته خاذلا بالاهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لانقض منها المفتول وأبرم منها المحلول وأجيلها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ماتؤل وليس للدهر بصاحب من لاينظر فى العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بالف ناقة وقال له ياسعد ان أقمت واسيناك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا وما فيها فانعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه ﴿وحكى﴾ ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولاشئ وعن دين لايقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لاأب له وعن رجل لاأم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فاجابه أما الشئ فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى وأما لاشئ فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لايقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لاأب له فالمسيح وأما الرجل الذى لاأم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر وأما قوس قزح فامان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل وأما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الأرض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى منادان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا ألقيته عليكم فاخذوا التوراة معذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشئ الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فاجل وبعد غد فامل وأما البرق فخاريق بايدى

الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذى فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما تحتسبه (وحكى) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبوك فما العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأخرأحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى أظنك لا تقول له

ماقلت وكأنى بصوت جلاجلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الامير سأحدد له لسانى وأجريه فى ميدانى قال فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فاخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فاخذها وانصرف راجعا فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ماحاجتك ياأعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابى ما اسمك ياعبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فاين تريد قال امشى فى منا كبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفار فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال ياهذا ائذن لى أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقنى حر الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابى ياجار بنى كعب قال الغضبان بئس الشيخ أنت فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فجبهتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى من الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لأظنك حرورياً قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لاظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرنى على اصلاحه فقال الاعرابى لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لابارك الله فى قوم تسودهم * انى أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبتــه أرجو ضيافتــه * فاظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ماجرى بينه و بين ابن الاشعث و بين الاعرابى قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرض يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك فى البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولانفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كانى بصوت جلاجلك تجلجل فى قصرى هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فاعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه و بناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبرونى بنصح قالوا لايصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فاحضره وقال له كيف ترى قبتى هذه و بناءها قال أصلح الله الامير بنيتها فى غير بلدك لالك ولالولدك لاتدوم لك ولايسكنها وارثك ولاتبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث) الزبير قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد فى عمرك من أعمارنا وان يقيك الاذى باسماعنا وأبصارنا فان الحق لاتعفو آثاره ولاينهدم مناره ولاينبت حبله ولايزول مادمت بين الله و بين عباده والامين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفى نظر أمير المؤمنين مايفرج كربة المكروب و يبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر

امير

أمير المؤمنين فى الضياع التى آفادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل أسلافه الطاهرين الراشدين وقد قمت مقامى هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين و بالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدى ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التى أفرغ عليها غضنى واحتنكت بهاسنى وريش بها جناحى متعوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح ابن على جدى و بينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق فى نصابه وأقره فى داره وأر بابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذواغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتى غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا فى الاصلاب ونطفا فى الارحام وقد منا فى القرابة حيث قدمنا الله منك فى الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فاقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق و يقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤل عن رعيته وان النعم لاينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لاعفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد
هم الصدر المقدم من قريش * وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت * وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تنالكم لحظات عين * وكيف يقل سوددك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر بردضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه (ومن) حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء ماحكى ان عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه وله على ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر ثغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب

عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول أنف أسنان أذن بطن بنصر بزة ترقوة ثمرة تينة ثغر ثنايا ثدى جحمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ درا دير ذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غبب غاصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيثة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدى أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيدنا عليهم شيأ أعطوه ما يتمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ فى الاحسان اليه (وكان) الحجاج بن يوسف الثقفى من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق فى الضحك أتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشأم مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك فى كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامى فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولى اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها واملوح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكى وأنف حمى فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوى الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين أنا للعراق قال ومن أنت لله أبوك قال أنا الليث الضمضام والهزبر الهشام أنا الحجاج بن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعملى السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هناك ثم قال مالى أرى الرؤس مطرقة والالسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا لمجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عنى وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان

لكل

لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والانزار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلني قطعته ومن نازعني قصمته ومن خالفني نزعته ومن دنا مني أكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته فهذه آيتي وعلامتي وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلوني فان كنت للاعناق قطاعا وللاموال جماعا وللارواح نزاعا ولك في الاشياء نفاعا والا فليستبدل بي أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لهاتها الذي تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هيئ له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة اذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أميرا على العراق فتطاولت الاعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن صابي التميمي فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له أسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن صابي وقال لعن الله بني أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرا كما هو ما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص باهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيأ فقال اني لاعرف قد اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شئ نطق به أن قال والله اني لأرى رؤسا أينعت وقد حان قطافها واني لصاحبها واني لأرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طالما أثرتم الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لانكان بكم في البلاد ولاجعلنكم مثلا في كل واد ولاضربنكم ضرب غرائب الابل واني يا أهل العراق لأعد الاوفيت ولأعزم الا أمضيت فاياي وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا فليس مني

الاهذار والا كثلرانما هو هذا السيف ثم لاينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم انى وجدت الصدق مع البر ووجدت البر فى الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور فى النار وقد وجهنى أمير المؤمنين اليكم وأمرنى أن أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه ياغلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيأ فقال الحجاج اكفف ياغلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيأ عليه هذا أدبكم الذى تأدبتم به أما والله لاؤدبنكم أدبا غير هذا الادب اقرأ ياغلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا ياخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الامير انى على الضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الاسفار أفتقبله بدلا منى فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن صابئ الذى يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ فى بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بامير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين ياسياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر ﴿ومن حكايات الحجاج﴾ ما حكى أنه لما أسرف فى قتل أسرى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف فى الدماء وتبذير فى العطاء وقد حكمت عليك فى الدماء فى الخطأ بالدية وفى العمد بالقود وفى الاموال أن تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برأيى فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لى فما أغنانى عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك منى أمر ان لين وشدة فلا يؤمننك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائى بالذى أنا طالبه
فان ترمنى غفلة قرشية * فيارب ما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تامننى والحوادث جمة * فانك تجزى بالذى أنت كاسبه

فلا

فلا تعدما يأتيك منى وان تعد * يقمن به يوما عليك نواديه
فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعط الحقوق فانما النوافل شئ لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر اسرافى فى الدماء وتبذيرى فى الاموال ولعمرى ما بالغت فى عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلى العصاة اسرافا واعطائى المطيعين تبذيرا فليمض لى أمير المؤمنين ما سلف ووالله ما أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم عمدا فاقاديهم ولا قتلت الا لك ولا أعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنا لا أبنى رضاك وأتقى * أذاك فليلى لا توارى كواكبه
ومالامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذى هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصياح نواديه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقص الذى تسرى الى عقاربه
وأعط المواسى فى البلاء عطية * لرد الذى ضاقت على مذاهبه
فمن يتقى بؤسى ويرجو مودتى * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته * ومالم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم منى أردته * ومالم ترده اليوم انى بجانبه
وقفنى على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فانى * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولم يعاود لامر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومنى على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هناك ﴿وفى مروج الذهب للمسعودى﴾ أن أم الحجاج وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوّها لا دبر له وأبى أن يقبل الثدى وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فاخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوه تيسا وألعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدى فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كلدة فدخل عليها يوما فى السحر فوجدها تخلل أسنانها فطلقها فسألته لم فعلت فقال لها ان كنت باكرت الغداء فانت شرهة وان كان بقايا طعام

بقيك فانت قدرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضى الامر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفي فاولدها الحجاج وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف في القتل على مالا يبلغه وصف أحصى من قتله الحجاج بامره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبي أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدناعليهم والله أعلم وقد مضى القول في ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

﴿ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن﴾

﴿حكى﴾ عن أبي عبد الله النميري انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية بالقربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أوعندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال من أجلها ذكرا وأعظمها خطرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لا تزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم

و وقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهي والدة ولده العباس والله أعلم ﴿وحكى﴾ ان هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فانفذ اليها يخطبها و بذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل

فان ولدت فحلا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاءت به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله ابن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فاحدنا و بنا فاندمنا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كاب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلي الاناء بحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يامرها بالتجهيز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند في محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء يا دايتي اكشفي لي سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكي مني فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته هند تقول

وما نبالى اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى ان قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت ياجمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت فى بعض النسخ ماهو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لمولاها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بانفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع منى ما أقول فقال قولى فانشدت تقول

ماسلم الظبى على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف

الظبى فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة فى الجمال فائقة فى الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذ بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه فى وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فاعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها ﴿ومن ذلك﴾ ماحكى ان كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما بحوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عز باه وكتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة فى جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير فى أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا فى ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر فى جوفه * زر من التبر خفى اللحام

فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا فى الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها ﴿وحكى﴾ ان طائفة من بنى تميم كانوا يكسرون أول الفعل فرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد أن يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لاى شئ يابنى تميم ماتكتنون فقالت ولم لا نكتنى

وكسرت

وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيأ من العروض قال نعم قالت قطع لى

حولوا عنا كنيستكم * يابنى حمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحى حتى أخذت بثارك ﴿وحكى﴾ ان شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له ياهذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتنى امض الى دارى وقف بالباب وقل * ألا أيها البنتان ان أبا كما * فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال * ألا أيها البنتان ان أبا كما * وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل * ألا أيها البنتان ان أبا كما أجابتاه بفم واحد * فتيل خذا بالثار ممن أتا كما * ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فاقر بقتله فقتله والله أعلم * وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشى فقال لها تنحى عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى * يجد الندى جنجانها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلى ومثل أمك لطاب ريحهما لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون فيها قالوا عاجلها بالقتل أيها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك ياحجاج قال ومن هو صاحبى قالت فرعون استشارهم فى موسى عليه السلام فقالوا أرجه وأخاه . وأتى باخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهى لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت انى لاستحيى ان أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزى فى كتابه المنتظم فى مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما ولى عمر رضى الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وان فاطمة رضى الله عنها كان صداقها على على ابن أبى طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فادى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه

أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضى الله عنها فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته فى بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة فى يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان فى مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها فى أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب على بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال أفى أمر طعام أم شراب قال بل فى أمر مباعدتك اياها عن فراشك فانشأت تقول المرأة

يا أيها القاضى الحكيم أنشده * أطى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله لا يرقده * فلست فى أمر النساء أحمده

فانشد الزوج يقول

زهدنى فى فرشها وفى الحلل * أنى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النمل وفى السبع الطول * وفى كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضى ان لها عليك حقا لم يزل * فى أربع نصيبها لمن عقل
* فعاطها ذاك ودع عنك العلل *

ثم قال ان الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضى الله عنه لا أدرى من أيكم أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة ﴿حكاية المتكلمة بالقرآن﴾ قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى بعض الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فاذا هى عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادى له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم فى هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمنى ويسقين

فقلت

فقلت فبأى شئ تتوضئين قالت فلم نجد واما فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معى طعاما فهل لك فى الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأناخت ناقتى قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى حتى أعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبى فلما ركبت قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فاخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بامرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك﴾

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان بن أبى حفصة

مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع . ووفد ابن أبى محجن على معاوية فقام خطيبا فاحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنى فى الفلاة فانى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذى يقول أبى

لا تسأل الناس ما مالى وكثرته * وسائل الناس ماجودى وماخلقى

أعطى الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق

ويعلم الناس أنى من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبى محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) أخذ عبد الملك ابن مروان بعض أصحاب شبيب الخارجى فقال له ألست القائل

ومنا شريد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداة لك فكان ذلك سببا لنجاته . ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك ومالله من شريك وان أباك لاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

أيشتمنى معاوية بن حرب * وسيفى صارم ومعى لسانى

وحولى من ذوى يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان

يعير بالدمامة من سفاه * وربات الحجال من الغوانى

ودخل يزيد بن أبى مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرك رسنه وأولاك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتنى والامر لك

وهو

وهو عنى مدبر فلو رأيتنى وهو على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر فى جهنم فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان * وقال يهودى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال على كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة * ووجد الحجاج على منبره مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فاجلسه معه على سريره ثم قال له أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم . وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فاقبل عليهم وقال يا بنى هاشم ان خيرى لكم لممنوح وان بابى لكم لمفتوح فلا يقطع خيرى عنكم ولا يردبابى دونكم ولما نظرت فى أمرى وأمركم رأيت أمرا مختلفا انكم ترون أنكم أحق بما فى يدى منى واذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم فانتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فاقبل عليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله أوسع منك ولئن أغلقت دونا بابا لنكفن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولو لا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر أكفاك أم أزيدك قال كفانى يا ابن عباس . وقال معاوية يوما أيها الناس ان الله حيا قريشا ثلاث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين ونحن عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فاجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة ثلاثة ولو زدتنا زدناك * وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومى قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق

من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية بن قدامة ما كان أهونك على قومك اذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب قال اسكت لا أم لك قال أم لي ولدتني أما والله ان القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وانك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وأسنة حدادا فقال معاوية لا أكثر الله في الناس مثلك يا جارية فقال له قل معروفا فان شر الدعاء محيط باهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلوموني اذا قصرت في عطاياكم فقال له الاحنف والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال حين هتك سترك (ومن ذلك) ما حكي ان الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ما ولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال اني أخاف أن تدركه رقة فيسجد . وقالت عجوز لزوجها أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا وقال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد . وتنبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث الى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ما ذكر ان ابراهيم مغني الرشيد غنى يوما بين يديه فقال له أحسنت أحسن الله اليك فقال له يا أمير المؤمنين انما يحسن الله الى بك فامر له بمائة ألف درهم . وقال رجل لبعض العلوية أنت بستان فقال العلوي وأنت النهر الذي يسقى منه البستان . وذبحت عائشة رضي الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عندك منها فقالت ما بقي منها الا كتف فقال كلها بقي الا كتف وقال عبد الله بن يحيى لابي

العيناء

العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف أنت لنا فامر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو عمرك الله ابن سعد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله قال أنت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك ياأمير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار وقال عمرو وددت لو أن الابيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى صغير أرأيت يافتح أحسن من هذا الفص لفص كان فى يده قال نعم ياأمير المؤمنين اليد التى هو فيها أحسن منه فاعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة . وقيل ان رجلا سأل العباس رضى الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندى أأنت سعيد قال أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أأنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكنى اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية واسأل الله تعالى العون والعناية

﴿الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد﴾

قيل خطب المأمون فقال عباد الله اتقوا الله وأنتم فى مهل بادروا الاجل ولايغرنكم الامل فكأنى بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواضله وهيئت أكفانه وبكاء جيرانه وصار الى التراب الخالى بجسده البالى فهو فى التراب عفير والى ماقدم فقير . وقال الشعبى ماسمعت أحدا يخطب الا تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ماخلا زيادا فانه لايزداد اكثارا الا ازدادا حسانا (وخطب) على رضى الله عنه فقال فى خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم أخذكم وان فررتم منه أدرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجاء النجاء والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ألا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم فى كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس

سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أدخلنا الله واياكم دار النعيم وأجارنا واياكم من العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال فى بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضى الله عنه خطب بالبصرة فقال أيها الناس كل كلام فى غير ذكر فهو لغو وكل صمت فى غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن فى أضغاث أحلام . وقيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان يهلك فهذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء

(فصل فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم) قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى وقيل أمسك على النابغة الجعدى أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا * وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء ولولى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال أفرضت القريض قال نعم قال أرويت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زياد بارك الله لك فى ابنك فاروه الشعر فقد وجدته كاملا وانى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اروا الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق ويقى مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم فى البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فأثبتنى الا قول القائل

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

وقيل لم يرقط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحمر كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة ويذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم فى بيت من الشعر شكوا فيه فابى . وكان الحسن بن على رضى الله عنه

يعطى

يعطى الشعراء فقيل له فى ذلك فقال خير مالك ماوقيت به عرضك . وقال أبو الزناد مارأيت أروى للشعر من عروة قلت له ماأرواك يا أبا عبد الله فقال ومارواينى مع رواية عائشة رضى الله عنها ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشهد أنك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له (ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم) * (فمن ذلك) قول قيس بن الخطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ما أخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهى معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

(ومن ذلك) قول عبدة بن الطيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

أخذه من قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويقال من سرق شيأ واسترقه فقد استحقه وأن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ . فمن السرقة الفاحشة قول كثير فى عبد الملك بن مروان

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد درين

أخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروى

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة تبحره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

وقد قال الشماخ

وأمر ترجى النفس ليس بنافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر

ترجى النفوس الشئ لا تستطيعه * وتخشى من الاشياء ما لا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا فى سواد المطالب

أخذه من قول الاخطل

رأيت بياضا فى سواد كأنه * بياض العطايا فى سواد المطالب

﴿ومن سقطات الشعراء﴾ ماقيل ان أبا العتاهية كان مع تقدمه فى الشعر كثير السقط روى أنه لقى محمد بن مبادر بمكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة فى كل سنة وأنا أقول فى كل سنة مائتى قصيدة فادخله الرشيد اليه وقال ماهذا الذى يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول

ألا ياعتبة الساعه * أموت الساعة الساعه

لقلت كثيرا ولكنى أقول

ابن عبد الحميد يوم توفى * هدر كنا ما كان بالمهدود

مادرى نعشه ولا حاملوه * ماعلى النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه فى الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سليمى حبتى * قصب السكر لاعظم الجمل

واذا أدنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله اذا قامت لمشيتها تئنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله فى الفخر

كان مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذا * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبى فى فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقوته على رقائق المعانى وعلى مافى شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

وغير شئ معناه المعدوم والمعدوم لايرى فهذا سقط فاحش . ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تمجه الاسماع قوله

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقوله

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ و برودة المعنى

ان كان مثلك كان أوهـ وكائن * فبرئت حينئذ من الاســلام

ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس أهـل الهب أولى * باهل المجـد من نهب القماش

أخذه من قول أبي تمام

ان الاسـود أسـود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

قال أبو عبد الله الزبيرى اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسـلام

وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبـك وقبح شعره فهلا قال فادخلى بسـلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذى يقول

يقر بعينى مايقـر بعينها * وأحسن شئ مابه العين قرت

وليس شئ أقر بعينها من النكاح أيحب صاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذى يقول

فـلو تركت عقلى معى ماطلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فما أراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبـك وقبح شـعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذى يقول

أهيم بدعـد ماحييت فان أمت * فواحزنى من ذا يهيم بها بعدى

فما له همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

أهيم بدعد ماحييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذى يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا * ليـلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بانعم ليـلة وألذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحـد منهم وأحجم رواتهم عن جوابها رضى الله عنها (وروى) ابن الكلبى قال لما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء

كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فاقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فى الدخول حتى قدم عدى بن أرطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجى مطيته * هذا زمانك انى قد خلا زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * أنى لدى الباب كالملهود فى قرن
لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضى الله عنه مالى وللشعراء فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبى ربيعه القرشى قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه أليس هو القائل

ألا ليتنى فى يوم تدنو منيتى * شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله * وليت حنوطى من مشاشك والدم
وياليت سلمى فى القبور ضجيعتى * هنالك أوفى جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذرى قال أليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها وتلتقى * مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

أبعده الله فوالله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال أبعده الله والله لا دخل على أبدا أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بينى وبين سيدها * يفر منى بها وأتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفتخر بالزنا فى قوله

هما دليانى من ثمانين قامة * كما انقض بازل بين الريش كاسره

فلما

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الاحراس لايفطنوا بنا * ووليت فى أعقاب ليل أبادره

والله لادخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبى قال أليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمرى * ولست بآكل لحم الاضاحى * ولست بزاجر عيسا بكورا
الى أطلال مكة بالنجاح * ولست بقائم كالعبد يدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى فوالله لادخل على أبدا ولاوطئ لى بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولابد فهذا فاذن له قال عدى بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل ياجرير فدخل وهو يقول

ان الذى بعث النبى محمدا * جعل الخلافة فى الامام العادل
وسع الخلائق عدله ووقاره * حتى ارعووا وأقام ميل المائل
انى لارجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولاتقل الاحقا فانشأ يقول

كم بالبيامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن بعدلك يكفى فقد والده * كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت * أم قد كفانى مابلغت من خبرى
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ماترجو من المطر
ان الخلافة جاءته على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير مادمت حيا لايفارقنا * بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال والله ياجرير لقد وافيت الامر ولاأملك الا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله ابنى وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله ياأمير المؤمنين انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك ياجرير فقال ورائى مايسوء كم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض ثم أنشأ يقول

رأيت رقى الجن لايستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

﴿ومما جاء فى كبوات الجياد وهفوات الاجواد﴾ قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقلت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا أبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان أوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان أبوك قال كانت له فتوة ومروأة ومكارم أخلاق ولم يكن أهتم سلاجا وقال سعيد بن المسيب ما فاتنى الاذان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد وقال قتادة ما نسيت شيأ قط ثم قال يا غلام ناولنى نعلى قال النعل فى رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بنى أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادى حدا به يوما فقال

ان عليك أيها النجى * أكرم من يمشى به المطى

فقال هشام صدقت وذكر عنده سليمان أخوه فقال والله لاشكونه يوم القيامة الى أمير المؤمنين عبد الملك ولما ولى الخلافة قال الحمد لله الذى أنقذنى من النار بهذا المقام قال النابغة أى الرجال المهذب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

(الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعانى أجبته ومن استغاثنى أغثته ومن استنصرنى نصرته ومن توكل علىّ كفيته فانا كافى المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكى) انه كان فى زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففى بعض الايام رؤى عبد يصفق ويرقص ويغنى فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال ان سيدى عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمنى منها فلهذا أنا اذا لا أبالى فانا أرقص وأفرح

فعند

فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى) أن حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قد مه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرض والد كر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم أن يذهب الى بيت ربه فى هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيأ ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يبكونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ما تكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وانك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلنى معهم فبيناهم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير بابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت الهى وسيدى سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فاخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدى لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيأ وأخبرت انهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروأة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ثم قال لاصحابه من أحبنى فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يجب أن تفرحى فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله انما بكائى كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فاغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد طرفة عين اللهم انظر الى

أبيناودبره باحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما وحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفى الامير من وقته فامر له بما يركب ومايا كل ومايشرب فنام تلك الليلة مفكرا فى أمر عياله فقيل له فى منامه ياحاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فا كثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لاينظر الى أكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه . ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذى قسم له لايفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذى قضى عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال ياغلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن تنفعك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام ﴿ورفع﴾ الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بنى أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعانى الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتنى بفلان الاموى وهذا كتابى الى العامل لاتوصله له الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعاده بعد أن تحصى جميع ماتراه وماتكلم به واذكر لى حاله وما له وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوى المنازل ليلا ونهارا لاأنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموى فاذا هى دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم رهيئة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عنى فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت فى وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لى هو فى الحمام فاكرمونى وأجلسونى وأمروا بمن معى ومن صحبنى الى مكان آخر وأنا أتفقد الدار وأتأمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم على وسألنى عن أمير المؤمنين فاخبرته أنه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له أطباق الفاكهة فقال تقدم يامنارة

كل

كل معنا فتأملت تأملا كثيرا اذلم يكنني فقلت ما آكل فلم يعاودني ورأيت مالم أره الافي دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله مارأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يامنارة فكل قلت ليس لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت الى أصحابي فلم أجد أحدا منهم عندي لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فاتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما أقدمك يامنارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وماشككت أنه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر أيمان البيعة لايجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات يامنارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت ياهذا ألست تعلم ان أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أنفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ماتدري ماتقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد أخطأت فراستي فيك يامنارة ماظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامي لاتصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروجي على ماذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية أمير المؤمنين فهو لايضر ولاينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى علي بامر فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر الله على شئ فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالي ذنب فاخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين بهتان وأمير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتي فهو لايستحل مضرتي وعلى عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم أعرض عني وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال هات يامنارة أخبرني من يوم خروجك عني الى يوم قدومك على فابتدأت أحدثه بامورى كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه

وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدى لاصحابى فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه أسفر وجهه واستبشر فلما أخبرته بحديثى معه فى ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لى قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه رأى عيناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله اخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله على مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعى الى بلدى وجمع شملى باهلى وولدى قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين فى عماله ما أحوجنى الى سؤال قال فقلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يا منارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذى أخذته منه قم فى حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه . وروى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة فى التوراة فكتبها وهى يا ابن آدم لا تخافن من ذى سلطان ما دام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق ما دامت خزائنى ملآنه وخزائنى لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك فان طلبتنى وجدتنى وان أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفى أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البر ولا ينالك منها الا ما قد قسمته لك وكنت عندى مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعى بخلقهن أفيعيينى رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا يا ابن آدم لا تطالبنى برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فانى لم أنس من عصانى فكيف من أطاعنى وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط (قال الشاعر)

ومالم الا الله فى كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتى ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم أنفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن فى الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذى ترجوه منه تفضلا

﴿الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى﴾ جاء فى تفسير قوله تعالى من عمل صالحا

من

من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يارسول الله ما القناعة قال الاياس مما فى أيدى الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهى الشئ فيدافعه سنة قال الكندى

العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع

وقال بشر بن الحرث خرج فتى فى طلب الرزق فبينما هو يمشى فاعيا فاوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هى

انى رأيتك قاعدا مستقبلى * فعلمت انك للهموم قرين * هون عليك وكن بربك واثقا فاخو التوكل شانه التهوين * طرح الاذى عن نفسه فى رزقه * لما تيقن أنه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم فى مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفى ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه فالحائك اذا رأى من صاحبه تقصيرا أو خلفا قال ويلك ياحجام والحجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك ياحائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوى فى بيت من قطعة خيش معمد بعظام الجيف كلبه معه فى بيته لباسه شملة من وبر أو شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلى زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو فى مفازة لا يسمع فيها الا صوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه يابنى اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ الا أغناك الله عنه * وأصاب داود الطائى فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبى حنيفة رضى الله عنه بار بعمائة درهم من تركة أبيه وقال هى من مال رجل ما أقدم عليه أحد فى زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيأ لقبلتها تعظيما للميت واكراما للحى ولكنى أحب أن أعيش فى عز القناعة * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البريه واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وأنشد المبرد

ان ضن زيد بما فى بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط
ان الذى قدر الاشياء بحكمته * لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجه

أرفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة * وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدى فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شئ فقالا له انه لم يدع أحد شيأ لله الا عوضه الله منه بدلا فما عوضك عما تركت له قال الرضا بما أنا فيه * وقال الثورى ما وضع أحد يده فى قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل من رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس فى الشتاء جلالى ونور القمر سراجى وبقل البرية فاكهتى وشعر الغنم لباسى أبيت حيث يدركنى الليل ليس لى ولد يموت ولا بيت يخرب أنا الذى كبيت الدنيا على وجهها (بيت مفرد)

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

(وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شئ من أرزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها * وقيل وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه حاجة فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى ليس يعيينى

وقد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على جهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بالفى دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين منى السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فاكديت فرجعت فاتانى رزقى فى منزلى * ولما ولى عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصارى وثقفى فلما سار تخلف الانصارى وقال الذى أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطينى فوفد الثقفى وقال أحوزا لحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصارى قال رجع الى أهله فامر للثقفى باربعة آلاف دينار وبعث الى الانصارى بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفى وهو يقول

فوالله ما حرص الحريص بنافع * فيغنى ولا زهد القنوع بضائر

خرجنا

خرجنا جميعا من مساقط رأسنا * على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أنخنا الناجعات ببابه * تخلف عنى اليثربى ابن جابر
وقال ستكفينى عطية قادر * على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
فان الذى أعطى العراق ابن عامر * لربى الذى أرجو لسد مفاقرى
فقلت خلالى وجهه ولعله * سيجعل لى حظ الفتى المتزاور
فلما رآنى سال عنه صبابة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر
فآبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضائرا شئ خلاف المقادر

قيل أوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب

ولا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
وأن العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوى العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أترانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبى وابن نبى * ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك على بغلتى فاخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على وفى يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال على رضى الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له وقيل لراهب من أين تأكل فاشار الى فيه وقال الذى خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين وقال سليم بن المهاجر الجيلى

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم آت البخيل ولم أقم * على بابه يوما مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه أن يرى * الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك فى رزقه شك فى خالقه وقال أبو حازم ما لم يكتب لى لو ركبت الريح ما أدركته وقال عمر بن أبى عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه * وانى فى الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستانى

غنى بلاد نيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشئ لابه

وقال منصور الفقيه

الموت أسهل عندى * بين القنا والاسنه * والخيل تجرى سراعا
مقطعات الاعنه * من أن يكون لنذل * على فضل ومنه

وأنشد أعرابى

أيامالك لاتسأل الناس والتمس * بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولوتسأل الناس التراب لاوشكوا * اذاقيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال عليك باليأس مما فى أيدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشئ فى السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لولم نعش الامن حيث نعلم لم نعش وقال أعرابى أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك وقال المعرى

اذا كنت تبغى العيش فابغ توسطا * فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى أهلة * ويدركها النقصان وهى كوامل

وقال آخر اقنع بايسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص * ولا تعكر الا فى الزيادات

وقال أعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصرى

وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب * اذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغى أن يكون المرء فى دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخى قال لى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرنى عما أنت عليه قلت ان رزقت أكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل الكلاب فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هى القناعة فالزمها تعش ملكا * لولم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا باجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال

وقال آخر

وان القناعة كنز الغنى * فصرت باذيالها ممتسك * فلاذا يرانى على بابه
ولاذا يرانى له منهمك * فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلى الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكى من الفرح و يقول باى يد كانت منى تركت مثلى على هذه الحالة والله تعالى أعلم

﴿الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل﴾ قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر و روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فامضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الأمة بالبخل والامل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد فى رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

وقال آخر وأجاد

قد شاب رأسى ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا الفى تعب

وقيل للاسكندر ما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فاقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى ما أبلغه وعن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا فى اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل مسىء العمل وقيل من جرى فى عنان أمله كان عاثرا باجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن أبو العباس أحمد بن مروان فى قوله

وذى حرص تراه يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه

ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد أحسن من قال فى الجناس الحقيق

اذا ما نازعتك النفس حرصا * فامسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم أنت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من أطال أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد بن المعذل

ولى أمل قطعت به الليالى * أرانى قد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الامانى فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط فى الدنيا ولا فى الآخرة قال قس ابن ساعدة

وما قد تولى فهو لا شك فائت * فهل ينفعنى ليتنى ولعلنى

وقال آخر

* ولا تتعلل بالامانى فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب

وقال آخر وأجاد

الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المنى فى الصدر وسواس

وقال آخر

شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاء فما ندرى أندركه * أم يستمر فيأتى دونه الاجل

وقال أبو العتاهية

لقد لعبت وجد الموت فى طلبى * وان فى الموت لى شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتى فيما خلقت له * ما اشتد حرصى على الدنيا ولا طلبى

وله أيضا تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(وقد ضمنت البيت الاخير فقلت)

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء فى الطمع وذمه) قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضى الله عنه ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفى الحديث اياك

اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس * واجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة البربوعي فتواصوا ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلمي ان نفع * ما الذل الا في الطمع * من راقب الله نزع
عن سوء ما كان صنع * ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

(وقال سابق البربري)

يخادع رب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها ورب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران في جنازة الا قدرت ان الميت أوصى لي بشئ من ماله وما زفت عروس الا كنت بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها الى قال بعضهم

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي * استدعاك تطلب ما لديه

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب﴾

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واختلف أهل التأويل في أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان في غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم

من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأى * وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة وأما الرجل الذى هو نصف رجل فالذى له رأى ولا يشاور وأما الرجل الذى ليس برجل فالذى ليس له رأى ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عنى ثنتين لا تقل فى غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة وانى لاستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال اعرابى لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق أن لا يخيب رأيه وقيل الرأى السديد أحمى من البطل الشديد (قال أبو القاسم النهروندى)

وما ألف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا

فاضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فانفذه عاجلا * فان فساد العزم أن يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكانما * آراؤه اشتقت من التأييد
فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

(ولمحمد الوراق)

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا
وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بداله تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير اننى * عدلت عن الامر الذى كان أحزما
فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما
أخاف التواء الامر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما

(وقال آخر)

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

(ووصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب

وقال

وقال أردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لاتستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لايستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لاتكونن أول مشير واياك والرأى الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لحوح وقيل ينبغى ان يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكم ناقد فى شئ ضعيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لايجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق أحدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم أيضا المشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجانى بمن لاذنب له وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بان تقول أنت فعلت وأنت أمرتنى ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال أفلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لايشكره فهو كمن يذرى السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

بصير باعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لاتشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد (ولما) أراد نوح بن مريم قاضى مرو أن يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه

و يقضى الله تعالى فى أمره مايحب وقال بعضهم خير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لاتشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا وقيل سبعة لاينبغى لصاحب لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكى) أن رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبنى دين أثقل كاهلى وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتى الى مالا بد منه وضاقت على أرضى ولم أهتد الى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى فاشار على بقصد المهلب بن أبى صفرة بالعراق فقلت له تمنعنى المشقة و بعد الشقة وتيه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله مازادنى على ماذكره الصديق الاول فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الامير انى قطعت اليك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار على بعض ذوى الحجا والرأى بقصدك لقضاء حاجتى فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتى فان قمت بها فاهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما فى خزانة مالنا الساعة فاخذنى معه فوجدت فى خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب بى اليه مسرعا فقال هل ماوصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يامن على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الارض قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت دينى ووسعت على أهلى وجازيت المشير على وعاهدت الله تعالى أن لاأترك الاستشارة فى جميع أمورى ماعشت (وحكى) عن الخليفة المنصور أنه كان صدر من عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لاتحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن على وكان واليا على الكوفة ما أفسد

عقيدته

عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتارق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فادته فكرته الى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادته اكرامه ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا الى على حمل ثقله فهل أنت فى موضع ظنى بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسى طوع أمره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على ما بعضه يبيح دمه وفى قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا أن ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمى وأفكرت فى قتله رأيت من الرأى ان أشاور فى قضيته من له رأى عسى أن أصيب الصواب فى ذلك فاحضرت يونس بن قرة الكاتب وكان لى حسن ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرنى بقتله واخفاء أمره فما رأيك فى ذلك وما تشير به فقال لى يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فانى أرى لك ان تدخله فى مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل أحد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وأظهر لامير المؤمنين انك قتلته وأنفذت أمره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنى به اذا تحقق منك انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره أنكر أمره لك وآخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لامير المؤمنين انى أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه انى قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على أن يسألوه فى أخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه فى عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضى اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو فى مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجى الى الحج عمى عبد الله ليكون عندك فى منزلك الى حين رجوعى فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فائتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك

بذلك ولو أردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا انني أمرته بقتله وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فاخذوني الى الرحبة واجتمع الناس على فقام واحد من عمومتي الى وسل سيفه ليضربني به فقلت له يا عم أفاعل أنت قال اى والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخي فقلت لهم لا تعجلوا وردوني الى أمير المؤمنين فردوني اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت قتلي بقتله والذي دبرته على عصمني الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حي سوى فان أمرتني بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة فاطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع رأسه وقال اثتنا به فمضى عيسى وأحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور أسكن عبد الله في بيت أساسه قد بني على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة

﴿ومما جاء في النصيحة﴾ اعلموا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه الصلاة والسلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هود بكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم . فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له باهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا . والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب . والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم

وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم . والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى مايشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم (واعلم) ان جرعة النصيحة مرة لايقبلها الا أولوالعزم وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لاينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه مايكره وفى منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لانصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون فى الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انى النذير فلا يغرركم أحد
لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما ذخائره * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد أعددتك لامر قال ياأمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعدلك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الاصمعى

النصح أرخص ماباع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولاتلم
ان النصائح لاتخفى مناهلها * على الرجال ذوى الالباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
فخالفت الذى لك فيه حظ * فنالك دون ماأملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لايضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما
أمرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما
فما أنا بالباكى عليك صبابة * وما أنا بالداعى لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولاترفدن النصح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا

وفى مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الرأى يستغششك مالم تتابعه
فلا تمنحن الرأى من ليس أهله * فلا أنت محمود ولا الرأى نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن وقال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة وروينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان . وقال شيخنا محيى الدين النووى رحمة الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها أنكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمر وابه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ . وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع أثر . ومن كلام على رضى الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وأنشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحى من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير . قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان أتيتنى بعبد آبق كتبتك عندى جيدا ومن كتبته عندى جيدا لم أعذبه بعدها أبدا وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظنى وأوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد أحب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت أن لا تسىء الى من تحب فافعل وقال النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات . ولما لقى ميمون ابن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب ان ألقاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون فقال عليك السلام أبا سعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة . ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فاتكما منها فانكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان ان أباه كان يحبه فاحباه ثم قال يا بنى أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الصديق والعدو والعمل فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بنى من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضى بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بيته ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بنى الادب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بنى العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحد فى ترك مجالسة السفهاء يا بنى زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بنى لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بنى الحرص مفتاح التعب ومطية النصب (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جادا لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما جل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له وقال الاوزاعى لا منصور فى بعض كلامه

يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو أن ثوبا من النار وضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احذر أن يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وروى زياد عن مالك ابن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بايديهم السيوف يضربون الاعناق فاوما الينا أن اجلسا فجلسنا فاطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن يناله شئ من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كان ينبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسي * وقال سيدي الشيخ أبو بكر الطرطوشي

رحمة

رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت رد اجميلا وأكرمني اكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها الملك ان الله تعالى قد أحلك محلا عليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالافعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عددتموها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وأمانا للخائف ثم أتممت المجلس بأن قلت قد رحت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدته

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثارا حسان

(وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شئ لا يخرجه الا عالم فانظر لي رجلا أسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال جد لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لي رجلا أسأله قلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال جد لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا

العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قائم يصلى فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فاطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفى اليه فقال أوه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام تقى من قلب تقى فقال جدلما جئناله رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حلت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبالك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا على فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت وانى لأقول هذا وانى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدنى فقال يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا أخى اذكر سهر أهل النار فى النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك فقال له لقد خلعت قلبى بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدنى قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله أمرنى امارة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدنى يرحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عن هذا الخلق يوم

القيامة

القيامة فان استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لرعيتك فان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعليك دين قال نعم دين لربى يحاسبنى عليه فالويل لى ان ناقشنى والويل لى ان سألنى والويل لى ان لم يلهمنى حجتى قال هرون انما أعنى دين العباد قال ان ربى لم يأمرنى بهذا وانما أمرنى ان أصدق وعده وأطيع أمره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك فقال سبحان الله أبادلتك على سبيل الرشاد تكافئنى أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لى هرون اذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا فان هذا سيد المسلكين اليوم (واعلم) ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته

* وقالت أم الدرداء رضى الله تعالى عنها من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه ويقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره

* وعن عبد العزيز بن أبى رواد قال كان الرجل اذا رأى من أخيه شيأ أمره فى ستر ونهاه فى ستر فيؤجر فى ستره ويؤجر فى أمره ويؤجر فى نهيه وعن عمر رضى الله تعالى عنه اذا رأيتم أخاكم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم وبالله التوفيق الى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث عشر فى الصمت وصون اللسان والنهى عن الغيبة والسعى بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الصمت وصون اللسان﴾ قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد (واعلم) انه ينبغى للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب فى العادة والسلامة لا يعادلها شئ وروينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعى رضى الله عنه فى الام اذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر فى كلامه فان ظهرت المصلحة

تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيحيهما عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى (وأما الآثار) عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لاتحصر لكن ننبه على شئ منها * فمما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من ان تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع يار بيع لاتتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عداعليك ولحقك شره ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الانسان * لايلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني أميه
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعى فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على أمر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لاغممت صفيحتك ولو رأيت ما في

ميزانك

ميزانك ختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ماهو أبلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان في اغتنام وقيل لرجل بم سادكم الاحنف فوالله ما كان باكبركم سنا ولا باكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ماندمت على مالم أقل مرة وندمت على ماقلت مرارا وقال قيصر أنا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ماقلت وقال ملك الصين مالم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فاصابه فقال ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ماهلك وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يابني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

﴿الفصل الثاني في تحريم الغيبة﴾ اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لايسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بمايكره ولو بما فيه سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فاما الدين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات ليس بارا بوالديه قليل الادب لايضع الزكاة مواضعها لايجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج أو أعمش أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لايرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف أو حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سيء الخلق متكبر مراء معجب عجول جبار ونحو ذلك أو فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد روينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون

ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذى حديث حسن صحيح وروينا فى سنن أبى داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه وروينا فى سنن أبى داود عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم وروى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزنى فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جىء به يوم القيامة من رقة عيناه ينادى بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس عند الله أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الاحنف فى خصلتان لا أغتاب جليسى اذا غاب عنى ولا أدخل فى أمر قوم لا يدخلونى فيه وقيل للربيع بن خثيم ما نراك تعيب أحدا فقال لست عن نفسى راضيا فاتفرغ لذم الناس وأنشد

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها * لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان وأول من عمل السويق ذو القرنين وأول من عمل الحيس يوسف وأول من عمل خبز الجرداق نمروذ وأول من كتب فى القراطيس الحجاج وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام . وأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو أول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصرى رضى الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فاهدى اليه طبقا من رطب فاتاه الرجل وقال له اغتبتك فاهديت الى فقال الحسن أهديت الى حسناتك فاردت أن أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا أحدا اغتبت والدى لانهما أحق بحسناتى * واذا حكى انسان انسانا بان يمشى متعارجا أو مطأطئا أو غير ذلك

من

من الهيآت يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما تفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذى لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة ﴿واعلم﴾ أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يسمع انسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهى سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومما أنشدوه فى هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه
وكم أزعج الحرص من طالب * فوافى المنية فى مطلبه

﴿الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة﴾ قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذى يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصرى هو الذى يغمز باخيه فى المجلس وهو الهمزة اللمزة وقال على والحسن البصرى رضى الله عنهما العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس رضى الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من أبوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وروينا فى صحيح البخارى ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله قال الامام أبو حامد الغزالى رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغى للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغى لمن حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا ان لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك

وينصحه ويقبح فعله ويبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن أبى بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بنى يعنى ولد زنا قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا يتم على الناس الا ولد بغى وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذى يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذى قدرة فهى المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال فى النوازل والاحوال وتسلب العز يزعزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغى لساع أو يستمع لنمام ووجد فى حكم القدماء أبغض الناس الى الله المشاء قال الاصمعى هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفى المثل السائر من أطاع الواشى ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا فى كتاب أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر . ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح أم على غش يناجينى
انى لاكثر مما سمتنى عجبا * يدتشج وأخرى منك تأسونى

تغتابنى

تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل عنك يأتينى
هذان شيآن قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

وقيل لالف لحوح جوح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبى براقش وأبى قلمون فأبو براقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون فى اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذى لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح ويمناه ممدودة وأصابعها مضمومة الا السبابة فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور بأضعف نسيم يصيبه والذى يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضا ويقال أخلاق الملوك مثل فى المتلون قال بعضهم

ويوم كاخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه اياك يامن صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الاحنف فى شئ بلغه عنه فأنكره الاحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية واذا أتاه ساع يقول له ان صدقتنا أبغضناك وان كذبتناعاقبناك وان استقلتنا أقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ وأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة * وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا أفسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها ان يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

﴿وقال آخر﴾

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شئ لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

﴿وقال آخر﴾

ان يعلموا الخير أخفوه وان علموا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

﴿وقال آخر﴾

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت أحسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذى أتاها

﴿ومما جاء فى النهى عن اللعن﴾

مارو ينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك . وثبت فى الاحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وأنه قال لعن الله المصورين وأنه قال لعن الله من لعن والديه وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وأنه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله أعلم

﴿ومما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

﴿وقال جعفر بن الفراء﴾

من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال

وقال اعرابي رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير يقول في خصلتان ما يسرني بهما رد بصري قلة الاعجاب بنفسي وخلو قلبي من اجتماع الناس الى وقال عمر رضي الله عنه خذوا حظكم من العزلة . وصعد حسان على أطم من آطام المدينة ونادى باعلى صوته ياصباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فاحببت أن تسمعوه قالوا هات ياحسان فقال

وان امرأ أمسى وأصبح سالما * من الناس الا ماجنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية . وقيل لعروة أخي مرداس لم لاتحدثنا ببعض ماعندك من العلم فقال أكره أن يميل قلبي باجتماعكم الى حب الرياسة فاخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضيل في مرضه نعوده فقال ماجاء بكم والله لو لم تجيؤا لكان أحب الي ثم قال نعم الشئ المرض لولا العيادة وقيل للفضيل ان ابنك يقول وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه ولا يروني فقال ويح ابني لم لا أتمها فقال لا أراهم ولا يروني وقال علي رضي الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزمه بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفيان الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وقيل لراهب في صومعته ألا تنزل فقال من مشى على وجه الارض عثر والكلام في مثل هذا كثير وقد كتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه﴾

روى عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله في الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم نكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ما هو قال ظل الله في الارض فاذا أحسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعية ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الا ضاقت عليه رحمة الله تعالى التي وسعت كل شئ وقال مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك ورقاب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم

عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة لاتشغلوا ألسنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لشيرين ما أحسن هذا الملك لو دام فقالت لو دام لأحد ما انتقل الينا وسمر طارق الشرطى بابن شبرمة فى موكبه فقال

أراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فما رفع اليه حاجة فقال لاأعد هذا اليوم من أيام ملكى وقال الجاحظ ليس شئ ألذ ولا أسر من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن أعناق الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس * وقيل الملك خليفة الله فى عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال أردشير لابنه يابنى الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس ومالم يكن له أس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامر أنه حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولدله ولد فقتلك وأغار العرب على نواحى فارس فى صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع اكتاف سبعين ألفا فقيل له ذوالاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وأن يسكنوا بيوت الشعر وأن لايركبوا الخيل الاعراة (وقيل) من أخلاق الملوك حب التفرد كان أردشير اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على أحد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه عمامة لم يجترئ أحد من خلق الله أن يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرنى من سافر الى اليمن انه لايا كل الاوز بها أحد غير الملك وقيل من حق الملك أن يفحص عن اشرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان أردشير متى شاء قال لارفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك فى هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضى الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية أثره وتعرف الى زياد رجل فقال أتتعرف الى وأنا أعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذى عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى فى امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال

يصفها

يصفها ويصف أحوالها حتى أبهتني

﴿وما جاء في طاعة ولاة أمور الاسلام﴾ أمر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم . وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في أرضه من نصحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال أحسن طاعة قال فاطعني كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى يبدو عقباك وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالسمع والطاعة لولي الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم أرشدني الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة أن طاعة الائمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم أركان الملة وان أرفع منازل السعادة طاعة السلطان ان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة بريء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وان الخروج منها خروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا في أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها في كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما يناه ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وأن يصلح شأننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

﴿الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته﴾

(أما صحبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال لى أبى يابنى انى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وانى أوصيك بخلال ثلاث لاتفشين له سرا ولاتجربن عليه كذبا ولاتغتابن عنده أحدا قال الشعبى رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال اى والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تانيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فاخذ وافى الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولاتكثر فى الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان لاتغتر بالسلطان اذا أدناك ولاتتغير منه اذا أقصاك

• وروى ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وماهن قال لاتهتك لى سترا ولاتشتم لى عرضا ولاتقبل فى قول قائل حتى تستشيرنى قال هذا لك فماذا لى عليك قال لاأفشى لك سرا ولاأدخر عنك نصيحة ولاأوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستصحب أنت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلاتطعه فى معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك أغلظ من ايقاعه وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلاتترك الهيبة وان طال أنسك بهم تزدد غما • وقالوا علم السلطان وكأنك تتعلم منه وأشر عليه وكأنك تستشيره واذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لاتدرى متى يتغير منك فيكونون عونا عليك واياك أن تعادى من اذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك فى ثيابه فعل وفى الامثال القديمة احذر وازمارة المخدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذى ياتيك متزرا * مثل الشفيع الذى ياتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق ﴿وأما ماجاء فى التحذير من صحبة السلطان﴾ فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهى عن صحبة السلطان قال فى كتاب كليلة ودمنه ثلاثة لايسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة • وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفى حكم الهند صحبة السلطان

على

على مافيها من العز والثروة عظيمة الخطر . وقيل للعتابى لم لا تصحب السلطان على مافيك من الادب قال لانى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويرمى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون . وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويبطش بطش الاسد . وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عنى أربعا لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا ممن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فاهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * فى البحر ترجف دائما من خوفه
ان أدخلت من مائه فى جوفها * يغتالها مع مائها فى جوفه

وفى كتاب كليلة ودمنه لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا أن يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر . وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لم كوبه أخوف . وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين . وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك . وقيل من صحب السلطان قبل أن يتأدب فقد غرر بنفسه . وقال ابن المعتز من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيسا وكراما فزده تهيبا واحتشاما . وقال أبو على الصغانى اياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال حسان بن ربيع الحميرى لا تثقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤون ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بادنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

اذا ماقطعتم ليلكم بمدامكم * وأفنيتموا أيامكم بمنام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يغشاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بايسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من أمنه الجرىء وخافه البرىء والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزراء فقال أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد المملكة وأن يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على أن بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفى الامثال نعم الظهير الوزير وأول مايظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله فى انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل فى الخلق ذكره وترسخ فى النفوس

عظمته

عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفى كتاب كليلة ودمنة لايصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف فى كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذى يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافى فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس فى الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط فى الوزير أن يكون صدوقا فى لسانه عدلا فى دينه مأمونا فى أخلاقه بصيرا بامور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الامانة والبصيرة وليحذر الملك أن يولى الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل • ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب •

وأشار الى الذمى فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام * وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان فى الاولى انك لست بالله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لايصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك فى أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فنم ولا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموضع المرآة من البصر فكما أن من لم ينظر فى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم (واعلم) أنه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من

الرأس وكما أن المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر﴾

(أما الحجاب) فقد قيل لا شئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل اذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني أبي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيأ من أمور المسلمين ثم نجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القسري يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسي فلا تحجبن عني أحدا فان الوالي لا يحتجب الا لثلاث عيب يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسئل شيأ وكانت العجم تقول لا شئ أضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولا شئ أهيب للرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذي هو أشد منه قال وقوف الشريف بباب الدني ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا أفهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضا كان الحمار مطيتي * ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب (قال الشاعر)

رأيت أناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا

ونحن جلوس ساكتون رزانة * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا

ووقف رجل خراساني بباب أبي دلف العجلي حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها اليه وفيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فاجابه

فأجابه أبو دلف بقوله

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابى

(ومن) محاسن النظم فى ذم الاحتجاب قول بعضهم

ساهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لابد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

﴿وقال آخر﴾

ماذا على بواب داركم الذى * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو رد نار داجيا لا عنكم * أو كان يدفع بالتى هى أحسن

﴿وقال آخر﴾

أمرت بالتسهيل فى الاذن لى * ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن ترانى بعدها عائدا * ولن تراه بعد مستأذنا

﴿وقال آخر﴾

ولقد رأيت بباب دارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير
مابال دارك حين تدخل جنة * و بباب دارك منكر ونكير

﴿وقال آخر﴾

اذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * محياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

﴿وقال آخر﴾

ساترك بابا أنت تملك اذنه * ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رحلى مسرعا نحو مالك

﴿وقال آخر﴾

ماذا يفيدك أن تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت الا فى الحصار معى فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

﴿وقال أبو تمام﴾

ساترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا

اذا لم تجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الى نفسى وانماهى هجعة وأهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذى قال لك قال قال كلاما لا افهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما أمهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه و بذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهنى لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته . وجاء النامى الشاعر لبعض الامراء فحجبه فقال

ساصبر ان جفوت فكم صبرنا * لمثلك من أمير أووزير
رجوناهم فلما أخلفونا * تمادت فيهم عبر الدهور
* فبتنا بالسلامة وهى غنم * و باتوا فى المحابس والقبور
* ولم نأل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور *

(وأنشدوا فى ذلك أيضا)

قل للذين تحجبوا عن راعب * بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقيا كم بوّابكم * فالله ليس لبابه بواب *

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك ياسعد فقال ومالى لا أبكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبك فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله . واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة * أطوى اليه سائر الابواب
واذا حضرت رغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

﴿وأما ذكر الولايات ومافيها من الخطر العظيم﴾ فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء فى التفسير ان من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذى فى قلبك حبه خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الذى أصاب سليمان بن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جزادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب

ان

أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضى لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة وفى الحديث من ولى من أمور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى أماكنها فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به فى نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضى الله عنه سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان اى والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا فى واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضى الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالارض وروى أبو داود فى السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى عريف على الماء وانى أسألك أن تجعل لى العرافة من بعده فقال النبى عليه الصلاة والسلام العرفاء فى النار وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة وقال الحسن البصرى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خرلى فقال اقعد فى بيتك وقال أبو هريرة رضى الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جىء به يوم القيامة مغلولا أنجاه عمله أو أهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدرى يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكى فما زال يبكى حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان الى أبى عبيدة السلمانى يتخيرون اليه فى ألواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا أتولى حكما أبدا وقال أبو بكر بن أبى مريم حج قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم

يجدوا ماء فاتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ويروى ولا عرافا ولا بريدا وأنا أدلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام وقال أبو ذر رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر انى أحب لك ما أحب لنفسى وانى أراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ﴿ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق﴾ ما حكى أن ملكا من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أردشير فى جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقد اعتدلا فبهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرنى فى جملة الاسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف ابوها عليها منك فارسلها الى بعض الجزائر فى البحر المالح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو أنى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فاخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث فى يمينى باخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبى وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت أنك أقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا تهيأ لك قتلى فعظم ذلك على أردشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل

هذه

هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وجل الملك معها وهى أولى بالستر ولا أرى فى قتلها أستر ولا أهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيك خذها غرقها فاخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيأ فى البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فاخبره أنه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير تاول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك انى نظرت مولدى فرأيت أجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا أنامت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من أبى وليس عندى شئ اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك لك ولاولادك سواء كنت حيا أو ميتا فمال عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فاخذه الملك وأودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى أنه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأرد شير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى انى ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بامر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بابوة الاب وفى الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا هو وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا و يتأمل الملك صورهم وخلقتهم

وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأشياء مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن أبى حازم قال دخل عمر على أبى بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم

عبد الرحمن أبا بكر فقال أتاني و بين يدى خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي و بصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت وادعى رجل على على عند عمر رضى الله عنهما وعلى جالس فالتفت عمر اليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع على الى مجلسه فتبين لعمر التغير فى وجه على فقال يا أبا الحسن مالى أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنيتنى بحضرة خصمى هلا قلت ياعلى قم فاجلس مع خصمك فاخذ عمر برأس على رضى الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبى أنتم بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات الى النور • وعن أبى حنيفة رضى الله عنه القاضى كالغريق فى البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا • وأراد عمر بن هبيرة أن يولى أبا حنيفة القضاء فابى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه أبى حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط فى الدنيا أهون على من الضرب بمقامع الحديد فى الآخرة • وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال أقبل سيل باليمن فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فكتب الينا لاتحركوه حتى يقدم اليكم كتابى ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفى يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضى الارض داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الارض من قاضى السماء

واذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبى أوفى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله مع القاضى مالم يجر فاذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغنى أن نصر بن على راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لايجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم أنى لهذا الامر كاره فاقبضنى اليك فقبض وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لان يدخل الرجل أصبعه فى عينيه فيقلعهما و يرمى بهما خير لهما من أن يكون قاضيا وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى كان أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الى فاجد أحدهما أخف على قلبى من الآخر فاقضى له • وتقدم المأمون بين يدى القاضى يحيى بن أكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون

مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فاراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله ما دفعت لك هذا المال الا خشية أن تقول العامة انى تناولتك من جهة القدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجزل عطاءه . وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبى يوسف بن يعقوب فى حكم فارتفع الخادم على خصمه فى المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك فى المجلس فمتنع يا غلام ائتنى بعمرو بن أبى عمرو النخاس فانه ان قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم أردك الى ملكى فليست منزلتك عندى تزن رتبة المساواة بين الخصمين فى الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم (وقال) الابرش العكلى يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * فى آخرين وملها رواضها
حتى اذا ماقام ألف بينها * بالحق حتى جمت أوفاضها

(وفى ضد ذلك قول بعضهم)

أبكى وأندب ملة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ماعلمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جاء معك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضى يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ماقال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك ما رأيت ميتا يقضى بين الاحياء غيرك . وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه أبو اسحق الصابى

يارب علج أعلج * مثل البعير الاهوج * رأيته مطلعا * من خلف باب مرنج
وخلفه عذيبة * تذهب طورا وتجى * فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيدج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهرى

رأيت رأسا كدبه * ولحية كالمذبه * فقلت من أنت قل لى * فقال قاضى شلبه

(وتقدمت) امرأة جميلة الى الشعبى فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعى

فتن الشعبى لما * رفع الطرف اليها * فتنته بيتان * كيف لو رام معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها * فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فتناشدها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الأشجعي ثلاثين سوطا (وحكى) ابن أبي ليلى قال انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهي تقول فتن الشعبي لما فتن الشعبي لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبي وقال رفع الطرف اليها ثم قال أبعده الله أما أنا فما قضيت الا بالحق . وأنشد بعضهم في أمين الحكم

تماوتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة لتيم

﴿الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جاء في الديون﴾ أما الرشوة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشي والمرتشي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل في دين الله الرشا قال الشهيدي وأصحابنا اليوم أقبل للرشا منهم وفي نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فاهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كبيته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الحكومة غلبت * علي وقالت قم فانك ظالم

﴿وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال﴾ فقد روى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى له بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فاتي بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا دينار ان يا رسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يا رسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا خرج الى الغزو فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل

الجنة حتى يقضى دينه وعن الزهرى قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على أحد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه ثم صلى عليهم . وعن جابر لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوى ان لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوى أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شئ أستقرضه الا استقرضته من نفسى أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض سمير قلبى * فالهتنى القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمى

وانى لاقضى الدين بالدين بعدما * يرى طالبى بالدين أن لست قاضيا

فاجابه ثعلبة بن عمير

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض من الاصمعى خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبى برهن يساوى ضعف ما تطلبه فقال يا أباسعيد أما تثق بى قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبى اللهم أوف عنا دين الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين

﴿الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء فى الرياء ونحو ذلك﴾

﴿أما ما جاء فى ذكر القصاص والمتصوفة﴾

فقد روى عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل لما قصوا هلكوا وروى ان كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضى الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثورى من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة . قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك فى الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلى الصعقة التى عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضى الله عنها ان أقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال وسئل ابن سيرين

عن

عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا . وكان بمرو قاص يبكي بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة وقال بعضهم قلت لصوفي يعني جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأي شئ يصيد وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة . وعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فاقبلوا يمزقون الثياب فقال ماذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

﴿وأما ماجاء في الرياء﴾ فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شئ وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا ما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فمنعه وقال ان أقمت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلني فقال الرجل قد علم الناس أني لست ممن تظله الغمامة خوطها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما الناس يزعمون أني مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واسترفضائحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك﴾

(اعلم) أرشدك الله ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ماقرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والحق من المبطل . واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الازمنة أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى

يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمامة وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرنى عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبى أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أتانى وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فانى أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فانى لى بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله ما لا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابى فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام . ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار فى زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ارتفع فى السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفى الثانية الى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لابلغنه الى ما كان فى أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمات فى تلك السنة . ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل (ولما) مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولامير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لامير المؤمنين حقه وفرق ما بقى بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لاحد الغرماء ثم كتب للمنصور انى رأيت أمير المؤمنين كاحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الارض بك عدلا وكان أحمد بن طولون والى مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم (حكى) أن ولده العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحى مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذى كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لى فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فاطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك . ووقف يهودى لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمنى فانصفنى منه وأذقنى حلاوة

العدل

العدل فأعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم أحد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث فى الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودى حقه منه (وروى) أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له أصلحك الله يا أمير المؤمنين أذكر لك حاجتى أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظننا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعلمه انه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله شكا الى السلطان لعلمه أنه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتنى والا رفعت أمرى الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل تنصفك وأمر أن يكتب الى واليه برد ضيعته اليه * وكان الاسكندر يقول يا عباد الله انما الحكم الله الذى فى السماء الذى نصر نوحا بعد حين الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغنى ان الله تعالى أحب شيأ الا أحببته واستعملته الى يوم أجلى ولا أبغض شيأ الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلى وقد أنبئت ان الله تعالى يحب العدل فى عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفى وسوطى ومن ظهر منه العدل من عمالى فليتكئ فى مجلسى كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازى كلا بعمله ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان (وقيل) مات بعض الاكاسرة فوجدوا له سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كبيرا ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى اخراجه بالعدل (وقيل) تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا واذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم * وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغنى أبيات عن سليم بن يزيد العدوى فى العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذى معك قال عبد الله بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه

يحب أن يسمع أبياتك فى العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسر به * ولا نرى لولاة الحق أعوانا
مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلون أهل الجور ألوانا
يا للرجال لداء لا دواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو أنى رأيت يوم عدل ثم مت * وقيل لما ولى عمر بن عبد العزيز أخذ فى رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الامر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد فى عمرى لاردنه الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخى انى أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون القيامة فلا أمنيه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته فى الاسواق والزروع والضروع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالى وتفسد بفساده * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها نقص أرعت فى غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن أن ملكنا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه فى نفسه أن لا يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها * ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها منى فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله ان لا يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ ممن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ فى ذلك العام ولا ثمرة واحدة وقال لى شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب ستين وبية وكان

صاحبها

صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر * وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون اذا تلا قوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد ابن عبد الملك صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون و يتساءلون فى الاطعمة الرفيعة و يتغالون فى المناكح والسرارى و يعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغى للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم و يقتدى بهم فى الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبى مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التى يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب و يجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبعت ما جاء فى العدل والانصاف وفضل الامام العادل لالفت فى ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر و يسأمه السامع و بالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك *

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لأخيه قبله مظلمة فى عرض أو مال فأتاه فتحلله منها قبل ان يأتى يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الى يا أخا المرسلين

يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولا حد من عبادى عند أحد منهم مظلمة فانى ألعنه مادام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فاكون سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و يكون من أوليائى وأصفيائى و يكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لانصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا انه قال ألا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذى لا يطلب فظلم العبد نفسه ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يارب ان حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين واذا منادى ينادى حلمى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك و يقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم ورؤى لوح فى أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

(وقال الشاعر)

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا

دعت عليك أكف ظالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لاستحيى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله . وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبى دواد وقلت قد تظافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . وقال يوسف بن اسباط من دعا الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لابيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون

فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين . وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو نور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك أن تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يحجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد ابن حاتم يقول ماهبت شيأ قط هيبتى من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله الله بينى و بينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله . و بكى على بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى . ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لى بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضا مع أرضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فاحببت ان أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه . وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته * فما ليل حران ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضى الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

انهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللامد انقضاء
فيمسكها اذا ما شاء ربى * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسرى بالليل والناس نيام وقال الهيثم

ابن فراس السامى من بنى سامة بن لؤى فى الفضل بن مروان

تجبرت يافضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيى ابن خالد البرمكى رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفى فى مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بنى وللبغى سهام تنتظر * أنفذ فى الاحشاء من وخز الابر * سهام أيدى الفانتين فى السحر

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء ما كنت لألى هذا بعد ما حدثنى ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثنى عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى منادأين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجمعون فى تابوت من حديد ثم يرمى بهم فى نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبى للمظالم يوما فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم أدنى اليك فانى مظلوم وقد أعوزنى العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فاذكر حاجتى قال وما يحجبك وقد ترى مجلسى مبذولا قال يحجبنى عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال فى ضيعتى الفلانية أخذها وكيلك غصبا منى بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمى لئلا يثبت لك اسم فى ملكها فيبطل ملكى فوكيلك ياخذ غلتها وانا أؤدى خراجها وهذا لم يسمع بمثله فى المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمننى الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شئ آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء وأى شئ هذه الاشياء ان هى الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق وانى لارى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يافلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لاينصر وظالم لايقتصر فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتدت معهم الانصاف ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب

وانا

وأنا أرجوهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب ﴿ومما نقل﴾ في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسري الالم الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الالم والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الالم الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الالم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذي ظلمته فارضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فعلم ان الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتي اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة ممن جناه ودفع اليه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه الصياد فسكن في الحال ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي لو أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته

﴿ومما تضمنته أخبار الاخيار﴾ ما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعدا اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضي الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسي ابن العمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم

حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرى فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة قال أنس رضى الله عنه فلقد ضرب به ونحن نشتهى أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضرب به وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على ضلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذى ضربنى قال أما والله لو فعلت مامنعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول انى لم أشعر بهذا . وقيل لما ظلم أحد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فاسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوّعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجورا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته ﴿وحكى﴾ أن الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد يوم القيامة والسجن جهنم والحاكم لايحتاج الى بينة وكتب فى آخرها

ستعلم يانؤوم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
أما والله ان الظلم لؤم * ومازال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن اناس * أدانوه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

﴿وحكى﴾ أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة منحدرة وهى فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقنى ياملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والاضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرانى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها

عليها

عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين وأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال وأين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من أعلمك أ أوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشاهدتم * فيتعين على كل ولى أمر أن يعدل فى الاحكام وأن يتبصر فى رعيته وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله فى السر والعلانية ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال﴾

قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعز وا بمثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم وأسرع الامور فى خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف باهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم ممن دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء فى السلطان (وروى) أن المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى

سمير يحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا أجيب خطبتك ابنك حتى تجعلي لي في صداق بنتي مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية . وقال أبو الحسن بن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون في زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من أموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد لكفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذر وسائر نفقات تطييق الارض ثمانمائة ألف دينار ولما ينصرف للارامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا أمثالهم من برفرعون أربعمائة ألف دينار ولما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقته ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا ألف دينار فاذا فرقت الاموال على أربابها دخل امناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وانهوا اليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم ويمد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذي كان له ولما ينصرف في نفقات فرعون الراتبة في كل سنة مائتا ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعله في بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار . وقال أبو رهم كانت أرض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من أسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا الماء بر وامن جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم (وقال) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن

يجري

يجرى لهم الخليج تحت قراهم و يعطوه مالا فكان ينهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة و يسوقه كيف أرادوا الى حيث قصد فليس خليج بمصر أكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده و يفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم ردعلى أهل القرى أموالهم فرد عليهم ما أخذه منهم . فاذا كانت هذه سيرة من من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله و يوقن بالحساب والثواب والعقاب . وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض قال هى خزائن مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وكانت مصر أربعين فرسخا فى مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وناب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم وكانت السنون التى حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمى بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك و يعينك و يغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلى لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسىء اليك و يكافئك على ما سبق منك اليه فقالت أنا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية فى طريقه يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من أنت فقالت أنا التى كنت أخدمك بنفسى وأرجل شعرك بيدى وأكرم مثواك بجهدى وكان منى ما كان وقد ذقت و بال أمرى وذهبت قوتى وتلف مالى وعمى بصرى وصرت أسأل الناس فمنهم من يرحمنى ومنهم من لا يرحمنى و بعد ما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقى فى قلبك من حبك اياى شىء قالت نعم والذى اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهبا وفضة فقضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزئ بى هو لم يردنى فى أيام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عمياء فقيرة فامر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فوصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلى ودعا الله تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها و بصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هى بكر فولدت له افرائيم بن

يوسف ومنشا ابن يوسف وطاب فى الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغى للقوى أن لاينسى الضعيف وللغنى أن لاينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا وراحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله . ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فانسى الجائع ﴿ومن حسن سيرة العمال﴾ ماروى أن عمر رضى الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضى الله عنه أن اقدم علينا فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده وأداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير أأجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أماتهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها قال له وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته ومزودا أحمل فيه طعامى واداوة أحمل فيها ماء لشربى ولطهورى وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسى وآكل فيها طعامى فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معى قال فقام عمر رضى الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم الحقنى بصاحبى غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت فى عملك يا عمير فقال أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقى عندى منها شئ لاتيتك به فقال عمر عد الى عملك يا عمير قال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردنى الى أهلى فاذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لى عميرا وأنزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو فى سعة أم ضيق فان كان فى ضيق فادفع اليه المائة دينار فاتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال يا حبيب ان رأيت ان تتحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فانتا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا الآنرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى أن أنفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فامر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال يا أمير المؤمنين أما الثوبان فاقبلهما وأما الوسقان فلا حاجة لى بهما عند أهلى صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم (وروى) أن عمر رضى الله عنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام

اليه

اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه فى بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبى بهذه السبعة الى فلان و بهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من أمره فمضى اليه وقال له كما قال لابى عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فاخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة﴾ روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألنا كم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث فى مدائننا ولا فيما حوالينا كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا نهار وان نوسع أبوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قراباتنا الدخول فى دين الاسلام ان أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شئ من ملابسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا تسكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل باهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه أن امض ما سألوه وألحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده * وروى أن بنى تغلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا فقال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن يركبوا على الاكف من شق واحد

وروى أن أمير المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل الحق وأبعد عنه أهل الباطل فاحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر رضى الله عنه ان العدو قد كثروان الجزية قد كثرت أفتستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال انى أريد أن أتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لاتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الاول فقال نعم فخرج به وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى أن لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم و يراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين . وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله أن لا تولوا على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون فى غيرهم قال أصحاب الشافعى و يلزمهم أن يتميزوا فى اللباس عن المسلمين وأن يلبسوا اقلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة و يشدوا الزنانير على أوساطهم و يكون فى رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسان وأما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى و يكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام و يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدؤن بالسلام و يلجؤن الى أضيق الطرق و يمنعون أن يتطاولوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها و يمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير

والناقوس

والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام فى أرض الحجاز وهى مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفى تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغنى ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثنى عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثنا عشر بدينار وهذا مذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل وأحد قولى الشافعى ويجوز للامام أن يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين . وأما الكنائس فامر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد فى ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك فى دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم﴾

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فاحب خلقه اليه أنفعهم لعياله رواه البزار والطبرانى فى معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا فى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم فى حاجة فقضيت له أولم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة

براءة من النار و براءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم فى الحلية وروينا فى مكارم الاخلاق لابى بكر الخرائطى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة لاخيه المسلم كتب الله له فى كل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه و بين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس مالم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبرانى وروينا من طريق الطبرانى باسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد فى زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل يا رسول الله فاى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة رواه الطبرانى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى و يوحده فاذا صار العبد فى قبره أتاه

ذلك

ذلك السرور فيقول له أما تعرفني فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذي أدخلتني على فلان أنا اليوم أؤانسك وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلك في الجنة رواه ابن أبي الدنيا وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وانا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع . ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا في خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل . وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤل أنمت عن حاجتك فقال ما نمت عن حاجته من أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فمحجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فامر له بالف دينار وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط في مص ثدي أمه نطحته وقال ذو الرياستين لثمامة بن أشرس ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يلقاك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم في قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي قال عرضت على أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات رقعة في حاجة لي فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشئ فاخذتها وقمت وأنا أقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

واذا خطبت الى كريم حاجة * وأبى فلا تعقد عليه بحاجب
فلربما منع الكريم ومابه * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فاخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت . وسأل اسحق بن ربحي اسحق بن ابراهيم المصعبي أن يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتي واشدد عراها * فقد أضحت بمنزلة الضياع
اذا شاركتها بلبان أخرى * أضر بها مشاركة الرضاع

(وقال أبو دقاقة البصري)

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال

(وقال سلم الخاسر)

اذا أذن الله فى حاجـة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

(ولله در القائل حيث قال)

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله مابيدى العباد
فاسأل الله ماطلبت اليهم * وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسن رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل الى رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لاستحيى من الله أن يراك ببابى وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال والذى وسع سمعه الاصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزل به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما ياجابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها﴾

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم خص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضى الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فاكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارق فى سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والابرة

والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير فهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضى الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وكان له عبيد وإماء لا يرتفع على أحد منهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا فى شئ لم أفعله لم لا فعلته ولا لامنى أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدره وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من أن النبى صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التى هى أعلى مرتبة من العبودية فالنبى صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبد اله متواضعا فحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز برثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى من دعاه لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذى يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأتعبهم لله عز وجل بدنا وأحدهم فى امر الله لا تأخذه فى الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر أما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم. وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيأ الا أن يجاهد فى سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا أن يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهى قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم وفى رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيئ الخلق اجنبى عند أهله. وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق لان الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه (بيت مفرد)

اذا رام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل أبى الله لسيئ الخلق التوبة لانه لايخرج من ذنب الا دخل فى ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل مابال فلان ولكن يقول مابال أقوام يقولون حتى لايفضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ماشئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد فى رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد له فى عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان فى الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لانه يدعو الى أن يقابل بمثله . وكتب الحسن بن على الى أخيه الحسين رضى الله عنهم فى اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين أنت أعلم منى بأن خير المال ماوقى به العرض فانظر الى شرف أدبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم منى وكان بينه و بين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال انى سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وأنا أكره أن أسبق أخى الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله تعالى عنهما وأنشد فى المعنى

وانى لالقى المرء أعلم أنه * عدو وفى أحشائه الضغن كامن
فامنحه بشرا فيرجع قلبه * سليما وقد مات لديه الضغائن

(وسرق) بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ الى الجوهرى يصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه وأحضر بين يدى جعفر فلما رأى ماظهر عليه قال له أراك قد تغيرلونك ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لاتبع بيع خائف . ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك ياأمير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لاتعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلاتجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا

فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا ﴿وذكر﴾ أن أنوشروان وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب وأحضرت الفواكه والشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخباه تحت ثيابه وأنوشروان يراه فلما فقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فاخبره بالقضية فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لا يتم عليه فلا تفتش أحدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجد له كسوة جميلة فلما كان فى مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم أصلحك الله . وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغى للغلام أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم يا غلام فنكس المأمون رأسه طويلا فاشتكت أنه يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر الى فقال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وانا لا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة واليا وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر فى وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها فى حجره فبقى الغلام متمثلا واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا ببرق أسار برجهته فأقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى . ومرض أحمد بن أبى دواد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من بهنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين

فانك كما قال النميرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بامين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس فى داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وكان ابن عمر رضى الله عنه اذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرا آة له فكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له وروى ان أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع فى وقت الهاجرة فالقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه و بسطوا ألسنتهم فى الملقى للرماد فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ فان من استحق أن يصب عليه النار فصوح بالرماد لم يجز له أن يغضب . وقيل لابراهيم بن أدهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت فى الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما أنى كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعنى وروى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى (وحكى) ان أبا عثمان الحيرى دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يا أستاذ ليس لى وجه فى دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال فى الاولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف و يحضر ثم قال له يا أستاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على أخلاقك ثم جعل يعتذر له و يمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجده فى الكلاب فان الكلب اذا دعى حضر واذا زجر انزجر . وقال الحرث بن قصى يعجبنى من القراء كل فصيح مضحاك فاما الذى تلقاه يبشر و يلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله فى المسلمين مثله ﴿ومن محاسن الاخلاق﴾ ماحكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء و بينه و بين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه

ثم

ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتاهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت ياأبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداك ياأمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فازعجك فقلت ياأمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فامر لى بالف دينار فاخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشوفه بكمه فيصيد فع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى أن أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يايحيى والله لتكونن فى مكانى ولا كونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله ياأمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا ماوضعت يدك على عاتقى مثل ما فعلت أنا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف فانظر الى أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا فى أرزاقنا انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك﴾

(اعلم) أن المودة والاخوة والزيارة سبب التآلف والتآلف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بان جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لاوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الالم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين

وأنشدوا فى ذلك

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة * ولا خير فى الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون فى السراء والضراء ومن كلام على رضى الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعى الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطىء والنظر الى الحسن من كل شئ قال فاين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهى أولاهن . وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتى الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضى الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلى ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقى من اللذات ما تتوق اليه نفسى الا محادثة أخ كريم وأنشدوا فى معنى ذلك

ومابقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وقال لبيد)

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

(وقال آخر)

اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أى الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه دانا ك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله وأنشدوا فى المعنى

ان أخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن

ومن اذاريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقال غيره)

ولبس أخى من ودنى بلسانه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان أعوزته النوائب

(وقال أبو تمام)

من لى بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * و بقلبه ولعله أدرى به *

وقيل لخالد بن صفوان أى اخوانك أحب اليك قال الذى يدخلنى و يغفر زلتى و يقيل عثرتى وقيل من لا يؤاخى الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب

(وقال آخر)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرمه وده ولكن داوه كلمته واستر عورته وأبقه وابر أمن عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السيئ وقال صلى الله عليه وسلم الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحى المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفى ذلك قال بعضهم

هو يتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

(وقال آخر)

تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحاب اثنان فى الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه ما زار أخ أخا فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل

لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل فى الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء ودمن يهودى وحفظ من نصرانى ورياضة من دهرى وكرم من أعجمى والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أحرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اصحب من الاخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسى جمائله وبقى شاكرا ناشرا ذاكرا الجميلة يوليك عليها الاحسان الجميل الكثير الجزيل ويجعل أنه مابلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلى للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

(وقال آخر)

وكنت اذا الصديق أراد غيظى * وشرقنى على ظمأ بريق
غفرت ذنوبه وكظمت غيظى * مخافة أن أعيش بلا صديق

(وقال آخر)

وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أوغدا * لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الهذلى اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فامر له بالف دينار وكان هناك رجل قد فسح له فى المجلس فدفعها للذى فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * ومايشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضى الله عنهما الجليس على ثلاث أن أرمقه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى له اذا حدث ويقال لكل شئ محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكير ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة

وتقول

وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون نمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول مايتعين على الجليس الانصاف فى المجالسة بان يلحظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما فى محله وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ماعدا الجلوس فى الصدر وينبغى للانسان أن لايقبل بحديثه على من لايقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه أن يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ماوافق الحال وأوجبوا على المستمع أنه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان مر بسمعه أولا أن لايقطع عليه مايقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعد واذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن فى حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس فى مجلس ليس له باهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على رب البيت فى بيته والآتى الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا اذا كان جليسه ذا هيبة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال أبو العباس السفاح مارأيت أغزر من فكر أبى بكر الهذلى لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فارمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شانك ياهذلى فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ماأحسست بها ولا وجدت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لارفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ماغلبنى أحد قط غلبة رجل يصغى الى حديثى وفى نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك اذا تثاءب أوألقى المروحة من يده أومد رجليه أوتمطى أواتكأ أوفعل مايدل على كسله أن يقوم من بحضرته وكان اردشير اذا تمطى قام سماره ومن حق الملك أن لايعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لى قد سمعته منك وعن الشعبى قال ماحدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبى رباح ان الرجل ليحدثنى بالحديث فانصت له كأنى لم أسمعه قط وقد سمعت به

من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما واذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك واهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس المملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة باخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجسأ بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم واياك أن تمازح لبيبا أو سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك

﴿وأما آداب المسايرة﴾ فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى سفر على بعير فكان

اذا

اذا جاءت نوبته فى المشى مشى فيعزمان عليه أن لا يمشى فيأبى و يقول ما أنتم بأقدر منى على مشى وما أنا بأغنى منكم عن أجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاث اذا سار واليلا أو خافوا سيلا أو واجهوا خيلا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته

﴿وأما ما جاء فى الاخوان القليلى الموافاة العديمى المكافاة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة﴾ فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أقالنى عثرة ولا سترلى عورة وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود (قال الشاعر)

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نفقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

(ولما) نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحد من أصحابه الذين كانوا يانفونه فى ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

﴿وقال آخر﴾

فما أكثر الاصحاب حين نعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل

﴿وقال البحترى﴾

اياك تغتر أو تخدعك بارقة * من ذى خداع يرى بشرا وألطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت فى الارض أوساطا وأطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا بذل الانصاف ان صافى

﴿وقال بعضهم فى المعنى﴾

خليلي جربت الزمان وأهله * فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفي بالعهود ولا أنا

﴿وقال آخر﴾

لما رأيت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد أصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

﴿بيت مفرد﴾

وكل خليل ليس في الله وده * فاني به في وده غير واثق

﴿وقال آخر﴾

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم يخنك أخ أمين * ولكن قلما تلقى أمينا

﴿وقال آخر﴾

تحب عدوي ثم تزعم أنني * أودك ان الرأي عنك لعازب
وليس أخي من ودني بلسانه * ولكن أخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وأمر بقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا الى أعدائه وعزله لم يات اليه أحد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له في بقية يومه انه بريء مما نسب اليه فخلع عليه ورد اليه وظائفه فأنشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادا في الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لي الزمان

﴿ومثله في المعنى﴾

أخوك أخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعي استجابا
اذا حاربت حارب من تعادي * وزاد سلاحه منك اقترابا

﴿وقال أبو بكر الخالدي﴾

وأخ رخصت عليه حتى ملني * والشيء مملول اذا ما يرخص
ما في زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان أن لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا والآخرة

وما

وما أحسن ماقال بعضهم

وكل محبة فى الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحفاء فى لهب الحريق

فينبغى للانسان أن يجتنب معاشرة الاشرار و يترك مصاحبة الفجار و يهجر من ساءت خلته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فأثبت الله المماثلة بيننا و بين البهائم وذلك انما هو فى الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا نجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا فى خلائقه غليظا فى طبائعه قويا فى بدنه لا تؤمن ضغائنه فالحقه بعالم النمورة والعرب تقول أجهل من نمر واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه و يؤذى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح ألست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فالحقه بعالم الحير فان دأب الحمار ان أدنيته بعد وان أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فالحقه بعالم الثعالب واذا رأيت من يمشى بين الناس بالنميمة و يفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم و ينفر من مجالسة العلماء و يألف أخبار أهل الدنيا فالحقه بعالم الخنافس فانه يحبها أكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه و يعدل عمامته و ينظر فى عطفيه فالحقه بعالم الطاويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات و يجازى بعد المدة الطويلة على السقطات فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الاشرار وأهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم

﴿وأما الزيارة والاستدعاء اليها﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة

منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا
* ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدى اذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة يمل والاقلال منها يخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فأفضل قرب الدار منا على البعد

(وقال آخر)

وان مرورى بالديار التى بها * سليمى ولم ألمم بها لجفاء

(وقال آخر)

قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لى وأقول

(وقال آخر)

أزور بيوتا لا صقات ببيتها * وقلبى فى البيت الذى لا أزوره

وزار محمد بن يزيد المهلبى المستعين ووهب له مائتى ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتنى بزيارة أضحى لنا * مجدبها طول الزمان مؤثل
وقضيت دينى وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن فى أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودى * انكم غبتم ونحن حضور
فاجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أى الرسل أنجح قال الذى له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا فى حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يا بنى لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة

الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان ﴾

﴿ الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم ﴾ قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذى يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذى يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبرانى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى رواه أبو محمد بن عدى فى كتاب الكامل وروينا من طريق الطبرانى عن الشعبى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبرانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال أمتى لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

﴿ الفصل الثانى فى الشفاعة واصلاح ذات البين ﴾ قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو وقعت به ظالما أو أغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه

وسلم أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضي الله تعالى على لسان نبيه ماشاء . وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يارسول الله وماصدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبراني في المكارم وقال علي رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك . وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع أن يكلمه في ذلك فكلمه وقال أعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فابوا الا أن يأخذها فقال اقذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وماحولها من البساتين فقال أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة قال وماهي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما انهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحق عليك الا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع فاعلمه وقال ما أتيت بابن معلم الخير الا كريما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان أحسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت وقال المبرد أتاني رجل لاشفع له في حاجة فانشدني لنفسه

اني قصدتك لا أدلي بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك
فبت حيران مكروبا يؤرقني * ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك

ما

مازلت أنكب حتى زلزلت قدمى * فاحتل لتثبيتها الازلزلت قدمك

فلو هممت بغير العرف ماعلقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ماقدرت عليه . وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعى اليك الله لاشئ غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ماقطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وماخاب من بالمصطفى يتشفع

الى باب مولانا رفعت ظلامتى * عسى الهم عنى والمصائب ترفع

﴿وقال آخر﴾

تشفع بالنبى فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبى

ولا تجزع اذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفى

وروى ان جبريل عليه السلام قال يامحمد لو كانت عباد تنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى الحياء﴾ قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن على عن آبائه يرفعونه من لم يستح فهو كافر . وقال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه انى لادخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فاحنى فيه صلبى حياء من ربى وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون فى الوعاء . وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فارفعها منزلة الحياء لما أيقنوا ان الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء

النعمة والحياء دليل الخير كله

﴿الفصل الثانى فى التواضع ولين الجانب وخفض الجناح﴾ قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فى ما قالت النصارى فى المسيح فان الله عز وجل اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فأخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه و يخصف نعله و يخدم فى مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث بشئ مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدى بن ارطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع فى الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له فى ذلك فقال ان أبى كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربى لعله أن يخفف عن أبى تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودى فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يارب قال لانى رأيتك تمرغ بين يدى فى التراب تواضعا لى وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الدخيرة ماتاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه فسبحان من تواضع كل شئ لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك﴾

(اعلم) أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل و يكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت و يمنع من التألف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر أحد الا من ذلة يجدها

فى

فى نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت مثلك فى ظنك وأن أعداءك مثلك فى الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال فى مشيه فقال جعلنى الله مثلك فى نفسك ولا جعلنى مثلك فى نفسى وقال الاحنف عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر * ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر فى مشيه فقال له مالك يابنى لو تركت هذه الخيلاء لكان أجل بك فقال أوما تعرفنى قال أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فارخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بى يعنى أتكبر عليه . واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية فى الكبر يقال انه كان لا ينادم أحدا تكبره ويقول انما ينادمنى الفرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى انه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر . قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الأربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن ارطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمنى البقالون * وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى خسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمان معاوية ودخل عليه فاقعده معه على السرير وحدثه . وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعساونكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لاحق يلوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما فى التيه لم تتهه

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت﴾

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبى معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة نزلت فى أبى جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر فى الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربى على عجمى ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى ألا هل بلغت (وقال الاصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حى يا قيوم لم تنم
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا * فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى * فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت باعمال قباح رديئة * ومالى الورى عبد جنى كجنايتى
* أتحرقنى بالنار يا غاية المنى * فاين رجائى ثم أين مخافتى *

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعى سيدى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول

فاذا

فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم الاهم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لانى أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة فى الثناء عليها ويقول عند انشادها أى علم بين جنبى وأى لسان بين فكى وقال الجاحظ لولم يصف الطبيب مصالح دوائه للمعالجين ما وجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع فى رسالته التى سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولولم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر فى هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم فى الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره . قال أبو بكر الهذلى سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفى يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرنى باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فاحسن الجواب فاعجبه ما رأى منه فقال أنشدنى شعرا فانشده شعر الاوس بن حجر وغيره من الشعراء من بنى عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر وله بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بنى تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكنى أحق ببيته منه ومن شعر أبى الطمحان

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن على رضى الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل الله له عدوا من المجرمين فانا

ابن على وأنت ابن صخر وأمك هند وأمى فاطمة وجدتك فيلة وجدتى خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخلنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله . وروى أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن على رضى الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن ابن على فقال له معاوية مرحبا برجل تركناحتى نفد ماعندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ماعندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية انى قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة . ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فاذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يايزيد جد من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفى ذلك يقول على بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

(وله أيضا)

انى وقومى من أنساب قومهم * كمسجد الخيف من بجبوحة الخيف
ماعاق السيف منا ابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلى بن أبى طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعى مفتاحه فقال على ما أدرى ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية . وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ماذكرته فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عاشرهم فى النار والذى انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم فى الجنة قال سلمان الفارسى

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى فانكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى

فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموؤدات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون اناهام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام . وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة لا تنزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فنا النبى المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولى وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحنا زاحناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربى مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل

والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم ولم يقل شئا تيرهم فى صناراتهم وقال تعالى فاكله الذئب ولم يقل فاكله الكنع ثم قال لابراهيم انى أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وماهن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا . وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
* اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما *

(وقال السموأل بن عادياء)

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
* تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل *
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لايزال طويل
وانا أناس لانرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
ومامات منا سيد حتف أنفه * ولاطل مناحيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن مافى نصابنا * كهام ولافينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولاينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول
وما حدت نار لنا دون طارق * ولاذمنا فى النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

* معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل *

سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

فانا بنى الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

(ولما) قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فاحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حى يفاخرنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع

ونحن نطعمهم فى القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس الفزع

وننحر الكوم عبطا فى أزومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا

تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سننا للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

لو كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع

لا يرفع الناس ما أودت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا

ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم فى مطمع طمع

خذ منهم ما أتوا عفوا اذا عطفوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بنى تميم

أبنى آل شداد علينا * وما يرعى لشداد فصيل

فان نغمد منا صلتا نجدها * غلاظا فى أناملنا يصول

﴿وقال سالم بن أبى وابصة﴾

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتى دونه الخلق

وموقف مثل حد السيف قمت به * أحمى الذمار وترمينى به الحدق

فما زلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

﴿وأما التفاضل والتفاوت﴾

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه أما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بابيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه . وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع ودربتهما قال أشعب فكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغت أنا وهو هاتين الغايتين وقال أبو العوادل زكريا بن هارون

على وعبد الله بينهما أب * وشتان مابين الطبائع والفعل

ألم تر عبد الله يلحى على الندى * عليا ويلحاه على على البخل

وحج أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة فغازلها فاخبرت أبا الاسود فاتاه فقال

وانى لينهانى عن الجهل والخنى * وعن شتم أقوام خلائق أربع

حياء واسلام وتقوى وانني * كريم ومثلى من يضر وينفع

فشتان مابيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتضلع

﴿وقال ربيعة البرقي﴾

لشتان مابين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد للاموال غير مسالم

فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب القيسي انى هجونه * ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظموني * ألا تكلتك أمك من كبير

اذا كان الصغير أعم نفعا * وأجلد عند نائبة الامور

ولم يات الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب

﴿الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم أحدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ماشاتمت رجلا منذ كنت رجلا لانى لم أشاتم الا احد رجلين اما كريم فانا أحق أن أجله واما لئيم فانا أولى أن أرفع نفسى عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم أمير المؤمنين لاخبرته أن رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب . وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما أنت باشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وماذاك قال تركى من أمرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى ما لا يعنيك . وقيل السيد من يكون للاولياء كالغيث الغادى وعلى الاعداء كالليث العادى . وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسودده أنه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزنى الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمتها لأمتار منها فقال له عرابة رواحله براونمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فانشد يقول

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

﴿وأما علو الهمة فهو أصل الرياسة﴾

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفنى به أمير المؤمنين ورفعنى وأقعد فى أدنى منه لاجل ضيعة . وتحدث السفاح هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتى هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هى من الطرف وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هى لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لى فاعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه . وأهدى عبيد الله بن السرى

الى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار ووجه اليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه ولو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (وكان) سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية . وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل له فى مرضه ان المريض يستريح الى الانين والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الانين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله منى أنينا فأكون عنده جزوعا وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله فى نفسى ان شاء أمسكها وان شاء قبضها . ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته . ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال ياهذا انك اخترتنى جارا واخترت دارى دار الجناية بدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبى على أهله . وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر أن يسميها وينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكرها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب * فلا والذى عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبى حفصة

هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

﴿وقال ابن نباتة﴾

ولو يكون سواد الشعر فى ذمم * ما كان للشيب سلطان على القمم

(وقيل) ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستمالة وهرب هو والسجان وقصدا الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة فى ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد ابن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدو الامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف

الف

ألف درهم ظلمائم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجار بى وأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزينى فى ضيفى فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لابد أن نرسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبى أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فاخذ يزيد يكلمه ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد ابن المهلب فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل (وحكى) أن رجلا من الشيعة كان يسعى فى فساد الدولة فجعل المهدى لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فأخذه رجل من بغداد فايس من نفسه فمر به معن ابن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرنى أجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدى بالقصة فأرسل خلف معن فأحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير على قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت فى يوم واحد فى طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها طاعتى أفتمنونى أهلا أن تجيروا الى رجلا واحدا استجار بى فاستحيا المهدى وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجار بى فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغى أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين أن يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء * وكان جعفر بن أبى طالب يقول لابيه يا أبت انى لاستحى أن أطعم طعاما وجيرانى لا يقدرون على مثله فكان أبوه يقول انى لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض

العرب فجاء أهل الحى فقالوا تريد جارك فقال أما اذ جعلتموه جارى فوالله لا تصلون اليه وأجاره حتى طار فسمى بحير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات فى معنى ذلك كثيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثلاثون فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله تعالى عنهم أجمعين﴾

(اعلم) ان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وانى والله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يميتنى على محبة محمد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وان يحشرنا فى زمرتهم وتحت ألويتهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

انى أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * ومارضيت بقتل الشيخ فى الدار
كل الصحابة ساداتى ومعتقدى * فهل على بهذا القول من عار

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر أنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن فى أحد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدى نبى لكان عمر وقال له النبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضى الله عنه قال يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذى بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه الشام وقف على طور سيناء فارسل البطريق عظيما لهم وقال انظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته فى قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا نرى بمحاربة هذا طاقة أعطوه ماشاء وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها أخبرينى من كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ٧ ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان

فارسلت

فارسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضى على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكنانى صف لى عليا فاستعفى فالح عليه فقال اما اذ كان فلابد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستانس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله يجيبنا اذا سألناه ويانينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فاشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين فكأنى الآن أسمعه يقول يا دنيا الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزنى عليه والله حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج . وقيل أول من سل سيفا فى سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك أنه صاح على أهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا زبير قال سمعت أنك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن أستعرض أهل مكة وروى أخبط بسيفى من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وأعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حوارى ودعاله . قال الاوزاعى كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وباع داره بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم أغبن أشهدكم أنها فى سبيل الله تعالى . وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال أقرئه السلام وأعلمه انى لا أراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويامرك أن تحبه من هذا الذى بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار . ومر أبو ذر على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذى بعثك بالحق نبيا لهو فى ملكوت السموات السبع أشهر منه فى

الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده فى هذه الحطام الفانية . وقال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ألف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية . وقال أبو بكر السفاح لابى بكر الهذلى بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتى عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما قط فى تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وأفصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها فعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال أنس فى ثابت البنانى ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير . وكان حبيب الفارسى من أخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه أربع مرات بار بعين ألفا كان يخرج البدرة فيقول يارب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها . وكان أيوب السختيانى من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم لأذكرن ذلك المقام الا اقشعر جلدى . وقال سفيان الثورى جهدت جهدى على أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر . وكان الخليل بن أحمد النحوى من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه و يبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيأ وكان يحج سنة و يغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملكين كتبا عليه شيا وروى أنه غسل كرز بن و برة فلم يوجد على جسده مثقال لحم . وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال فى العلم والكرم والزهد والورع . وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط فى عباد ان أربعين ليلة وختم بها القرآن أربعين ختمة وتصدق بار بعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث وما روى واضعا جنبه قط . ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبى رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتى الناس فى الحلال والحرام فتمثل يقول * تلك المكارم لا قعبان من لبن *

(ومن) مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدى أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربى أستاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشان لم يأكل مما وصلت اليه أيدى بنى آدم سنين كثيرة وكان أكله من أصول العشب شيأ تعودا كله (ومنهم) سيدى فتح بن شحرف بن داود يكنى أبا نصر من الزاهدين الورعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال أحمد بن عبد الجبار سمعت

أبى يقول صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك وقال محمد بن جعفر سمعت انسانا يقول غسلنا فتح بن شخرف فرأينا مكتوبا على نحذه لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا (ومنهم) سيدى فتح بن سعيد الموصلى يكنى أبا نصر من أقران بشر الحافى وسرى السقطى كبير الشأن فى باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلى رجع فتح الموصلى الى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشوني فقالوا ما عندنا شئ نعشيك به فقال ما بالكم جلوس فى الظلمة فقالوا ما عندنا شئ نسرج به فجعل يبكى من الفرح ويقول الهى مثلى يترك بلا عشاء ولا سراج بأى يد كانت منى فما زال يبكى الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشى وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت الى أين فقال الى بيت ربى عز وجل فقلت بماذا تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربى فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا منى فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما على نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادى يقينى وراحلتى رجلاى فقلت أسألك عن الخبز والماء قال يا عماه أرأيت لو دعاك مخلوق الى منزله أكان يجمل بك أن تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان سيدى دعا عباده الى بيته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم وانى استقبحت ذلك فحفظت الادب معه أفتراه يضيعنى فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصرى فلم أره الا بمكة فلما رآنى قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين (ومنهم) سيدى أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى صحب شاه الكرمانى ويحيى ابن معاذ الرازى وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان الحيرى بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الخلاج بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى الى شئ فسخطته (ومنهم) سيدى سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس وقيل اجتمع حذيفة المرعشى وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم الغنى من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت فى ذلك فبكى وقال رأيت جوامع الغنى فى التوكل ورأيت جوامع الفقر فى القنوط والغنى حق الغنى من أسكن الله فى قلبه

من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغنى حق الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فيبكى القوم من كلامه (ومنهم) سيدى أبو سليمان بن عبد الرحمن بن أحمد ابن عطية الدارانى أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من أجل السادات وأرباب الجد فى المجاهدات ومن كلامه من أحسن فى نهاره كفى فى ليله ومن أحسن فى ليله كفى فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شئ علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن أبى الحوارى شكوت الى أبى سليمان الوسواس فقال اذا أردت أن ينقطع عنك فاى وقت أحسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه لا شئ أبغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى اجتمعوا ليلا على أبى سليمان الدارانى فسمعوه يقول يارب ان طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك وان طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان جعلتنى من أهل النار أخبرت أهل النار بحبى اياك وقال على بن الحسين الحداد سألت أبا سليمان بأى شئ تعرف الابرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه أنه قال نمت ليلة عن وردى فاذا حوراء تقول لى أتنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام (ومنهم) سيدى أبو محمد عبد الله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفى الاصل ولكنه سكن أنطاكية ومن كلامه لا تغتم الا من شئ يضرك غدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة (ومنهم) سيدى أبو عبد الله محمد بن يوسف البناء أصبهانى الاصل كتب عن ستمائة شيخ ثم غلب عليه الانفراد والخلوة الى أن خرج الى مكة يسيح التصوف وقطع البادية على التجريد وكان فى ابتداء أمره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما أن تهب لى معرفتك أو تأمر الجبل أن ينطبق على فانى لا أريد الحياة بلا معرفتك (ومنهم) سيدى يحيى بن معاذ الرازى قدس الله سره يكنى أبا زكرياء أحد رجال الطريق كان أوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديق يحتاج الى أن يقال له اذكرنى فى دعائك وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل فى أمرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان

غناه

غناه فى قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى أنه قدم شيراز فجعل يتكلم على الناس فى علم الاسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد أن تأخذ من هذه البلدة قال ثلاثون ألفا أصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على أن تأخذها وتخرج من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت انه كان يظهر أسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك (ومنهم) سيدى يوسف ابن الحسين الرازى يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما أديبا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى من كلامه اذا أردت أن تعلم العاقل من الاحمق فخذه بالمحال فان قبل فاعلم أنه أحمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجىء منه شئ وقال لان ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب الىّ من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أى شئ تريد من هذا الزنديق فضاقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت فى نفسى جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا فى المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علىّ السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيأ قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم هدمت ما تبنى

فاطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الىّ وقال يا بنى أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت (ومنهم) سيدى حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صحب شقيقا البلخى ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك فى التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فانا مشغول به وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فانا أبادره وعلمت أنى لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فانا أستحى منه وسبب تسميته بالاصم ما حكاه أبو على الدقاق ان امرأة جاءت تسأله عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعى صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك

وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه (ومنهم) الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصرى وأبا على الروذبارى وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشد وافى هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا

تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك أودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فاول مايفيده الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف فى القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه (ومنهم) سيدى جعفر بن نصر الخلدى يكنى بابى محمد بغدادى المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روى أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكى بكاء محرقة فقال لها مالك تبكين فقالت ثكلى بولدى فانشا يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل

لقد جرعتنى ليالى الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروى أنه كان له فص فوقع منه يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول ياجامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتى وقد روى أنه يقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا وروى الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه قال ودعت فى بعض حجاتى المزين الكبير الصوفى فقلت زودنى شيأ فقال ان فقدت شيأ أو أردت أن يجمع الله بينى وبينك أو بينك وبين انسان فقل ياجامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ أو الانسان (ومنهم) سيدى معروف بن فيروز الكرخى قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السرى وكان أبواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا وجيعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أى دين شاء فتوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أى دين فقال على دين الاسلام فاسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يامسكين كم تبكى وتندب أخلص تخلص وقال سرى سألت معروفا عن الطائعين لله باى شئ قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج

حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان فى زورق يضربون بالملاهى ويشربون فقال له أصحابه أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك أن تفرحهم فى الآخرة فقال له أصحابه انما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول للملائكته مر هذا فقالوا أنت أعلم يارب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لا يفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال أبو بكر الخياط رأيت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان واذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجىء فقلت يا أبا محفوظ مافعل الله بك أوليس قدمت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقى حياة لا نفاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

(ومنهم) قاسم بن عثمان الكرخى يكنى أبا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان الدارانى وغيره وكان من أقران السرى والحرث المحاسبى وكان أبو تراب النخشبى يصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفر له ما مضى وما بقى ومن أفسد فيما بقى من عمره أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها فى اعتزال الناس والفرح كله فى الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال وأداء الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهمهم فافردوه بطاعتهم واكتفوا به فى توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت فى الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتى لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا التضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب

جارية فقدم رجل منافضربت عنقه فرأيت جارية فى يدها منديل قد هبطت الى الارض فضربت أعناق الستة و بقيت أنا و بقى باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقى استوهبنى بعض خواص الملك فوهبنى له فسمعتها تقول باى شئ فاتك هذا يامحروم وأغلقت الباب فأنا يأخى متحسر على ماغاتنى قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى مالم يروا وترك يعمل على الشوق (ومنهم) سيدى أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى كان جليل القدر مالكى المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن فى عصره وكان يبالغ فى تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد فى الطاعات و يقول هذا شهر عظمه ربى فانا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ماشئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب ✿ مابقاء الدموع فى الآماق

روى أنه قال كنت يوما جالسا فجرى فى خاطرى أنى بخيل فقلت مهما فتح الله على به اليوم أدفعه الى أول فقير يلقانى قال فبينما أنا متفكر اذ دخل على شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه فى مصالحك فاخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لى ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عادتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها فى الدجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله تعالى (ومنهم) سيدى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازى قال فبينما أنا بجبل لبنان أدور اذ أبصرت زرقان أخا ذى النون المصرى جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الى وقال ما حاجتك فقلت يتناشعر سمعتهما من أخيك ذى النون المصرى أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى ✿ تطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعى الهوى تخف علينا ✿ وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكنى أقول

قد بقينا مذهلين حيارى ✿ حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منانا ✿ واليه فى كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسى فقال رحم الله ذا النون المصرى رجع الى نفسه فقال ما قال

ورجع

ورجع زرقان الى ربه فقال ماقال وقال أبو عبد الرحمن السلمى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى وأظن أنه أخوه مؤاخاة لا أخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه (ومنهم) سيدى أبو عبد الله النباجى سعيد بن بريد كان من أقران ذى النون المصرى ومن أقران استاذى أحمد بن أبى الحوارى له كلام حسن فى المعرفة وغيرها روى عنه أنه قال أصابنى ضيق وشدة فبت وأنا مفكر فى المسير الى بعض اخوانى فسمعت قائلا يقول لى فى النوم أيجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس (ومنهم) سيدى بشر بن الحرث الحافى قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سرى السقطى وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يامنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يامنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم فى الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقى رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول ياسيدى يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله . وروى أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت انى امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على فى ذلك شئ فقال يجب أن تبينى فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد حجت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذى مات فيه قال له أهله نرفع ماءك الى الطبيب قال أنا بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالحوا عليه فقال لاختنه ادفعى اليهم الماء فدفعته اليهم فى قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصرانى فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك فى الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافى لان ما فى زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندى نوديت يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب توفى سنة سبع وعشرين ومائتين (ومنهم) سيدى أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أجل المشايخ كبير الشان

ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسى وهى تبكى الى أن سقتها وهى تضحك وسئل باى شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع و بدن عار وقيل له ما أشد ما لقيت فى سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الملاءمة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب و يتجافون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبنى فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك ياعبدى فاقول لبيك فقوله لى ياعبدى أحب الى من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بى ما يشاء وقال له رجل دلنى على عمل أتقرب به الى ربى فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر الى اسمك فى قلب ولى فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفى سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى (ومنهم) شيخ الطائفة سيدى أبو القاسم الجنيد بن محمد القوارير شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السرى والحرث المحاسبى ودرس الفقه على أبى ثور وكان يفتى فى مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة . ومن كلامه رضى الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فادب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤى فى يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا الا نتركه أبدا وقال حسن بن محمد بن السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له ألا تستحيى من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندى ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وأتعبوا جسمى كلما هممت بهم أشاروا الى الله عز وجل فما كاد أن أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومى ولبست ثيابى وجئت الى مسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كما قيل لك شئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى أبو حمزة وأبو الحسن النورى وأبو بكر الدقاق رضى الله عنهم وقال محمد بن قاسم الفارسى بات الجنيد ليلة العيد فى الموضع الذى كان يعتاده فى البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف فى عباءة وهو يبكى و يقول

بحرمة غربتى كم ذا الصدود ٭ ألا تحنو على ألا تجود

سرور العيد قد عم النواحى ٭ وحزنى فى ازدياد لا يبيد

فان

فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذرى فى الهوى أن لا أعود

توفى الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين . وممن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريني المالكى قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لاهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا أن يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الا فرج الله كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يمتع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من أعدائه وأحبابه يدخل عليه أعدى عدوه فيقبل بشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لالقى المرء أعلم أنه * عدوى وفى أحشائه الضغن كامن

فامنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت حملة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت وما حلو فى الضيم الا جلته * لانى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن أن ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه ما آربه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك امام كبير لم ير له فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان أوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الاول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع

وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حتى فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يازمان فكفر

رضى الله عنه ورضى عنا به ونفعنا ببركته فى الدين والدنيا والآخرة فشرعوا فى تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهنى معى فى تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لى والد اشفوقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضى الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على أنه كان قطب أهل زمانه . قال الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلى نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التى أنشاها بسند فامع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتى المسلمين سراج الدين أبى حفص عمر الطرينى المالكى فى قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا واياه فى زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأله التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطرينى أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم﴾

﴿اعلم﴾ أن كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم فى زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿حكاية﴾ قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مرارا فلم نر للاجابة أثرا فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن ثابت بن أبى سنان وعتبة الغلام وصالح المرى حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى فلما أظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح دقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ

ثم

ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى الى كم ترد عبادك فيما لاينفعك أنفد ما عندك أم نقص ما فى خزائنك أقسمت عليك بحبك لى الا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود ما تستحى مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لى ومايدريك أنه يحبك قال تنح عنى يا من اشتغل عنه بنفسه افتراه بدأنى بذلك الا لمحبته اياى ثم قال محبته لى على قدره ومحبتى له على قدرى فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال انى مملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير فانصرف وجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم أر فيهم فقال عودوا الى فى غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالاسود قائم يصلى فقلت حبيبى ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له بعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا غلام ليست له همة فى الليل الا البكاء وفى النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لابد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاء وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد أن تبرئنى من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الى وقال يا مولاى الصغير لماذا اشتريتنى وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله ياسيدى انما اشتريتك لاخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة يا صلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذى عارضتك البارحة فى الكلام يا صلى قال فجعل يمشى حتى أتى الى مسجد فاستأذنني ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى سر كان بينى وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشى أقسمت عليك بك الا ما قبضتنى اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد علب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم فى أخينا ميمون هاكم الكفن فناولنى ثوبين مارأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فقبره نستسقى به الى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكى) عن حذيفة المرعشى رضى الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضى الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب مارأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد

خرب فنظر الى ابراهيم وقال ياحذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال على بدواة وقرطاس فاحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك طب نارا خضتها * فاجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى أول من يلقاك قال فخرجت فاول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة درهم فاخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل نصرانى قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتى الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصرانى راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فاكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذى هداك للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿وحكى﴾ أن بعضهم كان ملاحا ببحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدى من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى ومن الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فبينما أنا ذات يوم فى الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليكم فرددت عليه السلام فقال أتحملنى الى الجانب الغربى لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربى وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال انى أريد أن أحملك أمانة قلت وما هى قال اذا كان غد وقت الظهر تجدنى عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا ألهمت فاتنى وغسلنى وكفنى فى الكفن الذى تجده عند رأسى وصل على وادفنى تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركنى فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذى قال لى فلما جاء وقت الظهر نسيت فاتذكرت الا قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندى جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الى ثم عدت الى الجانب الشرقى وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب

قد

قد أقبل على فحققت النظر فى وجهه فاذا هو من صبيان الملاهى كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم على فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التى عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لابد أن تخبرنى فقال لا أدرى الا أنى البارحة كنت فى عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغنى الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لاستريح واذا برجل قد أيقظنى وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولى وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعنها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها الى الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركنى أتحرق وأبكى لما حرمت من ذلك وأقمت يومى ذلك أبكى الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله فى النوم فقال يا عبدى أثقل عليك ان منعت على عبد عاص بالرجوع الى انما ذلك فضلى أوتيه من أشاء من عبادى وأنا ذو الفضل العظيم (وحكى) أبو اسحق الصعلوكى قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا فى البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت فى عزة ورفعة فطالبتنى نفسى بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يفيض لى وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لى والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتنى السباع والهوام وبكين معى وحملوا الى هذه الرياحين التى تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبى واذا بحية عظيمة فى فمها بافة نرجس كبيرة فقالت دع ولى الله تعالى فان الله يغار على أوليائه قال فغشى عليه وغشى على فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى نادت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذى مات غريبا فانى منتظرتك منذ كذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها أشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع شعر

يا سماهب من وادى قبا * خبرنى كيف حال الغربا
كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كنا عليه فأبى

* وحكي أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر في بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت في يده ففكر في نفسه وقال ويحك يا دينار كأني بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهي وسيدي ألفيت مقاليد أمري فاقبلني وارحمني ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف وأقراصا من شعير وغلين وافعلي بي كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار أ لك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بني ارفق بنفسك فقال دعيني أتعب قليلا لعلي أستريح طويلا يا أماه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بني خذ لنفسك راحة قال لست للراحة أطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فاخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ في بعض الليالي فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكي حتى غشي عليه فجاءت أمه اليه فناداته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا أماه ان لم تجديني في عرصات القيامة فاسألي مالكا خازن النار عني ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادي أيها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أعز ردمعا من ذلك اليوم فلما عادوا فنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا أخبر واعني والدتي بذلك

* وحكي عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فاخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم أنتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من أحبابنا لا نكله الى غيرنا .

وحكي أبو علي المصري قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل

ولا

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فدخلت الدار واذا أنا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فاخذت فى غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهى أخته فقبلته وقالت أما انى سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لى وقالت ارسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلى فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتى واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتى وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

(شعر)

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومى فعينى لاتصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعى بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يرانى بساما خليلى يظن بى * سرورا وأحشاى السقام ملاها
وكم ضحكة فى القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
* فما قلت ايها بعدها المسامر * من الناس الا قال قلبى آها *

* وحكى سرى السقطى رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما أصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهى تقول

تغل يدى الى عنقى * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد * أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جننت ولكن * أنا سكرانة وقلبى صاحى
لم غللتم يدى ولم آت ذنبا * غير هتكى فى حبه وافتضاحى
* أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح *
ما على من أحب مولى الموالى * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت ياسرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هى تكلمنى اذ جاء سيدها فلما رآنى عظمنى فقلت والله هى أحق منى بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها فى الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لاتنام ولاتدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود فى حجرها يوما فجعلت تقول

وحقك لانقضت الدهر عيدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملات جوانحى والقلب وجدا * فكيف أقر ياسكنى وأهدا
فيامن ليس لى مولى سواه * تراك رضيتنى بالباب عبدا

فقلت لسيدها اطلقها وعلى ثمنها فصاح وافقراه من أين لك عشرون ألفا ياسرى فقلت لاتعجل على فقال تكون فى المارستان حتى توفينى ثمنها فقلت نعم قال سرى فانصرفت وعينى تدمع وقلبى يخشع وأنا والله ماعندى درهم من ثمنها فبت طول ليلتى أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل على رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفنى ياسرى قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بى هاتف وقال لى ياأحمد هل لك فى معاملتنا فقلت ومن أولى منى بذلك فقال احمل الى سرى السقطى خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سرى فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى أن * عيل من حبك صبرى
ضاق من غلى وقيدى * وامتهانى منك صدرى
ليس يخفى عنك أمرى * يامنى قلبى وذخرى
أنت قد تعتق رقى * وتفك اليوم أسرى

قال سرى فبينما أنا أسمعها واذا بمولاها قد جاء وهو يبكى فقلت لا بأس عليك قد جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لافعلت ذلك قلت لم ذلك قال والله لو أعطيتنى ما بين الخافقين مافعلت وهى حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالامس فقال حبيبى لاتوبخنى فالذى وقع لى من التوبيخ كفانى وأشهدك انى قد خرجت من جميع مالى صدقة فى سبيل الله تعالى وانى هارب الى الله تعالى فبالله لاترددنى عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكى فقلت مايبكيك قال ياأستاذى ماقبلنى مولاى لما ندبنى اليه ورد على مابذلت أشهدك أنى قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى فى سبيل الله وكل عبد

املكه

أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال السرى فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر ووات قال سرى فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعنا صوتا فتبعناه فاذا هى امرأة كالخيال فلما رأتنى قالت السلام عليك ياسرى فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فاذا هى الجارية فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت أنسى به ووحشتى من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهى كم تخلفنى فى دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفنتهما فى قبر واحد (شعر)

بحرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الود الا ما رجعتم الى وصلى
ولا تحرمونى نظرة من جمالكم * فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلى
فوالله ما يهوى فؤادى سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

* وحكى انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور فى بعض الايام فازال الله عنه سحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق الى زمن الكرامة ويبكى ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالى فصلى ماشاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له فى المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فائت الملك الفلانى فى بلد كذا واسأله أن يدعو الله أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض حتى وصل الى تلك البلد التى ذكرت له فى المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء الى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسى عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدى الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتى لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد فى الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتى ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد دائر وأقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذى يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع

جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس فى الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وانظر فى أمرك قال فتحير صاحب السحابة فى أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فاخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به فى دهليز القصر فلم يجد فى طريقه الا مملوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك ما يساوى عشرة دراهم الا سجادة خلقة وقد حال الوضوء وحصيرا رثة وشيأ من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يا فلانة قالت لبيك قال أبدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها لحاجة فخرجت فاذا هى امرأة كالشن البالى عليها مسح من شعر خشن وهى شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخى نطلعك على حالنا ونقضى حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلنى حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لى فى هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها فاردت أن أسيح فى الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديد شمل الدين فبايعونى وأبا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح أمرتها بالاهل الشرور وردعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذى رأيته يوصلنى الى هذه الخربة فادخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتى هذه التى رأيتها وهى ابنة عمى زهدت فى الدنيا كزهدى واجتهدت حتى صارت كالشن البالى والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم انى أفقت لى نائبا ينوب عنى طول الجمعة وعلمت أنى مسؤل فجعلت لى يوما فى الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فاقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوصاتنا ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسى العمر فاخذ ما عملاه من خوص وسار به الى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقى ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما فقاما

فى

فى نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وانك قد دللته علينا اللهم اردد ها عليه انك على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لى لك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معى كما كانت فانا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرهما شيأ الا أعطانى اياه رحمة الله تعالى عليهما (شعر)

استعمل الصبر تجنى بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الامـلا
ومرغ الخـد فى أعتابه سحرا * واحمل لرضائه فى الحب كل بلا
فما يفوز بوصـل يا أخى سوى * صلب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادى فى الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعى قد وصلا

* وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما لا يسرك واغفر لى ما لا يضرك ثم رأيته بذى الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبى فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبى فقال ياشيخ وما تغنى التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله انى لاخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل فانه حليم اذا غضب رضى واذا رضى لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعد عفا فقال ياشيخ أتشير على بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خدعت لك وهذا مصرعى بين يديك فاقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لى شئ أتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه * وحكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بابى عبد الله الاندلسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات خرج فى بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا الى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبهاشمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر فى آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه مافيهن

أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلادة الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تجهد نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى فتقدمت اليه وقلت له ياسيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فاقبل علينا وقال ياقوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلى فقلت له ياسيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد انحلت عنى عرا الولاية وطويت عنى أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال ياقوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فاقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فاتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل أما انه فى البرية يرعى الخنازير فلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فابى أن يزوجها الا ان هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفى وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التى كان يتوكأ عليها اذا قام الى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا ياشيخ ماذا وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخوانى وأحبابى ليس لى من الامر شئ سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد ان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى وينادى ياشبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى باعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر

لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد ان كنت راعي القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا هو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي تركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم أعطوني ثوبا طاهرا فاعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي رد ك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم لما وليتم من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يامولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ما قدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من بالباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدي لما وليت من قريتنا جاء من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا

رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال أغمض عينيك وأعطينى يدك ففعلت فشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضى الى تلك الزاوية واقرئى الشيخ منى السلام وقولى له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغيرلونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار ومايرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة﴾

عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع فى الصالحين وقال لقمان لابنه يابنى كذب من قال الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عرى من حلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لد عائم دينه مضيع ولد داعى شيطانه مطيع (شعر)

كانه التيس قد أودى به هرم * فليس لحم ولا صوف ولا وبر

وقيل من فعل ماشاء لقى ماساء وقيل زنى رجل بجارية فاحبلها فقالوا له ياعدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عززت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لاعرابى كان يتعشق قينة مايضرك لو اشتريتها ببعض ماتنفق عليها قال فمن لى اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن يصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله فى المسلمين مثله . وكانت ظلمة القوادة وهى صغيرة فى المكتب تسرق دويات الصبيان

وأقلامهم

وأقلامهم فلما ثبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشري رحمه الله اقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القمارى كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمى ولاذنب للعود القمارى انه * يحرق ان تمت عليه رائحه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم

(ماجاء فى الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وفى ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد أى وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لودق الحجارة بوجهه لرضها ولوخلا باستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لوأن لى من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافر اللاشهب

﴿وقال آخر﴾

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب فى الامور كما يشاء

قال أنوشروان أربعة قبائح وهى فى أربعة أقبح البخل فى الملوك والكذب فى القضاة والحسد فى العلماء والوقاحة فى النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لاتكونن فى الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال على رضى الله عنه اذا هبت أمرا فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضى الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لاتسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الاذلوا وقال حكيم لايخرجن أحد من بيته الاوقد أخذ فى حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لايدفعه الا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لاجاهل له أى من لاسفيه له يدفع عنه . وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس اذ جاء اعرابى فلطمه فقام اليه واقد بن عمر فجلد به الارض فقال

عمر ليس بعزيز من ليس فى قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم مالم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح

اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وحيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس

وذى ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاق المعضلات من الرجال

﴿وقال آخر﴾

فان كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج

ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج

* فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج

﴿وقال آخر﴾

فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الاجواد وأحاديث الاجواد﴾

(اعلم) أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف فى وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من اعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوى أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمى أن انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار الى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات

فرجعت

فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات (ومن عجائب ماذكر فى الايثار) ماحكاه أبو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به مافيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالى لو لا أم لى وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له فى رقعتى الجلد وليس لى أم فخذ أنت رقعتى واعطنى رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل . وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء زوجها بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التى نحرت البارحة الا القليل فقال انى لأطعم ضيفانى البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا فقلنا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحى هذا فاخذناها وانصرفنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال أكثم بن صيفى صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم مالم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال على رضى الله تعالى عنه ماجمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم فى النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس فى فضله فقال صدقت وكان أسماء بن خارجة يقول ما أحب ان أرد أحدا

عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضى وكان مورق العجلى يتلطف فى ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له أمسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها فى حل وقال الحسن رضى الله عنه باع طلحة بن عثمان رضى الله تعالى عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه فى المسلمين . ولما دخل المنكدر على عائشة رضى الله تعالى عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة فقالت ما عندى شئ فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فارسلت بها اليه فى أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر . وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه جاء اليه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم براح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف فى مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (وذكر) الامام أبو على البقالى فى كتاب الامالى أن رجلا جاء الى معاوية رضى الله تعالى عنه فقال له سألتك بالرحم التى بينى وبينك الا ما قضيت حاجتى فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فاى رحم بينى وبينك قال رحم آدم عليه الصلاة والسلام قال رحم مجفوة والله لا كونن أول من وصلها ثم قضى حاجته ﴿وروى﴾ أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدى بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فلأ ها ما لا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكى من الاجواد لم يناول أحدا شيأ وانما كان يطرحه فى الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له يا هذا أعنا على الدهر فقال لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب فى حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما نا كل الارض من كرمك فابكانى . وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك

الاجابة

الاجابة فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى أن سألني . ويروى أن عبد الله بن أبي بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فاخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة غريبة مات زوجي منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضي الله تعالى عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله تعالى عنه . ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عني الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد . وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفرقها في الناس ولا يرى الا وعليه دين وسمن رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه فقال يا صاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هي لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فاعطاه جميع ذلك واعتذر اليه رضي الله تعالى عنه . ولما مات معاوية رضي الله تعالى عنه وفد عبد الله بن جعفر على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف فقال يزيد قد زدناك لترجك عليه ألف ألف فقال بابي وأمي أنت فقال وهذه ألف ألف فقال أما اني لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين . وخرج رضي الله تعالى عنه هو والحسنان وأبو دحية الانصاري رضي الله تعالى عنهم من مكة الى المدينة فاصابتهم السماء بمطر فلجؤا الى خباء اعرابي فاقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابي بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فاتى المدينة فلقي سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه

فامر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضى الله تعالى عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فامر له بألف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فقال كفانى اخوانى الابل والشياه فامر له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا دحية رضى الله تعالى عنه فقال والله ما عندى مثل ما أعطوك ولكن ائتنى بابلك فاوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار فى عقب الاعرابى من ذلك اليوم وقال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم انك قد أسرفت فى بذل المال فقال بابى أنتما ان الله عز وجل عوّدنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فاخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة وامتدحه نصيب فامر له بخيل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الاسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله رضى الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فاتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ما هى بارض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا الاسخى منى فاشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لى فهو فى سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال بجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك أبدا وكان عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفا بفناء زمزم وغلامك يمنح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائى حتى شربت فقال أجل انى لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده . وقدم عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما على معاوية مرة فاهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل فى نفسك منها شئ قال نعم والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما الصلاة والسلام فضحك عبد الله وقال خذها فهى لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد على قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال

الحاجب

الحاجب والله هذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم ، وحبس معاوية عن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما صلاته فقيل لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وأنى تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره انى شاطرته فان كفاه والا أحمل اليه النصف الثانى فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمى وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لى فى هذه الليلة مولود وانى سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك فى الهبة وآجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لابيه مائتى دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصارى عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش بؤس وفى المال قلة فقال الانصارى جعلت فداءك لو سبقت حاتما بيوم ماذكرته العرب وقال جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

يقينا ما نخاف وان ظننا * به خبرا أراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا * اذا ملنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال
ولم أر فى الخطوب أشد وقعا * وأمضى من معادات الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

فاعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها تزعم أنى لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتنى كم علىك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام أعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف

يقضى بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فاقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أياجود معن ناج معنا بحاجتى * فليس الى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاتى به فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وتفكر فى نفسه وخاف أن ياخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء ما ظنه ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم يكن فى دياره * من المال الا ذكره وجمائله
* تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى أنت نائله *
تعوّد بسط الكف حتى لوانه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

(ومن قول معن)

دعينى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار فى الجود عجيبة * من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت أن تأذن لى فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فائتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض اخوانى اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم

حتى

حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه ياعقيل فقلت

أفاض القوم فى ذكر الجوارى * فاما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لى فى الرجوع فاكبت عدوى وأسر صديقى فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغننى أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالنى من فضله مالا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فامر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضى الى أم فلان أخبرها انى استغنيت فقال اعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال انه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد

فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود

وما لسرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التى جمعت لنا ودع الحجاج ولحى يفعل فيه مايشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذى خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فاخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهى لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فما لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى وقال مروان بن أبى الجنوب الشاعر أمر لى المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا وراحلة كثيرة فقلت أبياتا فى شكره فلما بلغت قولى

فامسك ندى كفيك عنى ولا تزد * فقد خفت أن أطغى وان أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودى وأمر له بضياع تقوم بالف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية

ثم اتفقوا على ان أجد بن أبى دواد أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلى عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفى يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى من والد بعد والد

﴿وفى الفضل يقول القائل﴾

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا بمكب فى ثرى الارض ينكث

وفى محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالى أراكما * تبددتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لأصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضى الله تعالى عنه أعرابى فقال يا أمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى ان أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال يا قنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة * وليس تبنى بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه * كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لأصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله تعالى عنه صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه ولعبد الله بن جدعان

انى وان لم ينل مالى مداخلتى * وهاب ما ملكت كفى من المال
لأحبس المال الا حيث أنفقه * ولا يغيرنى حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يا بنى لا تزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا

مرغو باليه وطالب كان مطلو بامالديه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ماجاء للخير طالب
ولاتمنعن ذاحاجة جاء راغبا * فانك لاتدرى متى أنت راغب

(وقال بعضهم)

أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسى
وأمنحه فرشى وأفترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسى
حذار أحاديث المحافل فى غد * اذا ضمنى يوما الى صدره رمسى

وقال يحيى البرمكى أعط من الدنيا وهى مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيأ وأعط منها وهى مدبرة فان منعك لا يبقى عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لاتبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يابنى مادام فلك برعد فامطر معروفا وقال بعضهم

لاتكثرى فى الجود لائمتى * واذا بخلت فا كثرى لومى
كفى فلست بحامل أبدا * ماعشت هم غد الى يومى

وقال على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه لاتستحى من عطاء القليل فالحرمان أقل منه . وسئل اسحق الموصلى عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالى أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لايخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبى جعفر يوما فاراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر الين على فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بالف ألف درهم . وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى شهوات الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجانى يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائة دينار وقد أتيتك فقال لى بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فاتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال يا جارية هاتى مطرفا فاتته بمطرف خز فصر لى فى كل زاوية مائتى دينار فخرجت وأنا أقول

أيا خالد أعنى سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى * أبو أبويه خالد بن أسيد *

عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتموا * وماهو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ماشئت . وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ماسد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله . وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل أجعله ذخرا الى وأجعل الله ذخر الولدى وقسمه بين ذوى الحاجات وكان ابن مالك القشيرى من الاجواد قيل انه أنهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

ياخال ذرنى ومالى مافعلت به * وخذ نصيبك منه انني مودى
فلن أطيعك الا أن تخلدنى * فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدى
الحمد لايشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشترى المماليك بماله كيف لايشترى الاحرار بفعاله . ونزل بابى البحترى وهب بن وهب القرشى ضيفا فسارع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقر به أحد منهم وتجنبوه فانكر ذلك عليهم فقالوا نحن انما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل . ووفدت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لاتقولى غلام ولكن قولى همام ياغلام أعطها خمسمائة فقالت أبها الامير اجعلها نعما لجعلها ابلا اناثا وقال أبو الفياض الطبرى

والعرف ضيف لا يراه بر بعه * من لا يرى بذل التلاد تلادا
والجود أعلى كعب كعب قبلنا * فمضى جواد يوم مات جوادا

(وقال آخر)

أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت ان من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينها ياقوت وجواهر أنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسالته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال

أحمد بن جدون فقال لى ولا ترجة الهاشمى اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه فوالله ما رأينا فى الدنيا شيأ أحسن منه ولا شيأ أحسنا الا وقد عمل فيه فمددت أنا يدى الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته فى كمى ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأيناه فقال أترجة يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شيأ وغمزه على كمى فاريته الغزال فقال بحياتى عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما فمضينا فلما أن كلمنا وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن فما ذا بنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ما شئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون و يضحك ونظر يزيد المهلبى سطلا من ذهب مملوأ مسكا فاخذه بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقى فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فانى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله بالاول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده * ان الندى مات طلحة ماتا
ان الندى ألقى اليك رحاله * فبحيث بت من المنازل باتا

وقدم زيادة الاعجم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فاكرمه وأنعم عليه و بعث اليه بالف دينار فقال

ان السماحة والمروأة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال ليزدنى فقال كل شئ وثمنه . ووفد أبو عطاء السدى على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فانزله وأحسن اليه وقال ما عندك يا أبا عطاء فقال وما عسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير أنى قلت بيتين قال هات ما قلت فقال

يا طالب الجود اما كنت تطلبه * فاطلب على بابه نصر بن سيار
الواهب الخيل تعدو فى أعنتها * مع القيان وفيها ألف دينار

فاعطاه ألف دينار ووصاف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيأ فبلغ ذلك نصرا فقال يا له قائله الله من سيد ما أضخم قدره ثم أمر له بمثله . وقال العتبى أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذا هو باعرابى برفل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان أرادنى هذا الاعرابى فاوصله الى فلما وصل الاعرابى سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه

قال له ما حاجتك فانشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل مايبدى * ولا أطيق العيال اذ كثروا

أناخ دهرى على كلكله * فارسلونى اليك وانتظروا

فاخذت عمرو الاريحية فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الى وانتظروا اذن والله لاتجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بألف دينار . وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم يجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن فى ذلك فقال انفذه فما بقى الا انفاذه وان خروج المال أحب الى من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيأ وأراد الجواد الكريم أن يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذ . ووقف اعرابى على ابن عامر فقال يا قمر البصرة وشمس الحجاز يا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بى الحاجة وأكدت بى الآمال الا بفنائك فامنحنى بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة فامر له بمائتى ألف درهم . وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته انى اذا للئيم

فقال أوقات دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك . ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكائى جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلى أمرها من لا يعرف لها حقا . وأراد الرشيد أن يخرج الى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك وكلا ثنا من الاموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء توهم انا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه فى وجهنا هذا فقال منصور أنا أستخبرك لك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدى كما قبلت يده فلا تقل له شيأ فقد تركتها له . وقيل ان الرشيد وصل فى يوم واحد بالف ألف وثلثمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور فى يوم واحد لبنى هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ما ذكر . وعن الاخفش الصغير قال كان أسيد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأثبتهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية ينتقل لاهله فمر به عميلة الفزارى فسلم عليه وقال ما أصارك يا عم الى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصون وجهى عن مسئلة الناس فقال والله لئن بقيت الى غد

لا

لا غيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فاخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام في جنح ليل قال فكأنما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فانشا يقول

رآني على مابي عميلة فاشتكى * الى ماله حالي فواسى وماهجر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه * تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لاتشق على البصر
كان الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي جيده القمر

وكان عمر بن عبد الله بن معمر التميمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيالك المال الذي قد قبضته * ولم يبق في كفي غير التحسر
أبوء بحزن من فراقك موجع * أناجي به صدرا طويل التفكر

فاجابها يقول

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذري
عليك سلامي لازيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها خذهما وانصرف . ووفد أبو الشمقمق الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بارض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه وكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروآته . وقال أبو العيناء حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه

وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * فني العلا لك أخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شئ في بيت مال النادون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها في الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ في دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما أيها الامير اني أطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان اليد تمد الى وفيها الخناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطي أم أرد قال فاطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا تردها . وقال سلمة بن عياش في جعفر بن سليمان

وماشم أنفي ريح كف شممتها * من الناس الا ريح كفك أطيب

فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر . وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا مضيافا فتغدى عنده اعرابي يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس في الدخول على هيئتهم بالامس فقال أوكل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فانشأ يقول

كل يوم كأنه عيد أضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر
وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يعدها ألف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقي فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى فذكر ان أباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله أن يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا أدعك تقاسي الذل على أبوابهم . ودخل رجل على علي بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم الا ما أجرتني من خصمي فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فأخذها وانصرف فبينما هو في الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا فارجع الينا

متظلما

متظلما . وقال الاعمش كانت عندى شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى و يسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به و بمائة دينار وخلعة ثنية فأخذها وانصرف (وحكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم و باعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان ابن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان ابن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه خذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (وروى) عن الهيثم بن عدى أنه قال تمارى ثلاثة نفر فى الاجواد فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعد بن عبادة فقال الآخر بل أسخى الناس اليوم عرابة الاوسى فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم فى الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر بما يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله فى ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فاخرج رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما فى الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشانك قبل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها ولولم تعلم

أن ذلك يرضيه ما جسرت تفعله مخلوق خدم لرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

واذا ما اختبرت ود صديق * فاختبر وده من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شئ ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وان شئت فاعتق فأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا واذكروا قصة كل واحد فحكموا العرابة لانه أعطى على جهد . قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا انتا لعبيد

فقلت ومن مولا كما فتطاولا * الى وقالا خالد بن يزيد *

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق يمناه الندى وشمائله

هو البحر من أى الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط الكف حتى لوانه * دعاها القبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى * وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب

وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما * تساقط منى الريش أو كاد يذهب

فانت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبى ما أخذت وانصرف (وأما الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية) فهم حاتم بن عبد الله الطائى وهرم بن سنان وخالد بن عبيد الله وكعب بن مامة الايادى وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما . فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء فى المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور . وأما خالد بن عبيد الله فانه جاءه بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشده يقول

يا واحد العرب الذى * ما فى الانام له نظير

لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فاخذها وانصرف . وأما حاتم فاخباره كثيرة وآثاره

فى

فى الجود شهيرة ويكنى أباسفانة وأباعدى وكان يسير فى قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدى يعادى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا الى طيئ فهرب عدى باهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فاسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم قالت هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فان أبى كان سيد قومه يفك العانى ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ويفرج على المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فاطلقها ومن عليها فاستأذنته فى الدعاء له فاذن لها وقال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا فى ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فاتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخى ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فانى قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبنى رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم وانى أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل فى عز اليمن فقدم عدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فالقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبى صلى الله عليه وسلم على الارض فاسلم عدى بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يابنية ان الكريمين اذا اجتمعا فى المال أتلفاه فاما أن أعطى وتمسكى واما أن أمسك وتعطى فانه لا يبقى على هذا شئ فقالت له منك تعلمت مكارم الاخلاق قال ابن الاعرابى كان حاتم الطائى من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل وهب واذا سابق سبق واذا أسر اطلق وكان اذا أهل رجب الذى كانت تعظمه مضر فى الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجدت مالا ليتلفنه وان لم يجد لتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال فى الجاهلية وكان طلاقهن ان يكن

فى بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حوّلته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حوّلته الى المشرق وان كان من قبل اليمن حوّلته الى الشام وان كان من قبل الشام حوّلته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم انها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقى حاتما وأنا أتزوّجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فاتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده ياعدى ماترى مافعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فاخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبى الى ابن عمى مالك وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشئ نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظرى الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه وان ضرب بلحيته على زوره ولطم رأسه فأقبلى ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فايقظته وأبلغته الرسالة وقالت له انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولى لها هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لاجله وما عندى لبن يكفى اضياف حاتم فرجعت الجارية فاخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبى الى حاتم وقولى له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا امكانك فارسل الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فاتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فاخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فاطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذى طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك ياماوية الذى خلقهم وخلق الخلق متكفل بارزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها فى بقاع الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ماعدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه فى سنة مجدبة ﴿وحكى﴾ ان ملكان ابن أخى ماوية قال قلت لها يوما ياعمة حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخى أعجب مارأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذنى واياه الجوع وأسهرنا فاخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فاقبل على يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام فرفقت به لما به من الجوع فامسكت عن كلامه لينام فقال لى أنمت فلم أجبه فسكت ونظر فى فناء الخباء فاذا شئ قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ماهذا فقالت ياأباعدى أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها احضرى صبيانك فوالله لاشبعنهم فقامت سريعة لاولادها فرفعت رأسى وقلت له ياحاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ماانام صبيانك من

الجوع

الجوع الا بالتعليل فقال والله لاشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعى واشوى وكلى واطعمى صبيانك فاكلت المرأة وأشبعت صبيانها فايقظت أولادى وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا لهو اللؤم تاكلون وأهل الحى حالهم مثل حالكم ثم أتى الحى بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ماذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا واخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أمادى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر

وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طيئ فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى فى جيشه وأهل عشيرته ولقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم ياحاتم هب لى رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ماجواب من يقول هب لى ولما مات عظم على طيئ موته فادعى أخوه انه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فبقى والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثدىى طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الآخر فانى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ماعاش حاتم طيئ * وان مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعى الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنباحه والضمير الغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالى الحى وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدى الضلال وتأتى الاضياف على نباحها والحكايات فى ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر فى مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيأ يبقى على مر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولاشئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك فى القيامة كما ادخروا واعلم ان المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك

العدو فاختر أى الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والثلاثون فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم﴾

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال البخل جامع لمساوى القلوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهما ان البخل لو كان قميصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وجعيد الارقط وأبو الاسود الدؤلى وخالد بن صفوان . فاما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أتاضربه فاشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها . وأما جعيد الارقط فكان هجاء للضيفان فخاشا عليهم نزل به مرة أضياف فاطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه . وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين فى أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لا طيلن حبسك ثم يطرحه فى الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبنى جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتى هل أزاد به عمرا
اذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل ابن هرون كتابا فى مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبى فنن

ذرينى واتلافى لمالى فانى * أحب من الاخلاق ما هو أجمل
وان أحمق الناس اللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدى بخيلا جدا أصابه القولنج فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما فى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الخادى فى طريقه الى الحج فحداله يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع اعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين

المؤمنين والله فقد حدوت لهشام فامر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة * وكان أبو العتاهية ومروان بن أبى حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لى المهدى فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه فى القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم و يقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب لى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق . ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا فى سفر ان يشترى كل واحد منهم قطعة لحم و يشكها فى خيط و يجمعون اللحم كله فى قدر و يمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع اضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما أعاره اياها فكيف يكسونى وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

* وكان المتنبى بخيلا جدا مدحه انسان بقصيدة فقال كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا * وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلن نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداء نافاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل من الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لاكره من يرمى برجله فكيف برأسه و يحك أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم تر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت انى لا آكله أما قلت عنده من يأكله انظر فى أى مكان رميته فاتنى به فقال والله لا أدرى أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته رميته فى بطنك الله حسبك * وقيل من الناس من يبخل بالطعام و يجود بالمال و بالعكس قال بعضهم فى أبى دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزى صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدفع الآلام اذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فامر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة . وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فاذا نا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عود البخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراسانى أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت فى ذلك من المسرفين . وقال الهيثم ابن عدى نزل على أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاده * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال فى هذا المكان قالت يا أبت مادمت مستمسكا لهم بهذه الكلمة فما نبالى كثروا أم قلوا . والأم اللئام وأبخلهم جميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تلبها قيد أظفور

(وقال فيه أيضا)

تجهز كفاه وبحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

واكل

وأكل اعرابى مع أبى الاسود رطبا فاكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فاخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يا كلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها وقال اعرابى لنزيل نزل به نزلت بوادغير ممطور ورحل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم وللمحمدونى

* رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفى يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
* فقام وقال من حنق اليه * ببيت لم يرد فيه القيام *
أبى وابنا أبى والكلب عندى * بمنزلة اذا حضر الطعام *
* وقال له أبن لى يا ابن كاب * على خبزى أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدى ولا ذمام *
فما فى الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فابن هذا من القائل

بخيل يرى فى الجود عارا وانما * يرى المرء عارا ان يضن ويبخلا
اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا

(وقال آخر)

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له فى العالمين خليل

وقالوا اذا سألت لئيما شيأ فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربعى الهمدانى

جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم *
وانى لارجو أن أموت وتنقضى * حياتى وما عندى بد للئيم

وأنشد الجاحظ لابى الشمقمق

ممن تعلمت هذا * ان لا تجود بشى أما مررت بعبد * لعبد حاتم طى

(ومما قالته الشعراء فى البخلاء وطعامهم) فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير فى بنى تغلب والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

وله أيضا فيهم

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار

قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار
فتمنع البول شحان تجودبه * وما تبول لهم الا بمقدار
والخبز كالعنبر الهندى عندهم * والقمح خمسون أردبا بدينار

فاين هؤلاء من الذى قال فيه الشاعر

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

(وقال بعضهم فى بخيل)

أتانا بخيل بخبزله * كمثل الدراهم فى رقته
اذا ماتنفس حول الخوان * تطاير فى البيت من خفته

(وقال آخر)

تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

(وقال آخر) وقد بات عند بخيل

فبتنا كانا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد

(وقال آخر)

وجيرة لاترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ماتطبخ النار

﴿وقال آخر وأجاد﴾

فصدق أيمانه ان قال مجتهدا * لاوالرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فاعبث بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبنى لوأن غبرته * على جرادقه كانت على حرمه

﴿وقال آخر﴾

ذهب الكرام فلا كرام * وبقى العضاريط اللئام
من لايقبل ولا يفيض ولا يشم له طعام

﴿وقال آخر﴾

خليلى من كعب أعينا أخا كما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

(وقال

﴿وقال آخر﴾

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى خطاب * وأما سيفه فعلى الكلاب

﴿وقال آخر﴾

زففت الى نبهان من صفو فكرتى * عروساغدا بطن الكتاب لها صدرا
* فقبلها عشراوهام بحبها * فلماذ كرت المهر طلقها عشرا

﴿وقال آخر﴾

لوعبر البحر بأمواجه * فى ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوأة خردلا * ماسقطت من كفه واحده

﴿وقال آخر﴾

يافائما فى داره قاعدا * من غير معنى لاولا فائده
قدمات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

﴿وقال آخر﴾

نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
فلوأبصرت ضيفا فى منام * لحرمت الرقاد الى المعاد

﴿وقال آخر﴾

لاتعجبن لخبزل من يده * فالكوكب النحس يسقى الارض أحيانا

﴿وقال ابن أبى حازم﴾

وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يجود على عديم

(ومن) رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذى قال وددت لوأن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى واستهلوا شتمى حتى ينتشر ذلك فى الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلوجعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستنا فقال علامة ذلك أن أقول ياغلام هات الغداء . وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاره فقلت مابالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى

وأساقاشتريته وتغديناوأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذى اشترى الرأس . وقال رجل من البخلاء لاولاده اشتروالى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمشمشها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد لعام هى أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما . ووقف اعرابى على أبى الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الاكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابى أما انى قد مررت باهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدى بها قال قد ولدت قال كان لابد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان لابنى بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزنا على ولديها قال ما أطيب طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدى والله لاذقته يا اعرابى . وقيل خرج اعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه اعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابنى عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحى نبحا قال فما حال جلى زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يسأله وقال يامبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جلك زريق فمات قال أومات جلى زريق قال نعم قال وما الذى أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت فى سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا مالنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت

ضيف

ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف مالنا وللضيف فبينما هي تكلمني اذ أقبل صاحب البيت فلما رآني قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بي بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية و بعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتها هي اختي وان بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير و بالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك﴾

﴿أما اباحة الطيب من المطاعم﴾ فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في ما كله ومشربه وكان الحسن رضي الله تعالى عنه يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عمن يترك الطيبات اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقي الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى احكام هذا أحوج من ترك الخبيص (وأما نعوت الاطعمة وما جاء فيها) فقد نقل عن الرشيد انه سأل أبا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضي لاحدهما أتى الآخر بحجته . واختلف الرشيد وأم جعفر في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بالف

دينار فبلغ ذلك زبيدة فامرت له بالف دينار الا دينارا وسمع الحسن البصرى رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الاصمعى أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى اعرابى بفالوذج فاكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة وهو يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول ياعائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانها تشد القلب الحزين وهى شجرة أخى يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبى رافع قال كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يملح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكمثرى يقوى المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على بساط معاوية ويصلى خلف على ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل وهو أعلم والجلوس وحدى لى أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الأرز يزيد فى العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال ياأمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الارز يرى منامات حسنة ومن رأى منامات حسنا كان فى نهار بن فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الارز الابيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لابى الحرث ماتقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لاتعرف الالوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضى الله تعالى عنه فاتخذ الالوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا مائدتى بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقى اللحم فى العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لايتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة وقال بعضهم

فى حبة القلب منى * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يارسول الله قال لاينتظر به الادام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفى حديث من دام على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان * ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مالك مولانا اليس يدعونى الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كانها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أو خشونة ملمسه وقيل له ماتقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فاقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فاقام على رؤس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ماتركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فاجابه والله العظيم ماعملت الا قبل أن توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان أباجهم بن عطية كان عينا لابى مسلم الخراسانى على المنصور فاحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

﴿وقال أبو طالب المامونى﴾

فما حلت كف امرئ متطمعا * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة ودخل السائب على على رضى الله تعالى عنه فى يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فاباه فقال أما انك لو شربته لم تزل دفئا شهرا ان سائر يومك وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات ﴿وأما الزهد فى المأكل﴾ فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة

رضى الله تعالى عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول الله خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول أف أف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادم الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ما قرب اليه وقال عمر رضى الله تعالى عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى

﴿وأما ما جاء فى آداب الاكل﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الاكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الاكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجالس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله تعالى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ما عاب النبى صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمر بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فان مباكرته

تطيب

تطيب النكهة وتعين على المروءة قيل وما اعانته على المروءة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم قال من لقط شيأ من الطعام فاكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فليتم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابي يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدي الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما دجاجة ففكها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضي الله تعالى عنهما وحضر اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كان أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك ﴿وأما ما جاء في كثرة الأكل﴾ فقد روى عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وفسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكا الا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذاني طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت في معدتك الحجارة لطحنتها وقال علي كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تحمد منا وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الاكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

اذا لم أزر الا لآكل أكلة * فلا رفعت كفي الى طعامي

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشتري غلاما فالقى

بين يديه تمرا فأكل فاكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الأكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الاكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له أما فى وجهى ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداءك لوأن جبلا وبثينة قعدا ساعة لابا كلان لبصق كل منهما فى وجه صاحبه وافترقا

(وأما أخبار الاكلة) فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك بلح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فاكله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو فى بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازنى ما أكلة بلغتنى عنك قال جعت مرة ومعى بعير لى فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيأ يسيرا حملته على ظهرى فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لى فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل الى وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة أيام وقال الاصمعى ان سليمان بن عبد الملك كان شرهانهما وكان من شرهه أنه اذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوى لا يصبر الى أن يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتى عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعى ما أعلمك باخبار الناس انى عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثنى ثم أمر لى بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الى وقال ياشمردل ما عندك ما تطعمنى قلت عندى جدى كاعظم ما يكون سمنا قال عجل به فاتيت به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا خذ قال هلم يا أبا جعفر فقال انى صائم فاكله ثم قال ياشمردل ويلك أما عندك شئ قلت ست دجاجات كأنهن أخاذ نعام فاتيته بهن فاتى عليهن ثم قال ياشمردل أما عندك شئ قلت سويق كأنه قراضة الذهب فاتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال ياغلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فاتاه بها ومعه الرفاق فاكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعدوا كل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا * وقال اعرابى لرجل رآه سمينا أرى عليك فطيفة من نسج أضراسك * وقال أبو المحسر الاعرابى كانت

لى

لى بنت تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة فى ذراع كأنه جارة فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الا خصتنى بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فوالله لن تسبق عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها * وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة * ويقال فلان يحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام وعصا موسى فى سرعة الالتهام * وقيل لأبى مرة أى الطعام أحب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولى السوء فى مال اليتيم * وقال صدقة بن عبيد المازنى أولم لى أبى لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريدا من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازنى فقدمنا له جفنة مترعة فاكلها ثم أخرى فاكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوأة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فاكلها ثم قدم الطعام فاكل ثم أتى بزنبيلين فى أحدهما تين وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فالقى اليه رغيف رغيف فاكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله * وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهرى انه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع * ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فاتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

﴿وأما المهازلة على الطعام﴾ فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت خزيرة فجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لالطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فاخذت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها فتناولت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

يضحك * واشترى غندر يوما سمكا وقال لاهله أصلحوه ونام فاكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ماشبعت * ودخل الجدونى على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتونى ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات فى ذلك كثيرة

﴿وأما الضيافة واطعام الطعام﴾ فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له وقال الحسن كانسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ماخيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لى به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ماخلا مضيف الخليل عليه الصلاة والسلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهرى اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لايحدثه عشرة أيام وقالوا المائدة مرزوقة أى من كان مضيافا وسع الله عليه وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه فى الاسلام عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لايعود منه شئ فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجنى الى أن أفد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته

﴿وأما آداب المضيف﴾ فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى ويبسط الوجه فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتى بهما وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوى رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما فى وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ماتستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك *
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

وقالت

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال حاتم الطائى

سلى الطارق المعترياً أم مالك * اذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
أأبسط وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكرى

﴿وقال آخر فى عبد الله بن جعفر﴾

انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

﴿ولله در القائل﴾

* الله يعلم انه ما سرنى * شئ كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتنى * ضيفاله والضيف رب المنزل

﴿أخذه من قول الشاعر﴾

ياضيفنا لوزرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

﴿وما أحسن ماقال سيف الدولة بن حمدان﴾

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق
وكل مافيه حلال له * الا الذى حرمه الخالق

(وقال الاصمعى) سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الاخلاق وقال أو ماسمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

﴿وقال بعض الكرام﴾

صاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

﴿وقال آخر﴾

عودت نفسى اذا ما الضيف نبهنى * عقر العشار على عسر ويسار

(ومن آداب المضيف) أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندى تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما من تمام المروأة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به كما حكى بعضهم

قال استدعاني اسحق بن ابراهيم الظاهري الى أكل هريسة في بكرة نهار فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأمر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكي عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد في أول النهار يخدم القوم ويانسون به فلما آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكي الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا على ولدي فانه بالامس سقط من على السطح فمات لساعته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغي لعاقل أن ينغص على أضيافه في التذاذهم ولا يكدر عليهم في عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف أن يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الامراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا ينخدع لا يمكنه الله منا والاليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه أن يسهر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال اذا ضافك أحد فاره الكنيف فاني ابتليت به مرة فوضعته في قلنسوتي وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري وكذلك كانت عادة السلف رضي الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودي ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم في السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضي الله عنها فأكل طعامها وهي غائبة وكان الحسن رضي الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع فقال له يا كع اتل علي آية الاكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله

او

أوصديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده بل يحضر لهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ماندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر ما قدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من ألقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف وحكى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه كان نازلا عند الزعفرانى ببغداد فكان الزعفرانى يكتب فى كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان و يدفعها الى الجارية فاخذها الشافعى منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفرانى ذلك فاعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضى الله عنهم أن يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهى ومن السنة ان يشيع الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضئ سراج لا يضئ ورسول بطئ ومائدة ينتظر لها من يجئ ونزل الامام الشافعى رضى الله عنه بالامام مالك رضى الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت منى فخدمة الضيف فرض

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابرى العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه و يصف زياديه و يشتهى أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بان يرفع منها أطيبها وأشهاها الى النفوس و يعتذر ان فى أصحابه من يحضر بالغداة عنده * وحكى عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف و بين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه فظن البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى أن تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخى والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك وحكى عن بعضهم انه قال غلب على الجوع مرة فقلت أمضى الى دار فلان لاتغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لا قلت لك عليه الا ان أعطيتنى كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشئ اليسير وتفخيمه * حكى عن بعض البخلاء انه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه انا أجعله

بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلاجبن فاين هؤلاء من الذى يقول

قالت أما ترحل تبغى الغنى * قلت فمن للطارق المعدم
قالت فهل عندك شئ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

﴿وقال بعض البخلاء﴾

سرى نحونا يبغى القرى طاوى الحشى * لقد عملت فيه الظنون الكواذب
* فبات له منا الى الصبح شاتم * يعدد تطفيل الضيوف وضارب *

﴿وأما آداب الضيف﴾ فهو ان يبادر الى موافقة المضيف فى أموره منها أكل الطعام والافشتان مابين القائلين يعتذر بشبع ٧ بل يأكل كيف أمكن . فقد حكى انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما أحتاج الى مكان أبيت فيه فقال الاعرابى اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيرى فانى لا أرى ان تمدحنى فى البلاد وتهجونى فيما بينى و بينك (وحكى) عن بعض التجار قال استدعانى أبو حفص محمد بن القاسم الكرخى لاعرض عليه قماشا من تجارتى فبينما أنا بين يديه واذا باطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يافلان ماهذا الخلق العامى اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثرى فى لقمة والتفاحة فى لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فاكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر فى اليوم الثانى الا وقد جاءنى غلامه ببغلته فاستدعانى اليه فقال لى يافلان انى قليل الاكل بطىء الهضم ولقد طابت لى مؤاكلتك بالامس فاريد ان لا تقطع بعدها عنى قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه فى طلبى فحصل لى بقربى منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا ان لا يسأل صاحب المنزل عن شئ من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وان لا يتطلع الى ناحية الحريم وأن لا يخالفه اذا أجلسه فى مكان وأكرمه به وأن لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل فى بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سيىء الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذى يظهر لى من هذا الرجل أنه كريم الاخلاق وما أظن سوء أخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولا بد أن أتطفل عليه لارى حقيقة أمره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفى قلت نعم فسار بين يدى الى أن جاء الى باب داره فاذن لى فدخلت فاجلسنى فى صدر مجلسه فجلست حيث أجلسنى وأعطانى مسندا فاستندت اليه فخرج لى شطرنجا وقال أتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر

الطعام

الطعام جعل يقدم لى ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد ان يسكب الماء على يدى فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدى بعد ان قدم نعلى فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت ياسيدى أنشدك الله الا فرجت عنى كربة قال وماهى فاخبرته الخبر فقال والله مايحوجنى لذلك الاسوء أدبهم يصل الضيف الى دارى فاجلسه فى الصدر فيابى ذلك ثم أقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشئ مستظرف الارده على ثم أريد ان أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ماتفعل ثم أريد ان أشيعه فلا يمكننى من ذلك فاقول فى نفسى لايحكم الانسان على نفسه حتى فى بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفى معنى ذلك يقول بعضهم

لاينبغى للضيف ان يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان فى بيته * ان شاء ان ينصف أو أن يحيف

(ومما) يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا ان يكون بدويا فانها عادته ومنها أن يتتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادى والاماريق والحلوى وغير ذلك ومنها ان ياخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكى وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير . ومنها قبح المؤاكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرنخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباب والنفاخ والحامى والمجنح والشطرنجى والمهندس والمتمنى والفضولى . فاما المتشاوف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا الناحية الباب يظن ان كل مادخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى ويعد على أصابعه ويشير اليها وينسى نفسه والجراف هو الذى يجعل اللقم فى جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذى يجعل اللقمة فى فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لايخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة فى فيه وينفض أصابعه فى الزبدية والقراض هو الذى يقرض اللقمة باطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها فى الطعام بعد ذلك والبهات هو الذى يبهت فى وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذى يلت اللقمة باطراف أصابعه قبل وضعها فى الطعام والعوام هو الذى يميل ذراعيه يمنة ويسرة لاخذ الزبادى والقسام هو الذى يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها فى الطعام من فيه . والمخلل هو الذى يخلل أسنانه باظفاره والمزبد هو الذى يحمل معه الطعام والمرنخ هو الذى يرنخ اللقمة فى الامراق فلا يبلع الاولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذى يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه

والمفتش هو الذى يفتش على اللحم باصابعه والمنشف هو الذى ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذى يملأ الطعام لبابا والصباب هو الذى ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامى هو الذى يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذى يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجى هو الذى يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذى يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه ههنا حتى يأتى قدامه مايحب والمتمنى هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من ياكل والفضولى هو الذى يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى القدور شئ فاطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق فى يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدى بالهندسة أولا فيقول كان ينبغى أن يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغى ان يكون ههنا و ينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان قد استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم * ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وماذاك الا أنه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت فى بطنى واذا قيل له أين شربت قال شربت فى فمى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه مايشترى شيأ فاذا ذوقه فيعجز صاحب المنزل و يخجله اذا لم يكن فى بيته شئ موجود وليت شعرى اذا كان لا يأكل فلاى شئ حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل و يشكو الجوع و يظن أن ذلك بسط وكارم أخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لا فى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول أنا والله كلما مر على عام تزايدت شهوتى وكثر هذا الفن تشوقى و يعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته و يذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة

صاحب

صاحب البيت ما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سبب افراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن فى نفسه أنه يعشق وان رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع فى الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقى ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده بذلك المنن وأكثر الناس واقع فى ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك ﴾

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت أنه يوصينى بترك الحدود وقال الحسن بن أبى الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال على كرم الله وجهه أرلى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب الى العفو حتى انى أخاف أن لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتى فى العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبى للعفو لما تقربوا الى الا بالجنايات وقال على كرم الله وجهه اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال على رضى الله تعالى عنه أقيلوا ذوى المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله

يرفعه وقال رضى الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه اياك أعنى فقال له وعنك أعرض وكان الاحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما آذانى أحد الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان مثلى تفضلت عليه وان كان دونى أكرمت نفسى عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال أنصر لى من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه فى الحلم كما يختلف الى الفقهاء فى الفقه ولقد حضرت عنده يوما وفد أتوه باخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخى أطلقوه واحملوا الى أم ولدى ديته فانها ليست من قومنا ثم أنشد يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد فى العالمين ذكره والعرب تقول لا سؤدد مع الانتقام والذى يجب على العاقل اذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العفو به شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق فى انتقامه الا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدى بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعى ذكر له عنه أنه يميل الى بنى على والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبى ثم قال

فهبنى مسيئا كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فانت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أما ذاك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله * وأحضر الى الهادى رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقرارى يلزمنى ذنبا لم أفعله ويلحق بى جرما لم أقف عليه وانكارى رد عليك

ومعارضة

ومعارضة لك ولكنى أقول

فان كنت تبغى بالعقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز فى الاجر

فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ما أمضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله * وركب يوما عمرو بن العاص رضى الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للامير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال أصلح الله الامير أنت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال انى لا أمل دابتى حتى تملنى ولا أمل رفيقى حتى يملنى فقال أصلح الله الامير أما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الام قال على الخبير سقطت أمى النابغة بنت حرملة ابن عزة سبتها رماح العرب فاتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو للعاص لان العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بابى سفيان * وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى أخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الامير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم أحد لانكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على بن أبى طالب رضى الله عنه على منابركم وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحدا فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها . وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروأة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك فقال ذاك الذى أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب أما بعد يا بنى عبد المطلب فانتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الى أن يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل

يقول صدقت وقلت حقا غير أنى * أرى أن لا أراك ولا تراني
ولست أقول سوأى فى صديقى * ولكنى أصد اذا جفانى

فرك اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكى) عنه رضى الله عنه انه لما ولى الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده فى مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تتعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب على تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم يقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضى الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضى الله عنه بئسما أشرتم به وقبح لما قلتم أيحسن أن يشتهر عنى انى بعد ما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وقف اصاحبها انى اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة أن أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها فى هودج وجعل عشاءه خزامى بطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لكن أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضىء فى الشمس وان الكواكب لا تضىء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوى الحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال

الدماء

الدماء والصبر خير الامور عاقبة اتتوا الحرب غيرنا كصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا فى كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرنى قولك وأنى لى بتصديقه فقال لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب الى من حبكم له فى حياته فاذكرى حوائجك تقض فقالت يا أمير المؤمنين انى اليت على نفسى ان لا أسأل أحدا بعدك على حاجة فقال قد أشار على بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسئلة قال فاعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والى الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها * وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية فى أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية ان عبيدك قد دخلوا فى أرضى فانههم عن ذلك والا كان لى ولك شان والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بنى ما ترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بنى ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى ما ساءه والدنيا باسرها هينة عندى فى جنب رضاه نزلت عن أرضى لك فاضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على كتاب معاوية رضى الله عنه كتب اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال أبوه يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء . ولما دخل الفيل دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا فى قصرى وتحت جناحى تهتك حرمتى وأنت فى قبضتى ما حملك على هذا قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فعفا

عنه وخلى على سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضتم أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جاشا وأثبت جنانا من رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره فأحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى عندك لبنى أمية فاخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم وودائعهم قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فأطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله فى بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه أو ظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شئ وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى يا أمير المؤمنين أن تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله الذى لا اله الا هو ما فى يدى لبنى أمية مال ولا وديعة ولكنى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند أمير المؤمنين قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بانه غلامه وأنه أخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع فى يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته الثلاثة آلاف التى أخذها وثلاثة آلاف أخرى ادفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع . وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لانه لابد منه انما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك وعفا عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع . وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لى بك حرمة قال وما هى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فردزياد كمه على فيه وضحك وعفا عنه . وأمر الحجاج بقتل رجل فقال

اسالك

أسألك بالذى أنت غدا بين يديه أذل موقفا منى بين يديك الا عفوت عنى فعفا عنه ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بنى تميم فقال والله يا حجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب ما أحسنت فى العفو فقال الحجاج اف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله • وكان ابراهيم بن المهدى يقول والله ما عفا عنى المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق فى العفو يكره أن تكسد بقتلى • وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان وفى بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة فى العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وقال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليلا يدعونى فاوجست منه خيفة فقال له أنت القائل أنا ركن الدولة والثائر لها والضارب أعناق بغاتها الا أم لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت يا أمير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت أنا عبد الدولة والثائر لها فاطرق وجعل ينحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت أحسن من هذا قولى

خلافة الله فى هرون ثابتة * وفى بنيه الى أن ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مائتى ألف درهم قبل أن يصبح • وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح بى أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فاتعلق باطواقك وأقول أى رب سل مصعبا لم قتلنى فقال أطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الامير اجعل ما وهبت لى من حياتى فى خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لئن أمكننى الله منه لافعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وأمر له بصلة وقال الحسن ان أفضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال أبو تمام

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه * يكفيك ما ماريت فى أنه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ما شئ أشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته أشد على من كلامه شعر

اذا كنت تبغى شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب • وفى التوراة اذكرنى اذا غضبت أذكرك اذا غضبت فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت فاصبر

وارض بنصرتى فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فاندر عينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يباعدنى عن غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب أضاع الارب قال أبو العتاهية

ولم أر فى الاعداء حين اختبرتهم * عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

وقال أبو هريرة رضى الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضى الله عنه كفى بالمرء اثما أن يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق فى كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبى فقم الى بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثانى اذا سكن بعض غضبى فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبى فناولنيها وكان فى الاولى افصر فما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اجعل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذاك روى انه أنوشروان وكان الشعبى أولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام فى حال الرضا * انما الاحلام فى حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء وروى ملأه الله أمنا وايمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فاخذت السوط وبعثت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى أحدا يشفى غيظه * وقال أبو ذر لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال أردت أن أغيظك قال لاجمعن مع الغيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى * واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك بن مروان اعرابى يقال له حزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده وكتب

اليه

اليه حزة من السجن يقول (شعر)

يدى ياأمير المؤمنين أعيدها * بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت خبيثة * اذا ماشمال فارقتها يمينها

قال فابى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه أم حزة وقالت ياأمير المؤمنين بغى وكاسبى وواحدى فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا احد من حدود الله تعالى فقالت ياأمير المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التى تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله (شعر)

اذا ماطاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا أخا عفو وصفح * ولا لاخ على عهد وثيق
اذا زل الرفيق وأنت ممن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا أنت اتخذت أخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدرى لعلك مستجير * من الرمضاء فرا الى الحريق
فكم من سالك لطريق أمن * أتاه مايحاذر فى الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له ياهذا لا تغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانى أبيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن أجيئها كبيرا وانى لأكافئ من عصى الله فى باكثر من أن أطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يامولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى * وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال ياأمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولها قال قل فأنشأ يقول

زعموا بان الصقر صادف مرة * عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتم لقمة * ولئن شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (قال الشاعر)

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

(قال بعضهم)

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف

لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف

(وقال آخر)

اذا ذكرت أياديك التى سلفت * مع قبح فعلى وزلاتى ومجترمى
أكاد أقتل نفسى ثم يدركنى * علمى بأنك مجبول على الكرم

وروى أن عمر رضى الله عنه رأى سكران فأراد أن يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا أحب أن أضرب مسلما لحمية نفسى . وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر بضرب عنقه فأنشأ يقول

وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله وأكرمه . وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا الامنان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد . وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عمن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يا بنى اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه فان أنصفك والا فاحذره

(وقال الشاعر)

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تلقاه بالود اغضبه
فان كان فى حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد (قال الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
و يشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال

(وقال آخر)

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو اننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف ايا كم ورأى الاوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وقال رجل لابى بكر الصديق رضى الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعى وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو يماشيه فى الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقى معك شئ فهات وقله ههنا فانى أخاف أن يسمعك فتيان الحى فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يابنى ثلاثة لايعرفون الاعند ثلاثة لايعرف الحليم الاعند الغضب ولا الشجاع الاعند الحرب ولا أخوك الاعند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

﴿وقال آخر﴾

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

﴿وقال آخر﴾

قل مابدا لك من صدق ومن كذب * حلمى أصم وأذنى غير صماء

ويروى فى بعض الاخبار أن ملكا من الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما من خاصته فلما مد السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شئ يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ماهذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا شحاعلى عرضك وعبرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبى الذى تقتلنى به قتله فى ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذرنى فى قتلى وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال ياقبيح الفعل ياحسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ﴿وحكى﴾ عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور فى الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى

وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك ولاقرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار محكم فى القصاص العفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى أعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لاتثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فان جحدتك ما أوليت من كرم * انى لبالؤم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لاتقتلنى فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا بنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا
أحجاج لاتفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج لاتترك عليه بنانه * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة . ولما قدم عيينة ابن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان للقراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخى لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لى عليه فاستأذن فاذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير

المؤمنين

المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى ﴿وحكى﴾ أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل على المبلغ شك أنها خط الفضل فشرع فى أن يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فطرق الفضل برأسه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان أن يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وأبرهم للمقترعليه نجحا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

﴿وأما ما جاء فى العتاب﴾ فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعرا)

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من * يدى غلهما غيظا الى عنقى
وأستعير له من سطوتى حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير فى شئ ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين فى الهوى * عتابهم فى كل حق وباطل

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

(وقال آخر يعاتب صديقه)

وكنت اذا ماجئت أدنيت مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

(وقال أبو الحسن بن منقذ)

اخلاقك الغر السجايا مالها * حلت قذى الواشين وهى سلاف
ومرآة رأيك فى عبيدك مالها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه خط عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لى عليك حسيبا
أكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان أرسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذرى ان أجبت بمثله * أو كنت بالعتب العنيف مجيبا
لكننى خفت انتقاص مودتى * فيعد احسانى اليك ذنوبا

(وقال آخر)

أراك اذا ماقلت قولا قبلته * وليس لاقوالى لديك قبول
وماذاك الا أن ظنك سيئ * باهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسى نائها * بنفسك عجبا وهو منك قليل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضافة ثم ولى عملا فاثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة * فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

(وقال آخر فى المعنى)

دعوت الله أن تسمو وتعلو * على النجم فى أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عنى * فكان اذا على نفسى دعائى

وكان ابن عرادة السعدى مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

(وقال مسلم بن الوليد)

ويرجعنى اليك اذا نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

(وقال أبو الحسن القابسى)

اذا أنا عاتبت المسلول فانما * أخط باقلامى على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ماقيل فى العتاب

وفى العتاب حياة بين أقوام * وهو المحك لدى لبس وايهام

فما شئ أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوى الالباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم﴾

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذى من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات فى ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون وروى فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه فى العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطرها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل شئ رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اذا قلت فى شئ نعم فانمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

(وقال آخر)

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذى تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابي أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالد بن برمك فامر له بعشرين ألفا فابطأت عليه فقال لقائده أقفى حيث بمر فاقامه فمر فاخذ بلجام بغلته وأنشا يقول

أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لها برق وأبطا رشاشها

فلا غيمها يجلي فييأس طامع * ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح الاخمي

لئن جمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل

ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهدلي أم ولد فأمر المنصور الربيع أن يعزيه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل الهدلي يتوقع وعد أمير المؤمنين وتسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهدلي فقال المنصور وهو بالمدينة اني أحب أن أطوف الليلة المدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهدلي أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص

يا بيت عاتكة الذي أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لاميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذي كان وعد به الهدلي فأنجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء أكرومة * تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يمطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

(وقال آخر)

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد * لا خير في وعد بغير تمام

أنعم علي بما وعدت تكرما * فالمطر يذهب بهجة الانعام

(وقال آخر)

لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأوله حمد وآخره شكر

وقد جمعت فيك المكارم كلها * فمالك عن تأخير مكرمة عذر

(وقال

﴿وقال آخر﴾

وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام
يذكره سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام

﴿وقال آخر﴾

شكاك لسانى ثم أمسكت نصفه * فنصف لسانى بامتداحك ينطق
فان لم تنجز ما وعدت تركتنى * وباقى لسانى بالمذمة مطلق

﴿وقال آخر﴾

باتت لوعدك عينى غير راقدة * والليل حى الدياجى منبت السحر
هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر

﴿وقال آخر﴾

نذكر بالرقاع اذا نسينا * وبالى الله أن تنسى الكرام

(وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم) فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع مايطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائى وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان فى يوم بؤسه فلما رآه الطائى علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لى صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهى فى حصول شئ من البلغة لهم وقد أقدمنى سوء الحظ على الملك فى هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال فى قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لى فى أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصى بهم أهل المروءة من الحى لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك وأسلم نفسى لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائى الى شريك وقال له

يا شريك بن عدى * ما من الموت انهزام
من لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقاد وسقام

يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام * يا أخا النعمان جدلى
بضمان والتزام * ولك الله بانى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائى مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتى المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائى فان لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائى قد اشتد عدوه فى سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن ينقضى النهار قبل وصولى ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت ياطائى فما تركت لاحد فى الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت ياشريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها فى الكرماء فلا أكون أنا الأم الثلاثة ألا وانى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قومهم من الاضلال
انى امرؤ منى الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال دينى فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله وأناله ما تمناه (ومن ذلك) ما حكى أن الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبى طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شئ من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله فى زى الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط أهلها وداخل كبراءها واستمهم الى القاسم بن محمد العلوى واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف لى باطنه وابحث عن دفين نيته وائتنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولى الامان قال نعم فاظهر له ما أراده ودعاه الى القاسم ابن محمد فقال له عبد الله أوتنصفنى فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض

عند

عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب علي وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولي خاتم في المشرق وخاتم في المغرب وأمري فيما بينهما مطاع وقولي مقبول ثم اني ألتفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا علي أفتدعوني الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فاخبره بصورة الحال فسره ذلك وزاد في احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ٭ ومما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطيقي كنا جلوسا عند كافور الاخشيدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جاعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فاحضروه وان كان قد توفي فسلوا عن أولاده وا كشفوا أمرهم قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والاخرى عاتق فرجعنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسر في الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا أني مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا في ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الي واستجلبني وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب مني شيأ فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما الي وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرني اذا صرت الى الذي وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدني أنك تفي لي ولا يشغلك ذلك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ مني الدرهمين ثم اني شغلت عنه بما تجدد لي من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته في المنام قد دخل علي وقال لي أين الوفاء بالعهد الذي بيني وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد في احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله أعلم ٭ ومما أسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الامثال في الوفاء

بالاتفاق حديث السموأل بن عادياو تلخيص معناه أن امرأ القيس الكندى لما أراد المضى الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوى من المال جلة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى أن يدفع اليه منها شيا فعاوده فابى وقال لا أغدر بذمتى ولا أخون أمانتى ولا أترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فاخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت الى الدروع والسلاح التى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت لاخفر ذمامى وأبطل وفائى فاصنع ماشئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال فى الوفاء تضرب بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء فى الانام ذكروا السموأل فى الاول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه * ومما وضع فى بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنة من الاوائل والاواخر ماروا خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغنى أن شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تراوا هذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى منادى للخليفة فى يحيى

بكيت على الدنيا وزادت تاسفى * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها ورددها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا

وقال

وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له من أنت و بماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندي أيادي خطيرة أفتأذن لي أن أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثوبيات لي كنت قد أعددتها للاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ باحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لانهم لم تكن صناعتي واذا بالخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا و بين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد عذر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار بينادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك فرددت اليه فامر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتى

به فقال له يابنى هذا رجل غريب نفذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدى وأدخلنى الى دار من دوره فأكرمنى غاية الاكرام وأقت عنده يومى وليلتى فى ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا باخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الاكرام فلما كان الغد تسلمنى أخوه أحمد ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولونى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم فى الاحياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاء فى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لى قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالى على هذه الحالة نالله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فانى مامور بقضاء جميع ماتأمرنى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعونى فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد مانزل أنجفنى عمرو بن مسعدة وألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفى دخلهما به فلم أتحامل على الدهر كنت فى أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم لى وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته فى ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه فى مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكى قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لولم آت خراباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبرى بامير المؤمنين ففعل بى مافعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر

* وقيل اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على مامضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله أطلال الوفاء بوكفه * فقد درست أعلامه ومنازله

(وقال

﴿وقال آخر﴾

اشدد يديك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمي كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله اني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة الى والاعناق نحوي متطاولة فاذا صار الامر الى فلعلك أن تنقل الى ركابك فلا أملأ ن يديك فلما أفضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآني أعرض عني فقلت لعله لم يعرفني أو عرفني وأظهر لي نكرة فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فاخذ بيدي وأدخلني عليه فمد الي يده وقال انك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الا ما رأيت فاما الآن فمرحبا وأهلا كيف كنت بعدي فاخبرته فقال لي أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو بميراث رعيناه ولا أثر رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمت بها نفسي الى الموضع الذي ترى ما خنت ذا ود قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له يا غلام بوئه منزلا في الدار فاخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلا حسنا فكنت في أثم حال وأنعم بال وكان يسمع كلامي ويأسمع كلامه ثم أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي ويقبل علي ويحادثني ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أي الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة أو الرجوع الى أهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين فارقت أهلي وولدي على أني أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرني أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد في زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك أترانا قد ملأنا يديك فلا خير فيمن ينسى اذا وعد وعد اذا شئت صحبتك السلامة (ومن ذلك) ما روى عن أبي بكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبا بكار الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت فى هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأفقته وضربت عنقه فقال أبو بكار ناشدتك الله الا ما ألحقتنى به فقلت له ما الذى حملك على هذا فقال أغنانى عن الناس فقلت حتى أستأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبى بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع اضممه اليك وانظر ما كان يجرى عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد فى يمينه قال لا والذى جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يتقى الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا قلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره فى الحروب فقال كان رحمه الله تعالى يفعل كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقال ان نعمة عدوك لقلادة فى عنق لا ينزعها الا غاسلى فقال له المنصور ارجع ياشيخ فانى أشهد أنك لوفى حافظ للخير ثم أمر له بمال فاخذه ثم قال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لاحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن فى قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا . وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب فى بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك فى أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألانى عن هواى فانه * يجول بهذا القبر يا فتيان

وانى لاستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحيه وهو يرانى

(ومن ذلك) ما روى عن نائلة بنت الفرافصة بن الاخوص الكلبى زوج عثمان رضى الله عنهما ان عثمان لما قتل أصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجل منى قالوا ثنا ياك فكسرت ثنا ياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا فى نكاح نساء بنى كلب . ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف ألف وقال له انج بهذا فاخذه زياد ودفنه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك . ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندى وديعة فامهله حتى آتيك بها فقال أسرعى فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت الى السوق وأتت الى قصاب فقالت اعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك فاخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت

الشفرة

الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أترانى ياهدبة متزوجة بعد ما ترى فقال الآن طابت نفسى بالموت فجزاك الله من حليلة وفية خيرا (ولنجعل) هذا الباب من القضايا ختاما هو اوجزها كلاما وأحسنها نظاما وأبينها حكما واحكاما وهى قضية جمعت الامر بن وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ماذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بامور عالما بورود وصدوره فقال ما معناه ان أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشا كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فاخذه اليه فلما مات أحمد ابن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى انى آخذ العهد على كل من أصرفه فى شئ انه لا يخونني فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش ابن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية فى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لثلا يذكرها للامير فاقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق أن الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة الممجدة السعيدة المسعدة الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الاليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على ناميره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها

اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وغضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شئ ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الامير وأخذ منه الشراب شرع في التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فاخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة للامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فاخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتامله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فاعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه . فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد امضاء القواضب ويفضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لما وفى لاولاه بعهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع

رحمته

رحمته وأقسام نعمته مالا تمسك له من بعده وقالوا ليس شئ أوفى من القمر به اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه﴾

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز فى السر قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أى بمتهم وفى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان أمناء الاسرار أقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لان أحراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشى به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب مالا يلحقه من حمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور أن الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ما آربه ولو كتمه أمن من سطواته وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بمبد للرجال سريرتى * ولا أناعن أسرارهم بسؤل

(وقال أبو مسلم صاحب الدولة)

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ جهدوا
مازلت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى غفلة بالشأم قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل

لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن أحسن ماقيل فى كتمان السر قول الشاعر

ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بأنها فى طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوى فقال

انى كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه *

وحفظت عهد ودادها متمسكا * فى حبها برشاده أو غيه

ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بانها فى طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكأنه لاخير فى آنية لاتمسك مافيها فكذلك لاخير فى انسان لايمسك سره قال الشاعر

ومستودعى سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا أن ينم به الحس

وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لايبلغ الحس

(وقال قيس بن الحطيم)

أجود بمكنون التلاد وانني * بسرى عمن سالنى اضنين

وان ضيع الاقوام سرى فانني * كتوم لاسرار العشير أمين

(وقال جعفر بن عثمان)

ياذا الذى أودعنى سره * لاترج أن تسمعه منى

لم أجره قط على فكرتى * كانه لم يجر فى أذنى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أفشيت سرى الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدرى به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه على قال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

(وقال آخر)

اذا ماضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم

وان عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لاتودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولاتودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن . وقيل لاعرابى مابلغ من حفظك للسر قال أفرغه

تحت

تحت شغاف قلبي ثم أجعه وأنساه كاني لم أسمعه وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندي له سرا مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل

ولا تودع الاسرار أذنى فانما * تصب ماء في اناء مثلم *
(أو القائل)
ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تعلو على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

(وقال آخر)

وانك كلما استودعت سرا * أتم من النسيم على الرياض

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي)

أناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

(ولله در المتنبي حيث قال)

وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول)

(الفصل الاول في الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الاشياء عقوبة البغي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولم أوقع الغدر في المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ما أحاطت

به علوم ذوى الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصارى وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أصار النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياثعلبة أمالك فى رسول الله أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق نبيا لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى بقية الصلوات فى غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لايشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لايشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة قالوا يارسول الله اتخذ غنما مايسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة فانزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بنى سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية أوماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ماهذا قال خذاه فان نفسى به طيبة فرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الا جزية أوماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيا فانطلقا فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يتكلما ياويح ثعلبة فانزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا

وكذا

وكذا خرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فانا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فانا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه ﴿ فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فاي خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا ✽ اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي الامين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي أن أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لاني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر وكان كذلك لم يتم أمره (وورد) في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق و بلغ ملكه الشام فاغار على مدينة سابور ذي الاكتاف فاخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فاقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شئ ثم ان النضيزة بنت الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم

به هذه المدينة وتقتل أبي فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتنادي على المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا أسقي الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيزة وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جوادا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره . وتقول العرب جزائي جزاء سنمار وهو أن ازدجرد بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مرئ فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبني له جوسقا فامتثل أمره وبنى له جوسقا كاحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفوني أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني أحسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزائي جزاء سنمار * وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه وقتله * وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدي عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبي عنهم * بسيفي ونارا الحرب زاد سعيرها
فتحت لهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديها وعز نصيرها
أقطع أرحاما على عزيزة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الامر في مستقره * ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الامر الذي أستحقه * وأوسق أوساقا من الغدر عيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجؤها الى خباء اعرابي فاجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف في غير أهله * يلاق كما لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * أحاليب ألبان اللقاح الدرائر

واسمها

وأسـمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها وأظافر

فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكى) بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتى ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتى وجفت قومى * وأنت لشاتنا ابن ربيب

غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك أن أباك ذيب

اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيـد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغى وأهله ومن الغدر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الفصل الثانى فى السرقة والسراق﴾ قيل مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك انى فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره * وسرق مدنى قميصا فاعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاءه فقال بكم بعته قال برأس المال وقال أكتل السلمى وكان لصا فاتكا

وانى لأستحيى من الله أن أرى * أجر جرحبلى ليس فيه بعير

وأن أسأل المرء الدنىء بعيره * وأجال ربى فى البلاد كثير

(وقال الفرزدق)

وان أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة البجلى أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فاخذه اخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسرى وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق

* أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

﴿الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء﴾ قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء فى كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان

عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو أني بليت بهاشمي * خؤلته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ونثر رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فانشأ يقول

فلو أن لحمي اذوهي لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذؤب
لهون وجدي أو لسلى مصيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكالب

وقيل لكسرى أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال لانه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فان مداومة أهل العلل الظاهرة أهون من مداومة ما خفي و بطن وقالوا اياك أن تعادي من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهي حبلى بهجرس بن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبي خالي وما أنا بالذي * أميل وأمري بين خالي ووالدي
وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

يا للرجال لقلب ماله جلد * كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت أبي كليبا * وقد يزجي المرشح للذحول
غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذي البتول

(بيت)

سن العداوة آباء لنا سلفوا * فلن تبيد ولا آباء أبناء

ويقال دار عدوك لاحد أمرين اما الصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عني رسولي * وهل تلقى النصيح بكل واد

تعلم

نعلم ان أكثر من تناجى * وان ضجوا اليك هم الاعادى

ويقال فلان كثير المراق من المذاق وقال الحجاج لخارجى والله لابغضك قال أدخل الله الجنة أشد نا بغضا لصاحبه * ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فانكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت فى أخلاقهم ماعلمت فقال ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته مارأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض فى الناس فقال أواه هلك ابنى هرمز فقد قيل اذا كان فى الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة فى الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض فى الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض مافيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

(وفى المعنى قيل)

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لاتجد الغيوبا

وعن أبى حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين فى نسب أو مجاورين فى بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السلام أى شئ كان عليك فى بلائك أشد قال شماتة الاعداء وأنشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداو عليل قلبك بالسلو

وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

(وقال ابن أبى جهينة المهلبى)

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

وقال الجاحظ مارأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ماجئته * ان البغايا من بنى مرام

أظهرن فى موت النبى شماتة * وخضبن أيديهن بالعلام

فاقطع هديت أكفهن بصارم * كالبرق أومض فى متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن و يقال فلان يتربص بك الدوائر و يتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا فى فسادك ولا رفعة الا فى سقوط حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * أقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب تنشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

(بيت مفرد)

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسىء فيجلب

(وقال عبد الله بن سليمان بن وهب)

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله فى الماضين تكفينا
كاد الاعادى فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن فى سر وفى علن * على مقالة يار بنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

﴿الفصل الرابع فى الحسد﴾ قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال رضى الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر و يقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيق فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصناعة فذكر جميع دواعى الحسد وقال اعرابى الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق ﴿ومن ذلك﴾ ما حكى أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين خلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى

يقول

يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فيمن يربحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك و يعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم مهما رأيته من الرأى افعل قال أعطنى الكتاب فدفعه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لى به علم وانما كان ذلك مكرا منه وحسدا أعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء وأجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شئ الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله تعالى عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غير راض بقسمتى التى قسمت لعبادى قال الشاعر

أيا حاسدا لى على نعمتى * أتدرى على من أسأت الادب

أسأت على الله فى حكمه * لانك لم ترض لى ماوهب
فجازاك ربى بأن زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعى رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلو السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضى الله عنه ألا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقى الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

ياطالب العيش فى أمن وفى دعة * رغدا بلا فترصفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

﴿وقال آخر﴾

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ماتأكله

وفى نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

انى حسدت فزاد الله فى حسدى * لاعاش من عاش يوما غير محسود

(وقال نصر بن سيار)

انى نشأت وحسادى ذوو عدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان يحسدونى على مابى لما بهم * فمثل مابى مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس مابال الحسود أشد غما قال لانه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الاربعون فى الشجاعة وثمراتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة الباس والتحريض على القتال وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس﴾ قد أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأى فى الحرب أمام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم مامن قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله أو قطرة دمع فى جوف ليل من خشيته وسمع

رجل

رجل عبد الله بن قيس رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود رفعه ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنانه وعن فضالة ابن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة

﴿الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها﴾ اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله فى ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يجول ويكر وينادى هل من مبارز والثانى اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجاش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لاموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجى الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه جاء حتى يبأس العدو منهم وهذا أحد هم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من ورء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرام الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه فى كتابه

سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة خودة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم يرقط ضربة أقوى منها ولم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا اضربهم فيرحل ابطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها أشياء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى في القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى مشتمل على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي وأفضل العدة أن تقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهي عن منكر وامثال ذلك والشان كل الشان في استجادة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي ان يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والارد الغنم الى الزريبة * واعلم ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل العظيم القيادأن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب الكلب على الجراح ومواساة الكركي وغارة الذئب وسمن نغير وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من

الهم

الهم والحزن . ومن الحيل فى الحرب ان يبث جواسيسه فى عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوى اطماعهم فى نيل ماعنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء يكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمى بها فى جيوشهم * واعلم أن الحيلة لاترد القضاء والقدر وان الدول اذا زالت صارت حياتها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى فى حلول البلاء كانت الآفة فى الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب فى الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى بيقاء مدته فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الابطال فى القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح أو تراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلى القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من أهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بان لاتتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه . ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتى ثبات قلبى واصابة رأيى ونصل سيفى ونصرة خالقى . وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه دروع وذلك فى أيام قتال يزيد بن المهلب فانشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد انما ذاك اذا حاربنا كفاءنا وأما مثل هذا ونظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فاهوى بيافاخذ برأس أحدهما فقاده من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا وشد على التاج فاخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم (وقيل) لم يكن فى العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال فى أى موضع تريدين أن أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث واناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما فى موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبى وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن

بيندقة ثم أهوى الظبي برجله الى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه * ويقال ان من أعظم المكايد فى الحرب الكمين وذلك أن الفارس لا يزال على حيطة فى الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه وعليك باتخاب الفرسان واختبار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما ترى فيه العجب (فمن ذلك) لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية ابن روميل النصرانى على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية ابن روميل لمن يثق بعمله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لى من فى عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفونا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد سبعة رجال فقال له انظر من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا جملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن فى خسارة معهم فاشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوى على أربعين ألف مقاتل أو لم يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد فى ابطاله رجل واحد * وحكى سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضى أبا الوليد يحيى قال بينا المنصور بن أبى عامر فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المضجعى فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور ما ترى هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المضجعى فقال له المنصور ما سكوتك أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور

ثم

ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا فخنق المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فاخرج على أسوأ حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لهائم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المضجعى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرت أورا كها هز الا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه متصنع فقال له ابن المضجعى ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد قال أريد أن تكفى المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هناك واذا برأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى الرأس بين يدى المنصور فقال له ابن المضجعى عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المضجعى الى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين * وحكى أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى أن الرومى كان اذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون فى الماء فسده نظرا وه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين فابعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادى ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من

المسلمين أن يخرج اليه و يقى الناس فى حيرة فقيل للسلطان ماها الا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى مايصنع هذا العلج فقال هاهو بعينى قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفى المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فتعجب منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لاشئ منه فى السرج ثم انقلب فى سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه قد كان أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد بن فتحون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الانعام عليه ورده الى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغى لقائد الجيش أن يخفى العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه و يغير خيمته كى لا يلتمس عدوه غرة منه واذا سكن الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش أفريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشى خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح * و بمثل هذا قهر الب أرسلان ملك الترك ملك الروم وقمعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وان نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب ارسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا لألب أرسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فأمر ألب أرسلان أن

يعد

يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء فى الثور الاسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا لالب أرسلان بسم الله نحمل عليهم فقال ألب أرسلان يامعشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان ألب أرسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلى ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرمى أسهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدى ألب أرسلان والحبل فى عنقه فقال ألب أرسلان ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى قال وهل تشك أننى كنت أقتلك فقال له ألب أرسلان أنت أقل فى عينى من أن أقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل فى عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم ومازالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكاب فأخذه الذى ينادى عليه وأخذ الكاب وأتى بهما الى ألب أرسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكاب فقال قد أنصفك ان الكاب خير منه ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار فانظر ماذا يأتى على الملوك اذا عرفوا فى الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن﴾

﴿الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام﴾ حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم قتل فى غزاة أحد رماه وحشى مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم

قتله على النبي صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه فى الصلاة سبعين تكبيرة . أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد بالتأييد الالهى كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوى الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روى عنه رضى الله عنه أنه قال والذى نفس ابن أبى طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أوصى بعضنا على بعض وقال رضى الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الى ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شد خايوم بدر وذلك السيف معى و بذلك القلب ألقى عدوى وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتمونى وقيل له كيف كنت تقتل الابطال قال لانى كنت ألقى الرجل فأقدر أنى أقتله و يقدر هو انى قتلته فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان على رضى الله عنه حذرا فى الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدر الاظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا مكنت عدوى من ظهرى فلا أبقى الله عليه ان أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنة الله تعالى عليه غدره وهو فى صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق أسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وان تقتل على بن أبى طالب فقال لها لك ما سألت الا على بن أبى طالب وكيف لى به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخذم

فلا مهر أغلى من على وان على * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد فى الغلس وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين كفن رضى الله عنه فى ثلاثة أثواب ودفن فى الرحبة مما يلى باب كندة من أبواب المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فاخذه فاومأ على رضى الله عنه الى المغيرة ان صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسن رضى الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فاراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحبينا وكرهنا وأشهد أن

لا اله

لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وانى أحتسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته فى فانها أعظم المصائب والله الذى لا اله الا هو الذى أنزل على عبده الفرقان لقد قبض فى هذه الليلة رجل ما سبقه الاولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد دخلت مصيبته اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض فى الليلة التى رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما لاهله ألا ان أمور الله تعالى تجرى على أحوالها فما أحسنها من الله وأسوأها من أنفسكم ألا ان قريشا أعطت أزمتها شياطينها فقادتها باعنتها الى النار فمنهم من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى فى كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا ابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلته فان تخلنى أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدى على يدك وان أقتل فهو الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه أما والله لا سبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله . ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة فى الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشى لا نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لا ترعبونا بالسيوف المبرقه * ان السهام بالردى مفوقه

والحرب دونها العقال مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه . الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن

عمته بطل شجاع لايمارى وشهم لايجارى قتله عمرو بن جموز اغتاله وهو فى الصلاة • عمرو ابن معدى كرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضى الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمر وأى السلاح أفضل فى الحرب قال فعن أيها تسأل قال ماتقول فى السهام قال منها مايخطئ ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول فى الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول فى السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عرفنى القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يابنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله مانظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كذتم والله تفقدونى فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فعار وشب فصرعنى ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمر والفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند فى وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول ابن عباس ابن مرداس

اذا مات عمر وقلت للخيل أوطئى * زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

* طليحة الاسدى رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما ففل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح • المقداد بن الاسود رضى الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد الباس قوى الجنان رابط الجاش وله فى الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه • سعد بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى فى سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف أنفه • أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى خرج يتبختر بين الصفين فقال

فقال عليه الصلاة والسلام انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع • المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية • عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع على رضى الله عنه • هاشم بن عتبة رضى الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية على رضى الله عنه بصفين • مالك بن الحرث النخعى الاشتر رضى الله عنه مات مسموما فى شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل • القعقاع بن عمرو طاعن الفيل فى عشية القادسية رضى الله عنه

﴿الطبقة الثانية﴾ عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذى كان يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبى مليكة صف لى عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحاء على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فرجز من حجارة المنجنيق بين لحييه وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا الى الله تصير الامور • أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب ابن الحنفية رضى الله عنه كان أبوه يلقيه فى الوقائع ويتقى به العظائم وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما مالك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فاراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالاخرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف أنفه بشعب رضوى • عبد الله بن حازم السلمى رضى الله عنه والى خراسان شجيع مضر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن أبى سويد بخراسان فى الفتنة • وكيع بن أبى سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والى خراسان قيل لما قتل عبد الله ابن حازم ولم ينم أمره لهوجه مات حتف أنفه • مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبيد الله بن زياد فى الحروب التى كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان • عمير بن الحباب السلمى فارس الاسلام قتله بنو تغلب فى الحرب التى كانت بينهم وبين قيس

• مسلمة بن عبد الملك بن مروان قتل بنى أمية وفارسها ووالى حروبها قيل انه جلس يوما يقضى بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت أقل حياء من هذا فكشف عن ساقه فاذا فيها أثر تسع طعنات فقال لها هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلى قيد شعر ما أصابنى واحدة منهن وما منعنى من تأخيرها الا الحياء وأنت تنحلينى قلته • المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن فى بنى العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن أبى دواد كان المعتصم يقول لى يا أبا عبد الله عض على ساعدى با كثر قوتك فاقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسى بذلك فيقول انه لا يضرنى فاروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الأسنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فاقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها وياخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا فى العنق • ابراهيم بن الاشتر النخعى كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو فى أربعة آلاف وعبيد الله فى سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه • عبد الله بن الحر الجعفى شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار فى الشجاعة مشهورة • مجدر بن ربيعة العكلى كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله بوبخه بتغلب مجدر عليه ويامره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فتية من بنى حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا مجدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت مجدر قال نعم أصلح الله الامير قال ما جرأك على ما بلغنى عنك قال أصلح الله الامير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجبان قال وما بلغ من أمرك قال لو ابتلانى الامير وجعلنى مع الفرسان لرأى منى ما يعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا مجدر انى قاذف بك فى حاجر فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فامر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى عامة المواشى فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه فى تابوت وسحبوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فالقى فى الحاجر ولم يطعم شيأ ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بمجدر أن ينزلوه اليه فاعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الاسد ما هو صانع بمجدر فلما نظر الاسد الى مجدر نهض ووثب وتمطى وزعق

زعقة

زعقة دويت منها الجبال وارتاعت أهل الارض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث فى مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وسفك

وصولة و بطشة وفتك * ان يكشف الله قناع الشك

* فانت لى فى قبضتى وملكى *

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فاخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما أن نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثا ولا تؤذى بها أحدا قال بل اختار صحبتك أيها الامير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث ان ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان . المهلب بن أبى صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم أنجاد أبطال الا أن المغيرة من بينهم كان أشدهم بأسا وكان المهلب يقول ما شهد معى حربا الا رأيت البشرى فى وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفى يده شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر ما لقى خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط فى كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب فى الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف أنفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الاعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

* وكان فى الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه . فمنهم أبو بلال مرداس خرج فى أربعين فهزم ألفين . وشبيب الخارجى الذى غرق فى الفرات نذرت امرأته غزالة أن تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فى الاولى البقرة وفى الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها والحجاج فى الكوفة فى خمسين ألفا * ومنهم قطرى بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بامير المؤمنين وعظموه و بجلوه وأشعاره فى الشجاعة تدل على مكانه منها قتل فى بعض وقائع الخوارج

﴿الطبقة الثالثة﴾ معن بن زائدة الشيبانى قتله الخوارج بسجستان فى أيام المهدى * الوليد بن طريف الشيبانى قتله يزيد بن مزيد . عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه أنه

كان يتصيد فتتبع حمار وحش ومازال يركض الى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يخز عنقه بسيف أو سكين فى يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق فى غيره طعن فارسين رديفين فانفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مدقناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيأ فقال له أنسال وجدك القائل

* ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسال
* وانا للهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل *

تفرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه فى طريقه الا وكيل لابى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فانى علمته على نفسى * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة (ومما جاء فى مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمر وأشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ما خانني يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

خليلى لم أخنه ولم يخنى * اذا ما صاب أوساط العظام
خليلى لم أهبه من قلاء * ولكن المواهب للكرام
حبوت به كريما من قريش * فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفى صفى نفسى * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه فجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان فى يمين يمانى

(وقال ابن الرومى)

لم أر شيأ حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

(وقال

(وقال زيد بن على رضى الله عنهما)

السيف يعرف عزمى عند هزته * والرمح يخبر والله لى وزر
انا لنأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تأمله ان ساعد القدر

(وقال عبد الله بن طاهر)

يبيت ضجيعى السيف طورا وتارة * تعض بهامات الرجال مضاربه
أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا * وفوق رضاه اننى أنا صاحبه
* وليس أخو العلياء الافتى له * بهاكلف ماتستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له رده على فانه السيف الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(وقال الاجدع الهمدانى)

لقد علمت نسوان همدان اننى * لطعن غداة الروع غير خذول
وأبذل فى الهيجاء وجهى واننى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

(وقال آخر)

عشرون ألف فتى مامنهم أحد * الا كالف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوأة أملا * ففرغوها وأوكوها من الاجل

(ومن أخبار الشجعان ماحكاه الفضل بن يزيد) قال نزل علينا بنو تغلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا باخبار العرب أن أسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور فى بعض أحيائهم اذا أنا بمرأة واقفة فى فناء خبائها وهى آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله فى حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أى بنى وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كانه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت أنظر اليهما فقالت ياحضرى ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت ياحضرى ان شئت سقت اليك من خبره ماهو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل أن أضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ماهو الا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل

الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربى كانه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب لحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحى الخيلاء فأخذ فى قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب نارهم وشاء الله تعالى ان أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنون وادعون ماهو الا أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فاهو الا هنيهة حتى أحرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنابه حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغير الامد وراءه خمسة اعلوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتد واقى أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم ونادا هم خلوا عن المال فوالله لارجعت الا به أو لاهلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا خطمها ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول فى وجوه فتيان الحى هذه الابيات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كانه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه * من السمهرى اللدن والمرهف العضب
أنا ابن أبى هند بن قيس بن مالك * سليل المعالى والمكارم والسيب
أبى لى أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده * الجبال الرواسى لانحططن الى الترب

وعرض

وعرض نسق أتقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى تعلب الغلب
فان لم أقاتل دونكن واحمى * لكن وأحميكن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين الى أبى * بهنيئه بالفارس البطل الندب

(وقال الشاعر)

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

(وقال آخر)

فوارس قوالون للخيل اقدمى * ولبس على غير الرؤس مجال
بايديهم سمر العوالى كانما * تشب على أطرافهن ذبال

(وقال آخر)

قوم اذا اقتحموا الهجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لايعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

﴿ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم﴾ قد استعاذ سيد نا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال فى وصف الجبان اذا أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير انه قال كان حسان فى قاع أطم مع النساء يوم الخندق فاتاهم فى ذلك اليوم يهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها ياحسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يابنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت ياحسان قم اليه فاسلبه فانه مامنعنى من سلبه الا أنه رجل فقال مالى بسلبه من حاجة (وقيل) كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه

حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فاصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك فى زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فانزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر فطن الحجاج بها فوهبها له فاخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فاصبح لا يدرى أين هى و بلغ الحجاج ذلك فامر مناديا أن ينادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث ان أتى له بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندى من أحب الناس الى فاخترت لك ابن عمى شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت ياسيدى اسمع قصتى ثم اصنع بى ماشئت قال هاتى ولا تخفى شيأ فالت كنت للفتى القرشى فاحتاج الى ثمنى فحملنى الى الكوفة فلما قربنا منها نهادنا منى فوقع على فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على وما برد ما عنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذى اخترته لى لما أظلم الليل قام الى فلما علا بطنى وقعت فارة من السقف فضرط ثم غشى عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمنى به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال و يحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا قالت على أن لا ترد نى اليه قال لك ذلك (وحدث) جار لابى حنيفة النميرى قال كان لابى حنيفة سيف ليس بينه و بين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فاشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا فى داره وهو يقول أيها المغترنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذى سمعت به أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على رجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله مسخك كلبا وكفانا حربا . وخرج المعتصم يوما الى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان ورأى الاسكندر سميه لا يزال ينهزم فقال له يا رجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك . ووقع فى بعض العساكر ضجة فوثب خراسانى الى دابته ليلجمها فصير اللجام فى الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت (وحدث) أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفين لمحاربة أبى بلال مرداس وكان مرداس فى أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه ابن أبى زياد فقال لان يذمنى ابن أبى زياد حيا أحب الى من أن يمدحنى ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر صبيان

صاحوا

صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك يقول بعضهم شعرا

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنازل منهم كل ليث مناهز
ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في المدح والثناء﴾ المدح وصف الممدوح باخلاق يمدح عليها صاحبها ويكون نعتا جميلا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا في وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ في الرد عليه والثاني كأنه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الديلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي أمره عمر رضي الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقول يا سارية الجبل فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضي الله عنه قوله

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

(ولما) حججت وزرته صلى الله عليه وسلم تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكي من جلتها

ياسيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمي بحماكا
والله ياخير الخلائق ان لي * قلبا مشوقا لايروم سواكا
وبحق جاهك انني بك مغرم * والله يعلم انني أهواكا
أنت الذي لولاك ماخلق امرؤ * كلا ولاخلق الورى لولاكا
أنت الذي من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذي لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذي ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذي فيناسألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذي لما توسل آدم * من ذنبه بك فازوهو أباكا *
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا العلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك في القيامة مرتجى لندا كا
والانبياء وكل خلق في الورى * والرسل والاملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكى
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد لباك حين أتاكا
والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لندا كا
والماء فاض براحتيك وسبحت * صم الحصى بالفضل في يمناكا
وعليك ظللت الغمامة في الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لاأثر لمشيك في الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من أمراضه * وملأت كل الارض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا

وكذا

وكذا حبيب وابن عفرا عندما * جرحا شفيتهما بلمس يدا كا
* وعلى من رمدبه داويته * فى خيبر فشفى بطيب لعابكا
وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قدمات أحياه وقد أرضا كا
ومسست شاة لام معبد بعدما * نشفت فدرت من شفار قيا كا
ودعوت عام المحل ربك معلنا * فانهل قطر السحب عند دعا كا
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين ندا كا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هنا كا
أعداك عادوا فى القليب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجفا كا
فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعدا كا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافا كا
هود و يونس من بهاك تجملا * وجمال يوسف من ضياء سنا كا
قد فقت باطه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذى سوّا كا
والله يا ياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نبا كا
عن وصفك الشعراء يا مدثر * عجزوا وكلوا عن صفات علا كا
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلا كا
ماذا يقول المادحون وما عسى * أن يجمع الكتاب من معنا كا
* والله لو أن البحار مدادهم * والعشب أقلام جعلن لذا كا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * أبدا وما استطاعوا له ادرا كا
لى فيك قلب مغرم يا سيدى * وحشاشة محشوة بهوا كا
فاذا سكت ففيك صمتى كله * واذا نطقت فمادح علياكا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى الا كا
يا مالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغنا كا
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى * جد لى بجودك وارضنى برضا كا
أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سوا كا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا مستمسكا بعرا كا
ولانت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا لحماك نال وفاكا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لوا كا

صلى عليك الله يا خير الورى * ما حن مشتاق الى مثوا كا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والا كا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه . وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت انى حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك . وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى باسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاة الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لا يذم بلدا أنت ثاويه ولا يشتكى زمانا أنت فيه . وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العكلى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه . وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان . وقال رجل لابى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

(وقال أوس فى حاتم الطائى)

فان تنكحى مارية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

(وقال ابن حمدون فى آل المهلب)

* آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
شاد المهلب مابنى آباؤه * وأتى بنوه مابناه فشادوا

وكذلك

وكذاك من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا

دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أمير او مدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم

ياواحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا

انى لارجوان لقيتك سالما * أن لا أعالج بعدك الاسفارا

(وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم)

يا آل هاشم الاله حباكم * مالیس يبلغه اللسان المفصل

قوم لاصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبى المرسل

(وقال الحسين بن دعبل الخزاعى)

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه

فاطاع أمر الجود فى أمواله * وأطاع أمر الله فى أحكامه

(وقال آخر)

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر

واذا تراءى شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر

أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

(وقال شاعر بنى تميم)

اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أثاروا

يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار

اذا ما كنت جار بنى تميم * فانت لا كرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بنى نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذى يقول

لعمرى ما راح بنى نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الاعجم قالت أشهدكم أن له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل

فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحاة اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هانئ

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

﴿ وله فى الفضل بن الربيع ﴾

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا

(وقال زياد الاعجم فى محمد بن القاسم الثقفى)

ان المنار أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب سورة سودد من مولد

﴿ ومن بدائع مدائح المتنبى قوله ﴾

ليت المدائح تستوفى مناقبه * فما كليب وأهل العصر الاول
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم يأتينا فيمدحنا فيتغزل فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبث أبو العتاهية بابيات يسيرة ثم قال

انى أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فاذن له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الامير قصيدة هى كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فأنشده قصيدته التى منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فاى فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فما فاته جود ولا ضل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب لهاطر باوأمر له بالف دينار ووصيف ووصيفة (وحكى) ان أبادلف سار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للاخرى هذا أبودلف قالت نعم الذى يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبودلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبودلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبودلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخى تبكى فقال لانى لم أقص حق الذى قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله مافى نفسى حسرة الا لكونى لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فأجازه بالف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لازهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بالف تصرمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة . ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمدانى انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لولم يخن والشمس لو نطقت * والليث لولم يصدوا البحر لو عذبا

(وقال آخر)

أخو كرم يفضى الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود فى مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود دخيله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كريما فى جوده من قبل وجوده أو ماجدا فى أخلاقه مت ولم تلاقه

ناسل تعود الاقدام حيث نزل الاقدام وشجاع يرى الاحجام عار الاتمحوه الايام له خلق لومازج البحر لثنى ملوحته وصفا كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد فى الايام وأبهج من نور البدر فى الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الاراء المتشتتة فى مودته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كانما أوحى التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يعبث بالكلام ويقوده بألين زمام حتى كأن الالفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره والمعانى تتغاير فى الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول لصخر أو أيبس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشأ وشى واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز ناهت به الايام وباهت فى يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

(وقال آخر)

لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعده * ماصار نحس فى نجوم سمائه

(وقال آخر)

ووجهك بدر فى الغياهب مشرق * وكفك فى شهب السنين غمام
عجيب لبدر لا يزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

(وقال الحسين بن مطير الاسدى)

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الارض معدم

(وقال للشيخ جمال الدين بن نباتة)

والله ما عجبى لقدرك انه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

(ولصفى

(واصفى الدين الحلى)

أثنى فتثنينى صفاتك مظهرا * عياوكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أننى والخلق جمعا ألسن * تثنى عليك لما قضينا الواجبا

وللشيخ برهان الدين القيراطى

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر فى الافق
كما أحاديث المدى عنكم * تسندها الركبان من طرق

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة)

روت عنك أخبار المعالى محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

(وقال غيره)

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(ولابى فراس بن حمدان)

لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم تخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

(وقال آخر)

ان الهبات التى جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازلت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مقتصر

(ولمحمد بن مناذر فى آل برمك)

أتانا بنو الاملاك من آل برمك * فياطيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة فى كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنوّر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى و بالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الاجود أكفهم * وأقدامهم الا لسعى مظفر
اذا رام يحيى الامر ذلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فأغيثوا بك من بعد الجحف
نظر الله لهم من بيننا * وحرمناك بذنب قد سلف

يا أبا اسحاق سر فى دعة * وامض مصحوبا فما منك خلف
* انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

﴿وقال آخر﴾

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فانتم سادة الناس *

وللحسين بن مطير الاسدى فى المهدى

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم * ما كان فى الناس الا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة * فى السود طرا دا لابيضت السود

﴿وقال آخر﴾

أوليتنى نعما وفضلا زائدا * وبررتنى حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ما كنت الا را كعا لك ساجدا

﴿وقال آخر﴾

ثناؤك فى الدنيا من المسك أعطر * وحظك فى الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والانامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر
أعيذك بالرحمن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تغبى وتصغر
لسانى قصير فى مديحك سيدى * لانى فقير والفقير مقصر

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فى شكر النعمة﴾ أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أى أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتنى وفى هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر . ولمحمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر

فما

* فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى . وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر . وأما الشكر الذى على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يارسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبى حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا ستره قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته . وفى حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا أنه قد أخل بالشكر اما أنه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة الشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم منى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى الى أقوام ليأخذهم على ربيبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فاعتق رقبة شكر الله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم ويروى أن نملة قالت

لسليمان بن داود عليهما السلام يانبي الله أنا على قدري أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أني أعجلك لسألتك أن تنزع مني ما أعطيتني وقال صدقة ابن يسار بينما داود عليه السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فانطقها الله تعالى له فقالت يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك وقال علي رضي الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اتصالها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافاة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة في المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضي بعض حقه
فلم تقصد اطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

﴿وقال آخر﴾

ولو أن لي في كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروى اذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الاعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فتدافعته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لاشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

(وقال) أبو فراس بن حمدان

ومانعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذي شكر تمانعني أخرى
سآتي جميلا ما حييت فانني * اذا لم أفد شكرا أفدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من استطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة للنعمة

للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله تعالى على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها سيمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى أن الذى صنعت اليه انما هو لمخافة خشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ماعسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلمة ياخير كل خليفة * ويافارس الدنيا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم انى أنعمت على بنى سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم * وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن على ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء آخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل رجلا اعرابيا خيرا فقال لا أبلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكر لا انى أجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يزادلك الشكر
* وأذكر أيامالدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

﴿وقال آخر﴾

أوليتنى نعما أبوح بشكرها * وكفيتنى كل الامور بسرها
فلاشكرنك ماحييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

﴿وقال آخر﴾

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * الى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذرى اقرارى بان ليس لى عذر

(وقال محمود الوراق)

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا
ان ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا * كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب فى وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

﴿وقال رجل من غطفان﴾

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى المكافاة﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لاصحابى مكرمين وقيل أتى رجل من الانصار الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

اذكرصنيعى اذ فاجاك ذوسفه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر باعلى صوته ادن منى فدنا منه فاخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا ان هذا ردعنى سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد فى عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان * وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدى عندك بيضاء قال وماهى قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلمانك فاخذت بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فاين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتى ألف درهم وبما يملكه الحاجب اذ حجبك عنا (وقال) قطرى بن الفجاءة الخارجى أسره الحجاج ثم من عليه فاطلقه عاد فقاتل عدو الله فقال هيهات شديدا مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بانها مولانه
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلانه
أأقول جار على لانى اذا * لأحق من جارت عليه ولانه
وتحدث الاقوام أن صنائعا * غرست لدى فنظلت نخلانه

واجتاز الشافعى رحمه الله تعالى بمصر فى سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فاخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبى فانشده لغير ماشاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فلم يزل * فى عصبة من صالحى الانصار

البائعين نفوسهم لنبيهم * بالمشرفى وبالقنا الخطار
الناظرين باعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار

فقام أنصارى فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على له ستون من الابل كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندى ستون ألفا وستون من الابل . وعن على كرم الله وجهه أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم وقال المدائنى رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا فى سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشى الناس فكان حقا على الله أن يرجلنى حيث يركب الناس

﴿ومما جاء فى المكافأة﴾ ماحكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابنى ان لا بيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يابنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتد بى الامر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتات به قال فبكيت يابنى لذلك بكاء شديدا و بقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فاخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان برتضيك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا فما راك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى رجل فقال لى قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين فلم ألتفت لقوله فاستقبلنى آخر فقال لى كمقالة الاول ثم استقبلنى حاجب أبى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير

المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال لي بفلان وفلان الخياطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهني فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك أن تبيع منا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد فقالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعاهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فأقبضاه المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فاصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافاة غير اني أعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك رضي الله عنه وهكذا تكون المكافاة (ومن ذلك ما حكي) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي في بيتي فامرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال انا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها

ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجلها وأفرد لي مكانا في داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد أحوالي فاقمت معه أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لي في الخروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلي أقف منهم على خبر فاخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت علي هذه المدة ولك علي عهد الله اني لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له اسود وقال له اسرج الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي أظن انه يريد ان يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال لي يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره ان تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما اكري به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الي نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الي الفرس الذي كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الي من التقصير في أمري وركب معي يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأني بعهدي له في مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكرني تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذي أصارك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين

وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لامحالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافاتك الى أن ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بالفرس الفلانى والفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتججت بانى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فارد وأقتل فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وفيته بنفسى كما وفانى بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله فى أمرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انى أريد أن أفى له وأكافئه على ما فعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عنى فاكون قد وفيت وكافأت واما أن يقتلنى فافيه بنفسى وقد تحنطت وها كفنى يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت الى حضوره

حضر

حضر فقال المأمون هذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه واتنى به حتى أتولى مكافأته قال العباس فاتيت اليه وقلت له لينزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فدخلنا مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فامر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم . ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه ما أورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فامرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسى فدخل وقت القائلة فلم ياخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فاسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت امسكها معك واتبعنى فاطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار التوفيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى اذا أنا باعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فاردت أن أجد عندك بشئ فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فاتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلنى به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابى فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فاخذت الدراهم منه فوضعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشئ أظرف من هذا فاتيته فاستاذنت عليه فأذن

لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فاعجبه ذلك وأمر لى بالفى دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقضيت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الاعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (وما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ما حكاه القاضى يحيى بن أكثم رحمة الله عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شانا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرنى عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة أحقت أو لها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت افدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقادتها وسلت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الاناء فلما فرغت القربة تسبسب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحالنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فاخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا ولا قدار تحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتنى حيرة وجعلت أضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذى رشاد يصحبه
دونك هذا البكر مناتركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل زال غيهبه * عند الصباح فى الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبى فانخته وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادى
* ألا تخبرنى بالله خالقنا * من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا منا * بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكر الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا * والله يكشف صرا الحائر الصادى
* خدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
* هذا جزاؤك منى لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿تم الجزء الاول من كتاب المستطرف ويليه الجزء الثانى أوله الباب الثالث والاربعون﴾

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف ﴾

صحيفة	
٢	خطبة الكتاب
٦	الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول
	الفصل الاول فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه
٨	الفصل الثانى فى الصلاة وفضلها
١١	الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها الخ
١٤	الفصل الرابع فى الصوم وفضله
١٥	الفصل الخامس فى الحج وفضله
١٧	الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك
٢٣	الباب الثالث فى القرآن وفضله الخ
٢٦	الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم
٣٤	الباب الخامس فى الاداب والحكم وما أشبه ذلك
٣٨	الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول
	الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم
٣٩	الفصل الثانى فى أمثال العرب
٤٠	الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين
٤١	الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم
٤٩	الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين

صحيفة	
	الرجال والنساء مرتبة الخ
٥٧	الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة الخ وفيه ثلاثة فصول
	الفصل الاول فى البيان والبلاغة
٥٨	الفصل الثانى فى الفصاحة
٦٥	الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال
٧٦	ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن
٨١	الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة الخ
٨٥	الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر الخ
٨٦	فصل فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم
٩٢	الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى الخ وفيه ثلاثة فصول
	الفصل الاول فى التوكل على الله
٩٦	الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى
١٠١	الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل
١٠٣	الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب
١١٠	الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك

صحيفة	
١١٥	الباب الثالث عشر فى الصمت وصون اللسان الخ وفيه ثلاثة فصول
	الفصل الاول فى الصمت الخ
١١٧	الفصل الثانى فى تحريم الغيبة
١١٩	الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة
١٢٣	الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام الخ
١٢٦	الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان الخ
١٢٨	الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك
١٣٠	الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية ومافيهما من الغرر والخطر
١٣٦	الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء الخ وفيه ثلاثة فصول
	الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم الخ
١٣٩	الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديون
١٤٠	الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء فى الرياء ونحو ذلك
١٤١	الباب التاسع عشر فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك
١٤٥	الباب العشرون فى الظلم الخ
١٥١	الباب الحادى والعشرون فى بيان

صحيفة	
	الشروط التى تؤخذ على العمال وفيه فصلان
	الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج الخ
١٥٥	الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة
١٥٧	الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف الخ
١٦٠	الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها
١٦٥	الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة الخ
١٧٤	الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان
١٧٥	الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم
	الفصل الثانى فى الشفاعة الخ
١٧٧	الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان
	الفصل الاول فى الحياء
١٧٨	الفصل الثانى فى التواضع الخ
	الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك
١٨٠	الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت
١٨٧	الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة

صحيفة	
١٦٠	الباب الثلاثون فى الخير والصلاح الخ
٢٠٢	الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء
٢١٤	الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار الخ
٢١٦	الباب الثالث والثلاثون فى الجود الخ
٢٣٦	الباب الرابع والثلاثون فى البخل الخ
٢٤٣	الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة الخ
٥٧	الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح الخ
٢٧١	الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم
٢٨٣	الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه
٢٨٥	الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة الخ وفيه أربعة فصول
صحيفة	
	الفصل الاول فى الغدر والخيانة
٢٨٩	الفصل الثانى فى السرقه والسراق
	الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء
٢٩٢	الفصل الرابع فى الحسد
٢٩٤	الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان
	الفصل الاول فى فضل الجهاد الخ
٢٩٥	الفصل الثانى فى الشجاعة الخ
٣٠١	الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال الخ
٣١٣	الباب الثانى والاربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافاة وفيه ثلاثة فصول
	الفصل الاول فى المدح والثناء
٣٢٢	الفصل الثانى فى شكر النعمة
٣٢٦	الفصل الثالث فى المكافاة

تمت

المستطرف

في

كل فن مستظرف

تأليف

الامام الاوحد العالم العلامة اللوذعي الفهامة الشيخ شهاب الدين أحمد الابشهي تغمده الله بالرحمة والرضوان آمين

﴿ الجزء الثانى ﴾

طبع بمطبعة

دار الكتب العربية الكبرى

﴿على نفقة أصحابها﴾

(مصطفى البابى الحلبى وأخويه بكرى وعيسى)

(بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته﴾

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا . قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا أو أساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو همو ✻ قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد

شادوا لذكرك بعد طول خموله ✻ واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر ✻ باول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه . ومن العبث بالهجو ما روى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما ✻ بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله

أرى لى وجها قبح الله خلقه ✻ فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا ✻ أراح الله منك العالمينا

اغربالا

أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام وقال رجل لآخر ان هجوتنى أتموت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساقى الى حلقى فى حرامك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع . وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم و بئس الرجل ذاك وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

ياطلوع الرقيب من غير الف * ياغريما أتى على ميعاد

ياركودا فى وقت غيم وصيف * ياوجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا و باقيه لحش يهودى

فالحش أنت له وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود

هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

(وله هجاء فى خالد)

أبوك لناغيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر

له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الأثر

(وقال) المبرد فى حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب

السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضا)

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم

ان حاد عجـرد * شيخ سوء قد اغتنم * بين خذيه حربة
فى غلاف من الادم * ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فامر الامين باخراج حماد (وقال) رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وأبوك أبى وأمك أمى قال أقول ٧

بنى أميـة هبوا طال نومكمو * ان الخليفـة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفـة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدى فاخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر الى البصرة لينظر فى أمره فسمع أذانا فى ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق أعجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب به سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى فى سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى فى سفينه

فلما مات ألقيت جثته فى الماء فحمله الماء فاخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فاتبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضى فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقـد خاصمتنى دهاة الرجال * وخاصمتهم سنة وافيه *
* فما دحض الله لى حجة * ولا خيب الله لى قافيه *
ومن خفت من جوره فى القضا * فلست أخافـك يا عافيـه

فقال عافية لا شكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتنى قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة ودخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله لئن لم تهج واحدا ممن فى هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من ان أهجو نفسى فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامـه * فلست من الكرام ولا كرامه * جمعت دمامة وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامه * اذا لبس العمامة قلت قـردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الاعرابى ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب فى محمد بن هاشم

لم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب أجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق . ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

(وكان) للوجيه بن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم

فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات في جنباتها

* الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها

من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها

وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها

رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها

وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غنائها

أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها

وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها

وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها

وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها

وبها خنافس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلت على جنباتها

لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها

* وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها

أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها

* وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها

ماراعنى شئ سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها *
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن فى شجراتها
* وبهاز نابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها *
كيف السبيل الى النجاة ولانجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها *
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها
والبوم عاكفة على أرجائها * والدود يبحث فى ثرى عرصاتها
* والجن تاتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
* لاتقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها *
وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها
* صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخرى اهب لى الخلد فى جناتها
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

(ولبعضهم فى بلان)

أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهرى فادمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات
هرى جسمى فالبسه نجيعا * على حلل الستور السابلات

ورام يلين أعضائى برفق * فايبسها وكسر فوقائى
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
وأعمى مقلتى بسنان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

(ولبعضهم فى حمام)

وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يانظام الملك أنى * أعاود من ذراك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهى نهب * بافواه السقاة وما وردت
يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

(ومن) عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى
فان أنت أنجزت لى ماوعدت * والا هجيت وأدخلت فى
وقد علم الناس مابعد فى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول)

أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى ساصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ)

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كان القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وماجادوا بعود أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نخلا

(وقال آخر)

اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

(وهجا بعضهم امرأة فقال)

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عيناها اذا ما رأيتها * وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

(ولبعضهم فى عظيم انف)

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

(وفيه أيضا)

رأينا للزكى جدار انف * يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

(ولبعضهم فى أبخر مخنث)

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكرى فى مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالا ير يدفع ما فيه الى فيه

(وله فى الدين الحلى)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل

(وله أيضا)

ليهنك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سبق * وهذا عاقل من غير لام

(وله فى طبيب يدعى اسحق)

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

(وله فى أحمق طويل اللسان)

لو

لو أن قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا

(وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال)

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

(وقيل) لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخير والميسر انهما أكبر من نفعهما (وقيل) لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير . وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته (وقال) أبو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء ما بقى أحد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلازال غضبانا على لئامها

﴿الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى الصدق﴾ قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم (وقال) عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك . وما أحسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لاريابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الا به وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع باعزله من الصدق وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعي ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق ويقال الصدق بالحر أحرى وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الحمد للحق عز وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فامر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد فغضب وقال والله ما قبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضربك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الا جاء على ظنه وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لا هلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فاغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوه له فالحمد لله تعالى وان ترد ونا فالله أكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

﴿الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وما جاء فيه﴾ قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وعن

عبد

عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به ويقال راوى الكذب أحد الكذابين ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى لكل واصف كذب الى يوم القيامة قال الاصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أصدق فى هذا القلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبى الجنود)

لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

(ويقال) فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لاجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما ينالنى من نفعه وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من الـ * ـبلية بعض ما يحكى عليه
فمتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صبى قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن عبد الله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى أنينه فى سقمه وحتى ان الصبى ليبكى فتقول له أمه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة . وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

(ولما) نصب معاوية رضى الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعنها والاحنف ساكت فقال

معاوية مالك لاتقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر انى لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لايكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه . وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك جاشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا بكذب وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معديكرب مشهورا بالكذب . وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال . قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضى الله تعالى عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول)

(الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا وعن على رضى الله تعالى عنه لو علم الله شيأ فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار وقيل ان رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق . وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يا رب أوصنى قال أوصيك بامك حسنا قال له

سبع مرات قال حسبي ثم قال يا موسى ألا ان رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه . وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من والده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة فى يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه . وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان لى أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبى وبات آخر يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله تعالى عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى يدها الى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

﴿الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة . وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدوا أو صديق . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قلت لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله تعالى عنه انى لا كره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب ابن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال أنبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرضى المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر

ومرضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فاسمه حكمك فلما ولدت قالت حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك . وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرئه السلام واحمل اليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائي انه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هدا هما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما واسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني ان ألقي عليهما أبوابا من النحو فاسألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمري أفق وفرعين شامة ✻ يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي ✻ مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة ✻ يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام رويه وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهمهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور . وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه . وسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حق عليك قال سيدي عبد العزيز الدبريني رحمه الله تعالى

أحب بنيتي وودت أني ✻ دفنت بنيتي في قاع لحد
وما بي أن تهون علي لكن ✻ مخافة أن تذوق الذل بعدي

فان

فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها و يسب جدى
سألت الله ياخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندى

(وقال هرون بن على بن يحيى المنجم)

أرى ابنى تشابه من على * ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبهه ما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

(وقال أبو النصر مولى بنى سليم)

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

(وقال الحسن بن زيد العلوى)

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

(وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده و يقول)

أزهر من آل بنى عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريق

(وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول)

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد
أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

(وكان اعرابى يرقص ولده و يقول)

أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بداله

(وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى * أنقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جارية * تغسل رأسى وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خباريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه
* أزرتها بنقبة يمانية * أنكحتها مروان أو معاوية
* اصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

﴿ومما جاء في الاولاد البلداء القليلي التوفيق﴾ (قيل) نظر اعرابي الى ولد له قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا . وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت قال لا اقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد . وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني . كان لرجل من الاعراب ولد اسمه حزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فاي عبد الله تعني فالتفت أبو حزة اليه وقال ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حزة فقال حزة بن الاعرابي كلنا حامي زالله فاي حزة تعني فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أخد الله به ذكر أبيه . وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فارسله في حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في حلقة الجمل

(فاجابه) مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

(ونهى) اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لي الخمر

سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

(ومما جاء في صلة الرحم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال . وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار انه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل

وعلا

وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) . قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم . كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القسرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حره ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها

* واعلم بانك لا تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

(الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتصمه عين من قصر أبيض اللون مشرب بالحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر اللبتين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة

ضخم الكراديس انور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما في جبينه زج وفي عينيه دعج وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضي الله عنه ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكي) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى . وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

(وقال كثير)

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

﴿ ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم ﴾

(ما قيل في الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
* فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم *

(وللمتنبي)

نشرت

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين فى وقت معا

(وله أيضا)

لبسن الوشى لامتجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لاالحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا

(وقال الصفدى)

* لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ)

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
و بلبله على الارداف منه * فلم أرمثل ذاك الفرع أصلا

(وقال آخر)

أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤاباته * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

(وقال آخر)

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
ياعجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقال ابن المعتز)

توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياها ضياح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

(ومما قيل فى الاصداغ) (قال ابن المعتز)

ربيم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته *

(وقال العادلى)

وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخف لدغها و يقل ضرا
فمابال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

(وقال آخر)

وما ضره نار بخديه ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عنا قيد صدغيه يخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

(وقال آخر)

حل القباولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكانها * مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
* ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر)

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال آخر)

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر
* أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

(وقال آخر)

أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

(وقال آخر)

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى حلت بعارضيك حمائلا

(وقال آخر)

من لا رأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه

فلينظر

فلينظر النمل أنمحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني)

يحدث ليل عارضه بانى * سأسلوه وينصرم المزار

فاشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر)

وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده

فقلت وهمتم ولكننى * خلعت العذار على خده

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما

حمى ورد خديه جناة عذاره * فياحسن ريحان العذار حماحمى

(وقال ابن نباتة)

وبمهجتى رشأ يميس قوامه * فكانه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلى)

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت به العشاق

فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر)

أصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه

حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شأنه

(وقال آخر)

ياصاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس

وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

(ابن نباتة)

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله

وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كانه قمر منير

وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاء كم النذير

(وقال آخر فى ذمه)

قلت لاصحابى وقد مر بى * منتقبا بعد الضيا بالظلم

* بالله ياأهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر)

مازال يفتر ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه

كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لايفارقه

(وقال آخر)

مازال يحلف لى بكل أليـة * أن لايزال مدى الزمان مصاحبى

لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا اسواد وجه الكاذب

(وقال ابن المعتز)

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته

فاشغف السقام الذى فى لحظ مقلته * واسترملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب

ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

(وقال آخر)

غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب

بميسرة أجنادها أعين المها * وميمنة تقضى بزج الحواجب

(وقال آخر)

أياقمرا تبسم عن اقاح * وياغصنا يميل مع الرياح

جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس تلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز)

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع

فيجرح

فيجرح أحشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الاخطل)

ولا تلمم بدار بنى كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا

ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحدق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)

وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستلان خناجرا

تصدين لى يوما بمنعرج اللوى * فغدرن قلبى بالتصبر غادرا

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر)

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه

قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه

يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هشتان)

أخو دنف رمته فاقصدته * سهام من جفونك لا تطيش

فوانك لا يقال سوى احورار * بهن ولا سوى الاهداب ريش

أصبن فؤاد مهجته فاضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش

كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس

وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

(عز الدين الموصلى)

لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولى عين تباكت

وحاكت فى فعائلها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

(برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا

فأتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا)

بأبى أهيف المعاطف لدن * حد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت بانى مخطئ * وأنت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وأن وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال الشيخ عز الدين الموصلى)

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه * لاتحرقينى بنارك

(وقال ابن الصائغ)

لمثلى من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

ياعاذلى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لاترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر)

بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

(وقال آخر)

سهام الجفن كم فتكت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(لابن الصائغ)

بروحي أفدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

(للشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * في العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدي بان الخال لا يرث

(وقال آخر)

يا سالبا قمر السماء جماله * ألبستني في الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

(للشيخ تقي الدين بن حجة)

قلت للخال اذ بدا * في نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لي * أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أيبك)

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهي شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

يا سائد الطير كم ذا * باللحظ تضني وتسبي
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبي

(ومما قيل في الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدي خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدي للدموع غدير

(وقال آخر)

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين في الخلوات
* شيء أسر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل في الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحي من ولى فولى بمهجتي * وولى منامي وهو كالوصل شارد
حمى ثغره مني بسيف لحاظه * وحتام يحمي ثغره وهو بارد

(وقال آخر)

أنفقت كنز مدامعي في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلي في البارد

(وقال آخر)

رأى ثغر من أهوى تدلى فقال لي * ولم يدر أن اللوم في خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان)

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت في التئام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل في طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

(وقال شهاب الدين الكردي)

ذكرت ريح حبيبي * بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب * فالشيء بالشيء يذكر

(غيره)

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لي صبر وسوف أحظى بوصل * فاول الغيث قطر

(الصلاح الصفدي)

نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
فدصح ما نقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهري

(وقال آخر)

ثلاث تجمعن في ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فان قيل ماهي قل لي أقل * هي الطعم واللون والرائحه

(وقال آخر)

يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكأسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

(وقال آخر)

أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه لن أفيقا

وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

﴿ومما قيل فى حسن الحديث﴾ قال البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر)

ظللنا فبتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

(وقال ابن الرومى)

يمسى ويصبح معرضا فكانه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى لسانه

(وما أحسن هذه الابيات) وهى من طارف الشعر ووافره وناقده وجيده الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرحن باعناق الظباء وأعين الجآذر وارتجت بهن الروادف
رجحن بارداف ثقال وأسوق * جزال وأعضاء عليها المطارف

﴿ومما قيل فى رقة البشرة﴾ قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد فى اناء
فلما انقضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان * فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال آخر)

تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا حركته خطاه مالا
اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالخصر سالا

(وقال بشار)

وماظفرت عيني غداة لقيتها * بشئ سوى أطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

(ومنه أخذ أبو نواس قوله)

نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهي في وجهه

(وقال آخر)

توهمه قلبي فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

(وقال آخر)

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذي فيه ينضح

(وقال آخر)

وأهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدي * لحمرة خده ما بان فيه

﴿ومما قيل في التقبيل﴾ لظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال آخر)

سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز لثمه
فها كها في الخد وامنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

(وقال صاحب حماة)

قال الذي تيمني * قولوا لمن خبلته * يروم مني قبلة * لو مات ما قبلته

(الشيخ عز الدين الموصلي)

كالورد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

(وقال آخر)

رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور
سوى ان ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر

وذاك

وذاك يغيب وذا حاضر * ومامن يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال ابن صابر)

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر)

قبلت رجل حبيبي * فازور واحمر خدا
وقال تلثم رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ماجئت بدعا * ولاتجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوي * حقوقها لاتؤدى

(ومما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة

انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

(عبد الله بن أبي خبيص)

تصد من غير علة * بالعز أضحت مدلة
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظلة
وان أضاءت بليل * تفوق نورا لاهلة

(وقال آخر)

* أقسم بالله وآياته * مانظرت عيني الى مثله
ولابدا وجهه طالعا * الاسألت الله من فضله

(وقال آخر)

أقيمي مكان البدر ان أفل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن أبي ربيعة)

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف *
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال)

لو أن اجماعنا فى فضل سوددة * فى الدين لم يختلف فى الامة اثنان

(وقال آخر)

يامفرد فى الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلى
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملى

(وقال آخر)

فى أربع منى حلت منك أربع * فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندى قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوى خمسة فقال

وفى خمسة منى حلت منك خمسة * فريقك منها فى فمى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

(ابن نباتة)

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

(محمود المخزومى)

رأيتك فى الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عينى أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضىء اذا تمسى

(وقال آخر)

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل فى البنان المخضب) قال ابن الرومى

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع وأربع وثلاث * أسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت ياغزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لاترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضى بالله)

قالوا الرحيل فانشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقت خطابها

فظننت

فظننت ان بنانها من فضة * فطفقت بنور بنفسج عنابها

(وقال آخر)

لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

(وقال آخر)

* ولما تلافينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم

فقلت خضبت الكف بعدي هكذا * يكون جزاء المستهام المتيم

فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم *

بكيت دما يوم النوى فسحته * بكفي فاحمرت بنانى من دمى

(وقال آخر)

دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم تجريان

فلم يمسحن اكراما جفوني * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل في النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهي بالعيون و بالنحور

نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد

جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

(وقال آخر)

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك

وتبكي حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك

فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممعك *

وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق مفلك

(عمر بن كلثوم)

تراك اذا دخلت على خلاء * فدامتدت عيون الكاشحينا

لنهد مثل حق العاج حسا * حصينا من اكف اللامسينا

(وقال آخر)

بصدرها كوكبا دركاهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

(وقال آخر)

صدور فوقهن حقاق عاج * ودرزانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلى من هذى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ندى * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعدلهن عيب * سوى منع المحب من العناق

(وقال آخر)

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل فى الارداف والخصور) قال ابن الرومى

وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

(الطنبغا المحاربى)

ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

(وقال آخر)

يا خصره كم جفاء * تبدى وأنت نحيل
يا ردفه ملت منى * ما أنت الا نخيل

(القيراطى)

بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى
فقلت يا بدر هذا * حقا خيال لحينى

(وقال آخر)

أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نحلته * الى معصمى لما تلقلق فى خصرى

(وقال آخر)

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره

اقسى

أقسى من الحجر الاصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره

(وقال آخر)

رخيمات المقال مدللات * جواعل فى الثرى قضبا جذالا

جمعن نخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه باذرع ومعاصم * ورنوا بنجل للقلوب كوالم

حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكانما انتضيت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم أن اللين عندك مانوى

فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

(وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما لذى الرمة حتى كانه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم ومل يا معذبى * كميلة خود غير السكر حالها

ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

(وقال آخر)

ومحكم أعطافه * فى قتل صب ما غوى فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

(وقال آخر)

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى

* لم لا تميل الى ياغصن النقا * فاجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى الساق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق

لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر)

جاءت بساق أبيض أملس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها

فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ)

بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس ان لم يكن قده قضيبا * فالاعطاف تميس

(ومما قيل في مشي النساء) قال بعضهم

يهززن للمشي أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز ردينى تداوله * أيدى الرجال فزاد المتن فى اللين

(وقال آخر)

يمشين مشى قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

(ومما قيل في العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأننى عانقت ريحانة * تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

(وقال آخر)

وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدى ووشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل)

أقول وجنح الدجى مسبل * والليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ماضمنا المسجد
أياغدان كنت لى محسنا * فلا تدن من ليلتى ياغد
ويا ليلة الوصل لا تقصرى * كما ليلة الهجر لا تنفد

(وقال آخر)

وليل رقيق الطرتين تظاهرت * كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته * نميت الهوى ما بين صدر ومرفق

(وقال ابن المعتز)

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
تقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن)

ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب

لها

لها القمر السارى شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب *
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يازين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فاجيب

(وقال على بن الجهم)

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

﴿وقال آخر﴾

ياليل دم لى لا أريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بمضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم لخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

﴿وقال آخر﴾

ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

﴿ومما قيل فى مدح الالوان والثياب﴾

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بالحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان)

ان كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

(دخل) ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أوأسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال ياعم أخرجنا الهزل الى الجد فانشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهـ * ـم ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

(وقال آخر)

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام فى الخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

(وقال آخر)

فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر)

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال آخر)

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا

كان

كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

(وقال آخر)

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث . ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء ينتدبان

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الجلمان

(وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والديمشى بمولود *

* ماطول داود الاطول لحيته * يظن داود فيها غير موجود *

(وقال ابن المقفع)

تاملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الاعليها الموالیا

جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المحاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها و يتعجب من عظمها ثم قال

اذا ماتذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم ان يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا الطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت تدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود

وكى لايقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود

وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرف مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسى أسر

امرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلامة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس انني * قصير وقد أعيا أباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتى يطول تحديقها تدل على الحمق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه ياتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلى بمجلس لبنى بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فاتت بك الى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو مسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى فى عين كل ملاحظ
ولوان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعى رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكونى تحت هذا فقالت ياهذا العله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بما رضى الله به . وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبى ما أراك تبخل بهذا الوجه على جهنم . وقال بعضهم لرجل طالما لى دمل فى أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ . وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا * فياشقاء بلدة * أحسن ما فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت انى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لا شك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر فى رجل كبير الانف

الانف لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر)

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
أنت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء * أنت فى الصيف سموم
وجليد فى الشتاء * أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بالف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

(ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)

رأيتك فى السواد فقلت بدر * بدا فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * تحت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة بحمل من خز العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى

المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل نارى

(وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى)

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لاتنكروا سكرى من الخمر

(وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر)

* وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت فى قميص لها أخضر * كما ستر الورق الجلناره *
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فابدت جوابا لطيف العباره
* شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره *

وقال حكيم لابنه اياك أن تلبس ما يديم الملأ نظره اليك به واعلم أن الوشى لا يلبسه الا الاحمق أو الملك وعليك بالبياض . وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه . وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل على بعاقل فاتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهرة مكللة من أنابيب الزمرذ . وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه . وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بانواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

(ومما

﴿ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه﴾ قال الاصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

* أأخي ان الحادثا * ت عركنني عرك الاديم
لاتنكرن ان قد رأيـ * ـت أخاك في طمري عديم
ان كان أثوابي رثا * ثانهن على كريم

(وقال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله تعالى)

* على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وماضر نصل السيف أخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
* يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبيه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليه ولا نكير
فان أك في شرار كمو قليلا * فاني في خيار كمو كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك﴾

(ماجاء في التختم) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله تعالى عنه الى اليسار وأخذ الامويه بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله تعالى عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك و بلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابى نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص و يجعل فى فمه قال جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر ما جاء فى الحلى) قيل ان قرطى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشترتها ثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت و بعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة فقومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ما جاء فى الطيب والتطيب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كأنى أنظر الى و بيص الطيب فى مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان فى الجنة لمرعى من مسك مثل مراعى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتنى ريحه لم يفتنى ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال

هذه

هذه غالية فسميت بذلك وسمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال عامينى كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هو لك منى كلما أردته ثم قالت والله انى ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فأرمسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمى عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطلى جسده فاذا مر فى الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها لزقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لى لكان رأس مالى وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبى الرائحة الطيبة تزيد فى العقل وقال على كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو فى العام مرة فان فى قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبى يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا الحاهم بالطيب وكان من اختلف فى طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشب تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام لتناوله وقد يوجد جوذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتى على طفاوة الماء لا يدرى أحد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشرى عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ نثره البحر وأما العود فأجوده المندلى وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع فى الثوب أسبوعا فلا يقمل مادامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يخزنونه بالحديد فاذا خرج

ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان قال

لو كنت أحمل حراحسين زرتكم * لم ينكر الكاب انى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمنى * والعنبر الندمشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد . وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا ترد وا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل . تبخر بعض الامراء وعنده أعرابى ففرطت من الامير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابى أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ماشممت أنقى من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والاربعون فى الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الشباب وفضله﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتى العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله تعالى عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن

ولذلك

ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب جميلا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد امرد أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير السن آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الى اني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الامة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيآت وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب

ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعادى منها ومصيبة لا يعز عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار

والشيب ينقص في الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف فى بياض اللحية)

تكوننى هم لبيضاء نابته * لها بغضة فى مضمر القلب ثابته
ومن عجب انى اذا رمت قصها * قصصت سواها وهى تضحك نابته

(وقال أيضا)

أرى شيب الرجال من الغوانى * بمبلغ شيبهن من الرجال

(وقال ابن المعتز)

فظلت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يابنى انى أعطيتها بغير ثمن ومر رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك انى أكره منك مثل ما تكره منى فانشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فاعرضن عنى بالخدود النواضر

(وقال آخر)

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فاعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

(وقال آخر)

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

(وقال آخر)

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعى و يابصرى
فقهقهت ثم قالت من تجربها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

(وقال ابن نباتة)

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

(وقال

(وقال ابن المعتز)

فما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يمثل بقول الشاعر

رأت وضحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به و بهيم *

تفاريق شيب فى السواد لوامع * فياحسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال فى الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

(وقال آخر)

ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

(وقال العتبى)

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

(وقال على بن ربيع)

كبرت ودق العظم منى وعقنى * بنى وزالت عن فراشى العقائد

وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودنى بين البيوت الولائد *

(وقال آخر)

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب

ونحت على الشباب بدمع عينى * فما نفع البكاء ولا النحيب

فياليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(وقال ابن النقيب)

وكم كان من عين على وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب

فلما بدا شيبى اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظونى وا كتفوا بمشيبى

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ماشبهت الشباب الا كشئ كان فى كمى فسقط

(قال الشاعر)

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الجاحظ)

أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

﴿ومما جاء فى الخضاب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الانصارى رضى الله تعالى عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباءة بيت تسود أعلاها وتابى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا الوداع فقال

ولو دام لى هذا الخضاب جدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أو هرم

(وقال آخر)

ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب ومايريـ * ـد فلن يعود كما تريد

(وقال محمود الوراق)

فامنك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

﴿الفصل الثالث فى العافية والصحة﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الامانى ياصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ماسألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لاتستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لاجوار له والملك لاصديق له والعافية لاثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر مايعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان

كان

كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يامن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فارة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كان تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية . وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له أمه يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

﴿الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام﴾ قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا . وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فساله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى أثر ليلة ويوما فى أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين

سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفي ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادي سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ، ومن المعمرين عدي بن حاتم الطائي وزهير بن جنادة عاش مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذري عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدي ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر في القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا وهو أشد قوة من ولده وذلك في صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب التاسع والاربعون في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها﴾

فاشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفي أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتي يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق في كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما الاسماء والكنى) ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغي أن تنادي من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني وما أشبه ذلك ودخل عباد على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف

مثقال

مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله تعالى عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحلبها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف . ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين . ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان * لك دولتان حديثة
وقديمة ورياستان * لك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت قصدت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا . المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوق ثم تحالفوا . شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ء ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدى . سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى هنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أولانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل . الكامل سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم . طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه . رشح الحجر وأبو ذباب عبد الملك بن

مروان لقب بذلك لبخله وبخره . عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه . الحبر عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر . الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق . الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه . المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة . راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب . واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا . سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى . أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى . اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه . ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين اناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الأمم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا . الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله تعالى عنه أبا تراب وذلك أنه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ

فى

فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبا لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بابى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون بأسماء بناتهم كابى زهوة وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بابى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معديكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين • أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير • ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمدا أو أحمد فادخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف

(ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وماضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا)

لازال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع باسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

(وفيه أيضا)

ياسمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام نجيم
وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

(ولبعضهم فى مليح اسمه عمر)

يا أعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

(وفيه أيضا)

ماعليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا اما أنت الاقمر

(ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم ايا كل المنى * فاجابنى عثمان ذو النورين

(ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف)

يامن سبى الشعراء عذل عذاره * النجم يشهد لى بانى مدنف
صيرت قلبى من صدودك قاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

(وللصفى الحلى فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبى من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض فى سواد * وآية ذا سواد فى بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله فى الحقب المواضى

(وللقيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق فى حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) فى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى

وعظ الانام امامنا الحبر الذى * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور فى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير فى بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير فى الدنيا بغير خليل

(وقال آخر فى مقبل)

يامن

يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لى بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم فى مليح اسمه محسن)

وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع فى الهوى أسالها

(صفى الدين الحلى فى اسم حسين)

حبيبى وافر والشوق منى * طويل والهوى عنه مديد
واعجب أننى أهوى حسينا * وشوقى فى محبته يزيد

(ومما قيل فى أسماء النساء) فى فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لم ترجى الوصل لها فاطمة
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهى بشوقى والجوى عالمة

(ابن مكانس فى اسم عائشة)

يادهر خبرنى بحقك واشفنى * فسهام فكرى فى أمورك طائشه
أيحل انى فى المحبة ميت * وحبيبتى من بعد موتى عائشة

(شمس الدين البديرى فى اسم حليمة)

ولما رأتنى فى هواها متيما * أكايد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدرى الجور وهى حليمه

(ولبعضهم فى اسم بركة دوبيت)

لما نصب الهوى لقلبى شركه * ناديت وقلبى تارك من تركه
ياقلب أفق ولا تمل للشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

مردوفا أيضا

لما نصب الهوى لقلبى شركه * فى كل طريق *
ناديت وقلبى تارك من تركه * لو كان يفيق *
ياقلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق *
تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق *

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه ﴾

﴿ أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان ﴾ فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الاثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر على اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلنى أمضى لشانى ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبنى ريب المنون ولم أكن * لاهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الارض عمرى لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الخطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله تعالى عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشئ ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفى الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر)

وما هى الا بلدة مثل بلدتى * خيار هما ما كان عونا على دهر

(وقال آخر)

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس

ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفى الحلى)

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
وفى الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدى بمضلل

(وقال عبد الله الجعدى)

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة * أجد عنك فى الارض العريضة مذهبا

* ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء * (قال جرير)

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا فى قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول
قليل الموالى مسلم بجريرة * له بعد نومات العيون أليل
يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
يا كبر منى لوعة يوم راعنى * فراق حبيب ما اليه سبيل

(وقال الشاعر)

وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا
تهيم ولا تدرى الى أين تبتغى * موطنة حزنا تجوب الفيافيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا
اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فالفته ملهوف الجوانح طاويا
يا وجع منى يوم شدوا حولهم * ونادى منادى البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله بالك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذرهذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركنى * حتى يجرعنى من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بى ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شئ فوق ما صنعا

فقال والله لاعينك فاعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد)

أتى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فاومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال ألمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا مارجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العين ينهمل *
* وودعت بيننان زانه عنم * ناديت لاحلت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بان القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى)

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الاوقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخال لما فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
* أسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناوسا *
ان أومات تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شمامسا

ناديت

* ناديت اذ رحلوا اللبين ناقتها * ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كرا ديسا كراديسا
ساروا وأصبحت انعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

﴿وقال آخر﴾

* ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع *
* تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع *
أشارت باطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع *
* فقلت لها والله مامن مسافر * يسر بروية رى مابه الله صانع *
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
* وقالت الهى كن عليه خليفة * فيارب ماخابت لديك الودائع *

﴿وقال آخر﴾

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ماأنصفتك دموعى وهى دامية * ولاوفى لك قلبى وهو يحترق

(وقال البغدادى)

قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل مافيه واضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
* كانى يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى و يمنعه

﴿وقال ابن البديرى﴾

* قفا حادى ليلى فانى وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزما مطاياها قبيل مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق *
ولا تزجروا بالسوق أظعان عيسها * فان حبيبى للظعائن سائق *
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقنى فى نظرة وأسارق
* فلا تسألا ماحل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

(وقال أيضا)

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت مغانيها خليات بلقع

بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع
وخالفت لوامى عليها وعذلى * وحالفت سهدى والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادى أسى من حرها يتقطع *
فقال خليلى اذر أى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

﴿وقال آخر﴾

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

﴿وقال آخر﴾

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كانى سحاب والوشاة بروق

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى)

ياسادة فى سويدا القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

﴿وقال آخر﴾

لو أن مالك عالم بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق الا باطوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال ابن الوردى)

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا * ياليالى الوصل عودى * اجعينا أجعينا

(وقال الشريف الرضى)

عللانى بذكرهم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك)

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر *

(وقال الموصلى)

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام

والطيف

والطيف قد وعد الجفون بزوره * ياحبذا ان صحت الاحلام

﴿ومما قيل فى البكاء﴾ قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

﴿وقال آخر﴾

ارحم رحمت للوعنى * وابعث خيالك فى الكرى

ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياماجرى *

(وقال آخر)

ان عينى مذغاب شخصك عنها * يامر السهد فى كراها وينهى

بدموع كانهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر)

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين

وأنت يادمع ان ظهرت بما * يخفيه قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر)

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره

فحبسته لاصون سر هواكمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز)

رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق بينى

قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر)

لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا

أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر)

ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معى

ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال الموصلى)

عين أفاضت دموعى * لطول صد وبين ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى

(وقال آخر)

وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفراق الاحبة

﴿ومما جاء فى الحنين الى الوطن﴾ أما محبة الوطن مستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله تعالى عنه

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها توافة الى مسقط رأسها مشتاقة ﴿ومن حب الوطن﴾ ماحكى أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة . وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه . واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ماتشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فاشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ماقال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
وتستعذب الارض التى لا هوابها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وماسواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام

(ومما

﴿ومما جاء فى ذم السفر﴾ قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد أعرابى السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

(فاجابته)

فاذكرى صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بنانك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته (وقال ابن الهيثم)

لعمرك ماضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لاتلمنى اذا وقيت الاوانى * فالأوانى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يابنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضى الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأذكى من الورد خطؤه صواب وسيأته حسنات وقوله مقبول يرفع

مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب ان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أضر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوى ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل مايلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

(وقال آخر)

المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

(وقال آخر)

جرح الليالي ما طعن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

(وقال آخر)

الفقر يزري باقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال آخر)

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(وقال آخر)

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

(وقال ابن الاحنف)

يمشي الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقال

(وقال آخر)

* فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

(وقال آخر)

ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

(وقال آخر)

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كذاب (وقال الكنانى)

أصبحت الدنيا الناعبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

(وقال الزمخشرى)

واذا رأيت صعوبة فى مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * يجرى لدين قوة الاحجار *

قال الثورى رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها أحب الى من أن أحتاج الى لئيم وفى هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل
واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

﴿وأما ما جاء فى الاحتراز على الاموال﴾

فقد قالوا ينبغى لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتنمسين ﴿فاما المطمعون﴾ فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة فى معيشته ثم يمشى معه فى الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره فى المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب

وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابانى فان روعى صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب • ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم يتبلونهم خبرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان ما يلجئهم الى ذلك الا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان ويترك عنده عدة طاقية فيأخذها وينسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا • ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن نأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكرين ورغبتهم الطمعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غرورا وذلك أنهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه

ن

من عنده سراحتى يبيض وجهه عند صاحب المال و يعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه و يفوز به ثم يغير الحال الاول فى الباطن فينبغى لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية و يباسطونهم مباسطة الاصدقاء و يعتمدون جودة اللباس و يستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه و يذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت و يستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجل الكثيرة من المال وانه لا يبالى اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن انك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى انه مثل البازى ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندى علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال و يسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الاموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال و يمشون الى أبواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد ور بما يأتى معه بأحد من الاولاد و يظهرون النزاهة والغنى و يجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا و يجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير أفقر من غنى يا من الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من

ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغنى مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حي كميت مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستترعني ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزير البعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي فاعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره في موكبه كل من وافى الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادا لي الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما * ولئيم تسمى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (وحكي) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه

والشاب

والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضر غلامه فى ذلك فاراه ألف دينار مربوط على وسطه وقال لقمان لابنه يابنى شيآن اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا (فمن ذلك) ماحكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشراب فشرب فلما انتشى قال على بالف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار . وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا . وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فاعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار . ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فاصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدورا ذهب ينزل اليها بسلالم . ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بالف ألف درهم فاخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب . وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه محلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك واهلك فقال بل الى رجل قدم عندنا ايدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جلته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فانفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن

الحسن الوزير مما أعده له من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر . وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وجلت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاث آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرذ وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الاراديب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة ثور ذهبا وأربعة آلاف ثور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملا به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره . وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(فضمنت أنا هذا البيت وقلت)

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال

واتعب

وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه ﴾

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفه رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بار بعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا لياليا ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فابى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة . قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى مازويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه

الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فاخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم مابنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ ينال به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقسم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها

اذا شئت ان تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

(وقال آخر)

ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

﴿وقال هرون بن جعفر الطالبى﴾

بوعدت همتى وقورب مالى * ففعالى مقصر عن مقالى

ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالى

ولقد تعلم الحوادث أنى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد﴾

(روى) الامام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابى على على رضى الله تعالى عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابى وقال لا تخدعن عنها فطالما كشف بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله تعالى عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار . وسأل رجل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال له ما وسيلتك قال وسليتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع

(ولما) وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وقر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره . وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلا كل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام
فاتينا كوم نمد أكفا * لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا مادفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير . وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

(وقال البصرى)

أصحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله تعالى عنه قال يا كميل مر أهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آليا على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ورما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع أبلج جعفرى * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فاجيبى الامير عنى فقالت

اذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمى * أعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كان رعيا * عليها من بنى حام قعودا
أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا الشعر منى . ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده

والله ما ندرى اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذى تتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى

فامر

فامر له بالف دينار وقال والله لوقلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك . وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتني مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض و بعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه . وروى ان أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب و يصيد به قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به و يتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على ردما لم تفعل أقدر من ردما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ما قلت فاعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر

* وكلما قصدوه زادنائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل أقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أمانعم فثمرة وأمالا فمريحة فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر ألف دينار (وحكى) ان رجلا كان جار الابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس

عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد عليه شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه

(وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

﴿وقال آخر﴾

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا القيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطانى كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانى * لابد أخبرهم وان لم أسئل

﴿وقال آخر﴾

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * أم فى المعاد تجود بالانعام

﴿ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه﴾ روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا

حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يابني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غني قد نشأ في الفقر . وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدي

اذا مارماك الدهر في الضيق فانتجع * قديم الغنى في الناس انك حامده

* ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان ياخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال

واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال أحد الانباري)

لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل

لعمرك ماشئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

(وقال سلم الخاسر)

اذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى قيل

لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقال محمود الوراق)

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب

فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

(وقال ابن دقيق العيد)

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه
اذا بات من يرجى فقصودنا الذى * ترجينه باق فلوذى ببابه *

(وقال بعض أهل الفضل)

لما افتقرت لصحبى ماوجدتهمو * لجأت لله لبانى وأغنانى *
واهاعلى بذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت الى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردنى ردا أقبح من خلقته، وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملء ابه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائى منهم بذبابه
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه * ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لابه
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها * ستبدى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو فى غفلاته * أتاخت صروف الحادثات ببابه
فاصبح لا مال ولا جاه ينجى * ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

(وقال آخر)

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ماصان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه ممطول
وأخوك من وفرت مافى كفه * ومتى علقت به فأنت ثقيل

(وقال

(وقال آخر)

ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

(وقال آخر)

لا تحسبن الموت موت البلى * وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

(وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي اذا جفاني
ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني *
ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر . ومن الامثال اذا قدمت من سفر فاهد لاهلك ولو حجرا . وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا استلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقي المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتي فقال رضي الله تعالى عنه اني سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فأما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك . وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال في نشر المهاداة طي المعاداة

﴿ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها﴾

أهدى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد . وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائة رطل مسكا ومائتا فروة سمور (وأهدت) قطر الندى الى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشي قيمتها خمسة آلاف دينار . وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار . وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندي وأربعة آلاف ألف درهم . وأهدت ثريا بنت الاوباري ملكة فرنجة وما والاها الى المكتفي بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت باجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهي مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها . وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدي كانت أديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتى قد أنقذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين . وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

وأهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه *
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك و بين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية و يذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فاهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبز فقال انما ذلك فيما يؤكل و يشرب أما فى ثياب مصر فلا . وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفى سوء ما يوجب التفضل يبسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى أن يتطول بقبول

القليل كتطوّله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثيرما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

و بلغ الحسن بن عمارة أن الاعمش يقع فيه و يقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك﴾

﴿أما العمل﴾ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق . وكان ابراهيم بن أدهم يسقى و يرعى و يعمل بالكراء و يحفظ البساتين والمزارع و يحصد بالنهار و يصلى بالليل . وعن على رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى . وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله أن أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه . وقيل من جد وجد وأنشد وافى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان و يبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله . وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب

الى

الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك . وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لأجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف . وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يا كل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا ونأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق و يقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهين وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لارجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال

* وأما ما جاء فى العجز والتوانى * فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما

تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى الله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه احرص على ماينفعك ودع كلام الناس فانه لاسبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله تعالى عنه التوانى مفتاح البؤس و بالعجز والكسل تولدت الفاقة وتنجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى الفساد . وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير . وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف . وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

﴿وقال آخر﴾

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب

* ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسال معاوية رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاص عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى و يكون يومك فى صنعتك ومالابد منه ومر رجل الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل و يأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه

ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فاهواله العظمى تليها رغائبه

أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه

وعفا

وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

﴿وقال آخر﴾

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للاماني المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق (قال أبو العتاهية)

اذا وضع الراعى على الارض صدره * خفى على المعزى بان تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال (وأما التانى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب . وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من آفات الدهور ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه . وفى التوراة الرفق رأس الحكمة . وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة . ووجد على سيف مكتوبا التانى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل . وقال بعض الحكماء اذا شككت فاحزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التانى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتانى فبماذا يدرك . وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

﴿وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها﴾ فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل

وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس عليه السلام خياطا . ووقف علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه على خياط فقال له ياخياط تكلمك الثواكل صلب الخيط ودقق الدروز وقارب الغروز فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادي وتطاب المكافاة وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع . وفي الحديث أكذب أمتي الصواغون والصباغون . وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل يحش الموازين سوادا في الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربي ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشترنا طفاما الذي يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ياعلينا أن نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه في بيته وكان أردشير بن بابك لا يرتضي لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم (قال أبو العتاهية)

ألا انما التقوى هي العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه باهله﴾ روى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه

عليه وسلم وكان معاوية رضى الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يات وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه . وحكى عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحيرى بهدايا فمكثت شهرا الأصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فنظر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى *
ان صفا عيش امرئ فى صبحها * جرعته ممسيا كاس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا *

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه (ومن ذلك قوله)

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله)

ومار يوم أرتجى فيه راحة * فاخبره الا بكيت على أمسى

(ومن كلام ابن الاعرابى)

عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

وقال على رضى الله تعالى عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمرى الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فات مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كما تنى . وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ما قدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها . وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه

كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس (ولما) قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف و يقلن

ألا يادار لا يد... رن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تؤوى كل ضيف * اذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب و به عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

ناه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خيرما استعملته الخذر
أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة . وأعجب ماوجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء و يذل من يشاء . وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث الا انه من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فاشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فاشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة ابن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهزم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

(وقال آخر)

يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه علىّ مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الىّ ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(وقال آخر فى معناه)

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فابادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

(وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى)

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

(وقال بعضهم)

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزرين بعضه * بعض اليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يازمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال و يقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لايزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أوغنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أومتمردا كان بسمعه عن سماع المواعظ وقرا . وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب و يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتنى مكانه (و يقال) لايقاوم عز الولاية بذل العزل بيت

مامن مسىء وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

(وقال الامين)

يانفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف و يرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم)

وقائلة مابال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتى من الناس واحدا * صفا وقته والمائبات تنوبه

(وللامير أبى على بن منقذ)

أما والذى لايملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندى أشد وأعظم
وبى كل مايبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وأيم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها الا ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر و يزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع﴾ قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد . وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الطاعات فى البكر

* انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر *

وقل من جد فى أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسى الصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق بن

عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عني خمسا لتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحي أحدكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألبس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك أن العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فاخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فاخبر فاطمة رضي الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بابي جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال علي رضي الله تعالى عنه والذي بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيري الدنيا والآخر الرضاء بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء في الرخاء (وحكي) ان امرأة من بني اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بني اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل

اليها

اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد جعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرح عاجلا . ومن أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جلة وتخلت

(ولمحمد بن بشر الخارجى)

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(ولزهير بن أبى سلمى)

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

(وقال بعضهم)

عليك باظهار التجلد للعدا * ولاتظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح فى البيدا اذا ما تغيرا

(ولابن نباتة)

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد)

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصر به لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر (وقال نهشل)

ويوم كان المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتني وذا الحذر * ليس يغني من القدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبري * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لاذواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبني والصبر بانى * والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهاني

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

انى رأيت الصبر خير معوّل * فى النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرا الغنى فجعلتها لى معقلا
* فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(وقال بعضهم)

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
* فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم)

ومامسنى عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ما قيل)

الدهر لا يبقى على حالة * لابد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همى وكادت نفسى أن تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال

الصبر

الصبر الصبر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على رضى الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت بداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدنى فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرنى شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنى أقول

أما والذى لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس فى كل الامور له كفو

لئن كان بدء الصبر مر امذاقه * لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رأه أحد قبل ذلك فى الكوفة ثم أخرجت فى ذلك اليوم من السجن وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع فى نفسى انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لى يوقظنى ويؤدبنى ويسلينى وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان فى هؤلاء القوم الذين وقفوا على صديق يعتقد فى الشجاعة والجلادة وهو يرقبنى بعينه فاخشى ان ضجيت يذهب ماء وجهى عنده ويسوء ظنه بى فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تاتى خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفنى الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كأمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضى الله تعالى عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذى صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولى العزم فاقول ذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل

كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يابنى انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبتى مكنى من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بى عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرنى الى أن تحكم فاوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء أنجى فيه أهل طاعتى وأغرق أهل معصيتى قال يارب وأين الماء قال أنا على كل شئ قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقعطها وجففها وقال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبى على من عصانى فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بامطار كافواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل فى الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفى تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما ابراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها لم يروا فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فاخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقد فوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبى الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام فى ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه باخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه

الصلاة

الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى فى ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة فى كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فاخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها واسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا القيت أمى فاقرأ السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى أن يا ابراهيم قد افداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم أن جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام) فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كاتباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة (وأما أيوب عليه الصلاة والسلام) فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله . ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى

زرعه وجناته فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع باهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فتردد اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بالطافه عليه فقال تعالى وكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه تحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم . وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (ومما) شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك ياهذا فقال كنت على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان

السجن

السجن أن غدا تضرب عنقي فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني فقلت الهي اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضني أحد فاذا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانصرف يقصد الحجاز . وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يا من ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل * عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلي ولعلها

فاجابه أبو أيوب يقول

صبرتني ووعظتني وأنالها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فمالبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر﴾ قال النووى رحمه الله تعالى لم يفقد عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ريح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مصروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكى (وقيل) تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك . وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته . وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لاهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا . ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أى رب عبدك ابتليته بما أرى فاوحى الله تعالى اليه انه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فاحببت أن أبتليه لابلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى حكى أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فابلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب بما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فخطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فاصبحت بلا

عينين

عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه . وقيل الحوادث المضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

* وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد دهمتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
* أما فى نبى الله يوسف أسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

﴿وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل﴾

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
والشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
* والنار فى أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
* والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
* لولم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد
* غر الليالى بادیات عوّد * والمال عارية يعار وينفد
ولكل حى معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعوّد
* صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاول لها يد

قال وأنشد اسحق الموصلى ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدبر حين عزل

ليهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

﴿وقال آخر﴾

* قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود . وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عوّلت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والخمسون ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب﴾

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء و يروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظار الفرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم قال أبو حاتم

اذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
* ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب *
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب *

(وقال آخر)

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
* فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب *

(وقال آخر)

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب

وكل

وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن عباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر)

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم فى الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
ولكن واتقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

* ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة * روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح ابن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن على من السجن وكان محبوسا واضربه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فاخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ على الكتاب ثم نزل يامر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء على بن الحسين عليه السلام فافرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم ما لك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه فى سجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين فى أمره فاطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى فى المنام عليا رضى الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فارسل المهدى الى ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتنى بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ما ذاك من شأنى فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار وردده الى أهله بالمدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فاصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلى فربى انسان أعرفه فقمت اليه

وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لاضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج اخفاف فارسلتهما مع جارية لبعض معارفى فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لضيفى شيأ يشترى به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا يثنى عما هم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته ما لى فيه من شعر فامر لى بمائتى ألف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبين الضيق تتسع

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبى مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبى مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم وشدد فى طلبه فاتى به اليه فى شهر رمضان عند المغرب وكان فى يد يزيد بن أبى مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكننى منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرنى منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقنى ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع فى النطع وقام السياف فاقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلى وكان أهل افريقية قد

اجمعوا

أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول اطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فامرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في فقمت دونهما وناضلت عنهما فاشتد على واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت ستر الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فامسكوني وأتوا بي اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتني لهما لا أعود الى معصية أبدا . وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرني الى غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شأن وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة ففعلنا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤوا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق علي الكسب ببلدي فاخذت جملي وتوجهت الى بلد غير بلدي لا عمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فاطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فاطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا قال أتدرون ما سبب فعلي هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه . وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل برضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جروها فسبحان

القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر أدناه الى الفرج

﴿وقال آخر﴾

ولا تجزع عن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر)

لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعترانى هم فأنشدت قول أبى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وأمر الله تنتظر * أتيأس أن ترى فرجا * فاين الله والقدر

الاسرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فأرسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتونى باخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مرارا البيك البيك وهو ينادى يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقيناهذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية ففرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه . وحكى سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى

رحمناه

رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعه فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لاتجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياع ماضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي همميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولدي ولدي في هذه الليلة فاحتجنا لامه ماتحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فابقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي أشتري بها شيأ من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلي وابقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لي الا الفرار منهم فهذا الذي أوجب جزعي قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ أبي حفص ياسيدي أريد أن تأتي بهذا الرجل الى منزلي فظننا أنه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفي أي موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندي اذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندي له همميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا همياني والله وعلامة صحة قولي ان فيه من الفصوص ياهوكيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت في حل منها ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لآخذ على أمانتي مالا وأبى أن يأخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فاخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك ياأرحم الراحمين . وحكي ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان . ويضد هذا ماحكاه أبو بكر الطرطوشي قال حدثنا القاضي أبو مروان الدارائي بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فاووا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لاتقعدوا تحت

هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فابوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته . قال وأخبرنى أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار الى دار هناك قصة عجيبة قلت وما هى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة فى تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع ما معه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هناك فاعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فاخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا فقال فلان يعنى نفسه فاظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيأ للنفساء فاتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فاخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فاجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى

خرجه

خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال ياعدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ماهذا ياافلان والله ماعلمتك متعديا وأنا أبدا ماجنيت عليك ولا على غيرك فماهذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى ياخائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لايخيب من قصده ولاينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الالواح وامتزج بالارواح وعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد بن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك آثار الخلافة ولاتموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال ياأمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك ومامثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدى اعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال ها نها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم وأبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس وما لها أن لاتميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشاها حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا (وقال) ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها

تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون والبها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا . ودخل عطاء بن أبي صيفي على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله فقضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه وليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية . ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهي تقول لا والذي أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا﴾ عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن أبي مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له اعف عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال حدثني أبو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت

فقال

فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما أخرجتك من يدى فأعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضى الله تعالى عنه أتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى سبيات فاراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قومهن فقومهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسين بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فقتل عبد الملك بقول عمرو العبدى

نهيتكم وأن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بارماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الابطال يطعنهم شزرا
وياخذ ربان الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

﴿الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم﴾ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تتزوجن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة . ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم أ لك غلام فقال

ومالى غلام فادعو به * سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر . ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خلا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرة عيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فابطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين فمرض الرجل فامر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتنى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفرلك هذا القبر فهذا طبيب وهذا حفاره وقيل كان عمرو الاعجمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبى صفرة اشترى غلاما أسود فربّاه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فاقام الغلام بعد هامدة يطلب أن يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كانهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد باعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتنى لارمين بهما فقال الله الله يا ولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ما هى الا نفسى وانى لاسمح بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد ليدب الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخرج مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبيك لنفسك ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فاخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمرو الاعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه أنكره كأن لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم ألأم من الزنوج وأردأ لان المولد لا يعرف له أباور بما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا و بالعكس فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم﴾

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون . قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا من ذكائها ولا تمنع من ماء ولا مرعى . وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث . وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم . وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض . ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايا كم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار و بمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات . وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات و يفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بنى أمية فقال أنا ابن محيى الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من

أموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يامعشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبه وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر فى الكعبة ﴿واعلم﴾ وفقنى الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمى وابن سماك الاسدى الذين ضرب بهم المثل . فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له ياعبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلى يكون من عبيد الله . وأما عبد الله بن زياد التميمى فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودى من نواحى المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله ان لم يردد راحلتى على لاصليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني بمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدى الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿حكى﴾ عن الحجاج بن يوسف الثقفى انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرنى باناس بلغنى الامل فيهم وأعاننى على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنهم من محاسن الحجاج وان قلت فى جنب سيآته والله تعالى أعلم

﴿ذكر أديان العرب فى الجاهلية﴾ كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية فى نمير وبنى كنانة وبنى الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية فى بنى تميم منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم * ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا * وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الجزيرة * وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العمالين يعبدون الاصنام فأعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطونى منها

صنما

صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه . وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال * وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكان اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى معتب من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم . وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عباد فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طما وعلا عليها التراب زمانا طويلا فاخرجها الشيطان للمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

﴿ذكر أوابدهم﴾ الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة

منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى . الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها . التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قاع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى . العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر . ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب . الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره . وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هى الدم وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى سدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت . الصفر زعموا أن الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن . تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت . الغيلان والتغوّل للعرب فى الغيلان والتغوّل أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغوّل لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رآه فى سفره الى الشام فضربه بالسيف . وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى . وأما القطرب فى قولهم فهو نوع من الاشخاص

المتشيطنة

المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه ﴿ذكر الهواتف﴾ أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى ﴿ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف﴾ ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه . ياليت شعرى هل بغت عليه . فلما انصرفنا من مكة قلناها فى بعض الطريق فاجابه صوت فى الظلام . نعم نعم ونا كها حجيه . وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كيه . فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لاهلى من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حجية فقلت الحق باهلك وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمى السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا أثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابتيه وابهامه وقال ابدليني باحسن منها فانه يامن على أسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها التعرف بها (وأما) جز النواصى فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطيروا له . وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية نخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوس وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الابكار فتقتضهن ويزعمون أن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان . ونكاح المقت من سننهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فالقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها البعض اخوته بمهر جديد

فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك﴾

(أما الكهانة) فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوّة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك أن الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فاخبرهم بالخبر فبيناهم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارق الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك النجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح • الى سطيح • بعثك ملك بني ساسان • لارتجاس الايوان وخمود النيران • ورؤيا الموبذان • رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا النجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكي) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فاراد تفسيره فقال له أهل مملكته يفسره لك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة فاكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بارضك الجيش ويملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا الغائط موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين

تمضى

تمضى من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من العلى قال وممن يكون هذا النبى قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر يكون فى قومه الملك الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيؤن قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح

* ومن ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبؤا له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبانا لك خبيا فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولامية أواخر فاخذ هاشم الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبين أمية

﴿وحكى﴾ أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هند راجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتنى قال فارجعى الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فاحكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج أبوها فى جماعة من بنى عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها انى أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمنى بسمة تكون على سبة فقال لها لا تخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل فى احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم

ونحرلهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئتك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى تمرة فى كمرة قال انى أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولازانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله انى لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه (وأما القيافة) فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر . فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشر بن نفرا فيلحقه بأحدهم ﴿وحكى﴾ عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شئ فلما رجعت الى أمى ذكرت لها القصة فقالت يا ولدى ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا ان هذا شئ ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا . وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به . ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى قطية وثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولاطين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا ان هناك لطيفة لايتساوى الناس فيها يعنى فى علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبنى مدلج فى أحياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنته أن تخط لى فى الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لاى شئ قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحيت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها

وخرج

وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي غازيين فرأيا مرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزؤا وقال ماهذا فقالت أما والله لاتخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فاحسنه ماروى ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ماترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال مارأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك . و بعث صاحب الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى مابين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ماتحت قدمي فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة . وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز ابن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن أني أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع . وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت مارأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها . و بينما مروان بن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهر بن حتى مضى ملك مروان (وروى) المدايني ان عليا رضي الله تعالى عنه بعث معقلا في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد ابن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لاتغلبون ولاتغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر ﴿وحكى﴾ أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك

قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الاولى دخلت على والشقة بيدى أدبر طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى اريد قطعها لانى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم اشياء بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على ناجية تضىء كالسور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لامير اصبر لننظر مايكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكانه أنف من مقاتلتهم على شىء من ذلك الا على حمار لما أنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له باى شىء عرفت ذلك فقال انك لما سألتنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فاوات الماء بالمحبوس او تفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك (وأما الفال) فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار و يا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعى سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع ياسالم أو طالب حاجة فيسمع ياواجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال و يكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شىء فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته فى دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال

والفال

والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب أقفال

(وقال لبيد)

لعمري ماتدري الطوارق بالحصى * ولازاجرات الطير ماالله صانع

(وقال آخر)

تعلم انه لاطير الا * على متطير وهو الثبور

بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا و باطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ماتتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ماغراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله ياطير بالبعد

لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد

تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود

متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل ثقل من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بان مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول ياعم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا لجئته وقد بسطله على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هم وقتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مراز به

بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وجند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهي وغني ما يسرني فغنت تقول

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأكثر خزما منك ضرج بالدم

فقال لها ما هذا الغناء في هذه الليلة غني غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكي فراقهم عيني فارقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاي لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدي فالتفت الي وقال يا عمي أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي أسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به . وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا

لكن هذا الريح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم . ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط وقوله لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فأي ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدي لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن لله عليكم الخلافة أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لي به ولكن

ائذن

ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذه الليالى علمنا أن ستطوينا * فشمشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات ﴿وحكى﴾ أن نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام ﴿وأما الفراسة﴾ فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴿وحكى﴾ عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار ﴿وحكى﴾ أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فانفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت * وكان الحسن ابن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ وما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة

البناء على أهله كيفما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاء بتبه دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاء بها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ﴿وأما النوم والسهر وما جاء فيهما﴾ فقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجىء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا ✻ أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى ✻ عند الصباح يحمد القوم السرى

(وأنشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد ✻ قم يا حبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ✻ حظا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله ✻ لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى ✻ قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى ✻ غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب انه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة ✻ والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق

فنومة

فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام ابن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شئ اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السياط على ظهرى أحب الى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم وأنشد وافى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون
* قل لى فاول ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

(وأنشد أبو دلف)

أما لكتى ردى على رقاديا * ونومى فقد شردته عن وساديا
أما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فاحيا الليالیا

(وأنشد أبو غانم الثقفى مفردا)

رقدت رقاد الهيم حتى لوانى * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تمادت على أهله وقال اندبونى لاعلم كيف تندبونى اذا أنا مت فسجى ونام وندب فاذا هو قد مات ﴿وأما الرؤيا﴾ فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجىء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ما حكى) ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال ما لابى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فاتاه

عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كبا أنقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله تعالى عنه انى رأيت كانى رقيت أنا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يارسول الله اقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فاولها أبوها بموته وموت النبى صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله تعالى عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك (وحكى) ان أم الشافعى رضى الله تعالى عنه لما حملت به رأت كان المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكى أيضا) ان عاملا أتى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليتك لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية (وأما) من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأنى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه . وجاء رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان . وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كان القمر دخل فى الثريا ونادى منادمن خلفى ان ائتى ابن سيرين فقصى عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيتنى هذا فاعادت عليه فقال لاختها هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام . وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فأنت تباشر الموتى فكان كذلك (وحكى) أن ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان

جلار

رجلا رأى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك . وأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها

لك البشيرى بولد * أشبه شئ بالاسد * اذا الرجال فى كبد

تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبى عبيد وذلك فى عام الهجرة . وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال بلى أربعة من صلبه الخلافة . وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه رأيت عنبا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك . وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كان رأسى قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفى وأولوا رأسه بنبيه ونظر اليه باتباع سنته . وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع . وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه رأيت كأنى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ماينبغى لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بما له عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة . وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال تضرعت الى ربى سنة ان يريني أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله

عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة . ولما أراد عمر رضى الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشرب به فالقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال ألم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشرب به وقولك لا باس عليك أمان ولم أشرب به فقال عمر قاتلك الله أخذت منى أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولد وا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل . وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لو أسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام الا أنه يمنعنى منه حبى للخمر فقال أسلم واشرب بها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها فتحا كما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فارسلها ثم قال للناس انى لاجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب . تأتى فى صور الحمام تحت السحاب . فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فأكله فاختصما فى الصبى الباقى الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبى الله قال نعم قالت لا تفعل

ونصيبى

ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها . وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يانبي الله ان لي جيرانا يسرقون أوزى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان أحدكم يسرق أو زجاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم . وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فارسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكني أضع البدرة في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله هذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب الى من هذا الذي يحصي على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة أن قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شاهخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فاخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم . وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فاقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوي القلب والبريء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه . وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحد المستودع فاخبر بذلك القاضي اياسا فقال أعلم بانك جئتني قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضي اياسا بعث الى ذلك الرجل فاحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندي أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالي والا شكوتك للقاضي اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فاخذه وأتى الى القاضي اياس فاخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التي

ذكر هاله القاضي فقال له القاضي بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لي ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله في الناس مثلك . ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال أبرويز للداخل عليه ليقتله اني لادلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي قال وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فاخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله . ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقني عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة في عنقي الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس . وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لي جعل على ان ألطم سيد بني تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فاراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألني عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي . ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعي
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك ﴿ومن الحيل الظريفة﴾ ما حكي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط

السلمي

السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فاذن لى يارسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فاذن لى لعلى أخلصه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أحتاج ان أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا ياحجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم قال فاحدقوا حول ناقتى يقولون ايه ياحجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى من غير مائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى هناك فقاموا معى فجمعوا لى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ما هذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم مافيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ما تقول ياحجاج قال قلت اى والله ولقد أسلمت وما جئت الا مسلما لآخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلته وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله . ولما اجتمعت الاحزاب

على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب و بنى النضير و بنى قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال يابنى قريظة قد علمتم ودى اياكم وخاصة مابينى و بينكم قالوا صدقت لست عندنا بتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين الرجل ببلده ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا و بينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فارسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا و بينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا

والرجل

والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

﴿وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور﴾ فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا يسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر. وقيل ان كسرى أنوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته . وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الأنين قال امرأة تمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا قال فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير

المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيرها فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غدا ئت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف ، وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فأنت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لى فقال أنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه ، وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك وكان زياد ابن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الىّ وأنا أعرف بك منك بنفسك والله انى لاعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته باقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون

فعرف

فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم باسيافه وكان لكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها باوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ماتقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لامر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضرنى يوم كذا فقال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى اعلم ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويراسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتى عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيرونى سرا وسيروا معى ألطافا وعينا وكلما جهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فاخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبدالله بن الحسن فلقيته بالكتب فانكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وان معى ألطافا وعينا فانس بى وأخذ الكتب وما كان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنى محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لى المنصور انى أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقانى بنو الحسن وفيهم عبدالله فانى أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فجلس عبدالله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فاكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبدالله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتنى من العهود والمواثيق انك لا تريدنى بسوء ولا تكيد لى سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين

يدى عبد الله بن الحسن فاعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثا بين يدى المنصور وقال أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالنى الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقينى فوالله ما أريد الا الالفة والأن صدقتينى لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب وهى تقول لا أعرف له مكانا فامر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمى عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك فى بنى سليم قال صدقت هى والله أمتى ابتعتها بمالى ورزقى يجرى عليها فى كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندى سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو فى بنى فلان قال صدقت هو والله غلامى أدفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرنى ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن فى بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم﴾

﴿حرف الهمزة﴾

(الاسد) من السباع والانثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع * منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبره ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه فينفخ فيه فتتفرج أعضاؤه وتتشكل

وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفى ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار . ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضىء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى . وروى أنه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبى لهب كفرت برب النجم يعنى نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه فى عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أى شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا على ووالله ما أظلت السماء من ذى لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم فى الاسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرى على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى * كجمر الغضى فى وجهه الشر ظاهر
* بديل بانياب حداد كانها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على وادمسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى فى نومه أن هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فالقته فيه فارسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك فى دانيال فضرى له أسدين وجعلهما فى الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله و يلحسانه فاقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فاوحى الله تعالى الى أرمياء

بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بحبرون كذا بامكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك لى قلت أرسلنى اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الذى لا يخيب من قصده والحمد لله الذى من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذى يجزى بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا باعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان فى سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام فى سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطعم ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهى أول حمى نزلت فى الارض ثم شكوا اليه العذرة فامر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثروا زاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فامر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فحجب الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش ألف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط اسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت وفى الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فارة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أى مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى

يعرف

يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده و يقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل و يقل أكله و يخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شئ هى من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه و يحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها . وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين و به أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك أحمد واسحق و يحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد فى الباه وفى الانعاظ بعد الجماع و بوله يفيق السكران و وبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها فى الارض أضيف اسمها اليها قال القزوينى اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها انها تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها و يحتملها و يمشى بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبيه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهى حبلى و يكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم . ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران

وعند ولادتها ينحل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدبره وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجري به وهو راكب عليها ويجري معها ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الاثير في الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج . وقيل التقطت الارنب ثمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا يتخاصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت ثمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغي الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا (ومن ذلك) ماحكي ان عدي بن ارطاة أتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أبين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فانا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحري من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيزنونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة قال علي مايقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن أعجب مايحكى عنها انها لدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته ﴿وحكى﴾ انها نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له ياشبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق الاعناق صغار الاذناب مقلصة الرؤس رقش برش كانما كسين اعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من

اطعمها

ألهمها ذلك وقال الزمخشري اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتي البساتين وتلقي نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد أضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا . ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأي بحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت . ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها في بحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها الكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوي قال كنا في طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتوا بوما بافاعي اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فاطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم ما كولا فاكلت وأقمت عندهم أياما فلما انشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة ﴿فائدة﴾ قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد في زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذي يشتكي فاراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فامرهم أن يتبعوها الى المكان الذي تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى

ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بزر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه فى الارض لننظر مايكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ ﴿لطيفة﴾ من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده مايرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فامر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن ألطف ما اتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر مافيها فامر باحضارها فاحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له . وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن أوى الى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فاكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر مايكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده لبراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع باكل الحيات

ور بمالسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبنزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك و يأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿حرف الباء الموحدة﴾

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحر العينين والاصفر دونهما . ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجؤ غليظ الذراعين مع قصر فيهما ﴿لطيفة﴾ من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بامم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون

ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادي والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه أهدى لعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بج) طائر لطيف يأوي أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضي الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطي
تمشي الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطي

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدي وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكى) أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لا سيما الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم ديبها من تحتي أشد من عضها وليس ذلك بديب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يفلي ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع النمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد اعرابي

اعرابى ليل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لابارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا فى المواريث

﴿وقال أبو الرماح الازدى﴾

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على بطول
تؤرقنى حدب قصار أذلة * وان الذى يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ماقتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولاينمى لهن قتيل
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

﴿وقال ابن أيبك الصفدى﴾

أشكو الى الرحمن مانالنى * من البراغيث الخفاف الثقال
* تعصبوا بالليل لما درروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر ﴿فائدة﴾ سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال ألله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها . ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ ومالنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السداب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج ﴿بعوض﴾ قيل انه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بار بعة أجنحة وله خرطوم مجوّف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهوله كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى أنه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار . ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض

* يعامله فليس له قرار * ويشخنه فليس له نهوض
جاء قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كانك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها أن جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفد الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل *
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ماهو دونها * فى قاع بحر مظلم متهوّل *
* امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

﴿بغل﴾ معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وز بله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر ﴿بقر﴾ حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى أكثر ألبانا وكل حيوان انانه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر وأنثاه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ الجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل ﴿عجيبة﴾ حكى فى الاحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء و يبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجلس صاحبها ينددبها فقال له بعض بنيه يا أبة لا تندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها

(فائدة

﴿فائدة﴾ ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق

(الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فاكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلا به على الاثر الاسود فى البدن أزاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتاكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون فى أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهى أصناف وكلها تحب الخلو بنفسها (الخواص) ومن خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما فى الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع ما فعلته فى نومها

﴿بوقير﴾ طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة ماريه أم ابراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم

﴿حرف التاء﴾

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون و بين كل نابين سن صغيرة وهي أنثى فى ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلفحاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله فى الغالب ستة أذرع الى عشرة فى عرض ذراعين أو ذراع و يقيم فى البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك فى زمن الشتاء و يتغوط من فيه فى الغالب و يحصل فى فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر و يفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضر به بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه بجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا و يسفد ستين مرة و يبيض ستين بيضة و يحضن ذلك ستين يوما و يعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ اناه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين و يغافل التمساح و يقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها و يقطع مراق بطنه فيقتله ﴿الخواص﴾ عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين له مبارين واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها و يلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

﴿حرف التاء﴾

(ثعلب

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق . فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد . ومن حيلته أنه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفأ الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك . وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى أبى منصور السمانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى أنه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ماخلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فاعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خوزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فادماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات . وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا فجلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الاحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب ﴿وحكى﴾ أن الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى عاريا فناداه أما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع . ومن العجيب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى أتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب

الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شيء للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ

﴿ثعبان﴾ هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشان في هلاك ابن آدم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فاخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فاغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

﴿حرف الجيم﴾

﴿جراد﴾ حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وأطراف أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر

وكان

وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه ان الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر فقال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فامر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير ﴿عجيبة﴾ حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل في يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فاخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فاخبره بذلك فقال أظنهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فاتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فاي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فامسكوه وأتوا به لنبيهم فامر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى

﴿جعل﴾ دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكاد ان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

﴿حرف الحاء﴾

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على

غيره أخذ بيضه فضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التى باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره فى قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون فى أشراكهم ﴿غريبة﴾ قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمى الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق فى عنفوان شبابى فربى تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الى فلم أقتله فلما علم أنه لابد لى من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهد الى أنه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حقه فى استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة فى العين واذا سعط بها انسان فى كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما من ألوانها الاسود والرمادى وهى لا تصيد الا خطفا وفى طبعها أنها تقف فى الطيران وهى أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل افراخ جارها ويقال انها طرشاء وفى طبعها أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب (عجيبة) روى الحافظ السفى فى فضائل الاعمال أن عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فاخبرته بامرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فاخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل مخالفا لجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها يشبه رأس الحجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به مابعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع

تسمى

تسمى أم حبين و يقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى برديك * ان الامير ناظر اليك * وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها انشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملوّنة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلوّن ألوانا ولذا يقال يتلوّن كالحرباء * ﴿حمار أهلي﴾ معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك و يوصف بالهداية الى سلوك الطريق (لطيفة) فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني و يضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وقال له أتشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه و يقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي فى التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض . فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عيرهني من نسل الاكراد يحمل الرحل و يبلغ العقبة و يمنعني أن أكون جبارا فى الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى يسارة مثلا فى الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة . وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار و يجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة . ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركب الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابى الحمار بئس المطية ان أوفقته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطيء فى الغارة لا توقى به الدماء ولا تعمر به الفضاء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشري

فان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فاكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فاخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا باصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ماعندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله

﴿حمام﴾ هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد ورب حمام صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه ولكن اذا أبصره يعتريه مايعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفار اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لايريد الاذكر الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لاباس به غير أنه لايجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن بردونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق ﴿الخواص﴾ دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع لسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع من الحصاة

﴿حرف الخاء﴾

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه

اخضر

أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يالف الجبال ونوع أصغر منه يالف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الأبابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لاتجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغ فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لاتزال داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لايشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ✿ تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم ✿ أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لايفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب البرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر البرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن البرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك ياخذه من به البرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته ويفتح عينيه ✿(لطيفة)✿ قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمتنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان دعاه وقال ماحملك على ماقلت فقال يانبى الله ان العشاق لايؤاخذون باقوالهم ✿(الخواص)✿ مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقيل العشاء لانه لايبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا الطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى فى طير لاعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر ✿(خنزير)✿ حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها فى زمن هيجانها وتطأطئ رأسها

وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى ناباه من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا ﴿خنفساء﴾ دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسو لان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة ﴿فائدة﴾ قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرفى يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فأخذها فاحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ ﴿الخواص﴾ اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والا كتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر ﴿خيل﴾ جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل فاخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى

جعلت

جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لاتحضر شيأ من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد على نار كوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فاغرقوا الان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فاعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فامر بعقرها فعوّضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لايحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحابه فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها أناس * ربطناها فاشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الاباعر والجمالا

﴿حرف الدال﴾

﴿دابة﴾ اسم لكل مادب على الارض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى ياعزرائيل امهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ماصنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فاكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكا

عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت . وأما الدابة التي من أشراط الساعة فاختلف في أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الالوان وذلك في ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب في وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب في وجهه كافر وروى أنها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس في البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفي حديث الافك ما نعلم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تججن وتنام فتأتي الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل باثناه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه في الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفي ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهي من الحيوان الذي يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمي بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذي لا يقطع الا بالفاس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب حدا الا قتله ﴿دجاجة﴾ وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها ملح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف في الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة في بطن الدجاجة في عشرة أيام وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب في صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المني وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتي يزيد في العقل ويصفي اللون ويزيد في المني ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر ﴿دج﴾ طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه ﴿دود﴾ اسم جنس ومنه دود القز

ويقال

ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا فى حق ورما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج مما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بامر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

(وقال آخر)

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبنى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

﴿ديك﴾ وكنيته أبو حسان وأبو جاد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليتوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسامون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان

الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبي باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفي الحديث لا تسبوا الديك فانه يؤقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب في أهله وماله ﴿نادرة﴾ قيل كان لابراهيم ابن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحي عليه فامر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فارادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهي تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بابي اسحق الى هذا القدر فارسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلات الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك الكريم على الله فان اسمعيل نبي الله فدي بكبش واحد وهذا فدي بما أرى

﴿حرف الذال﴾

﴿ذباب﴾ وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقي رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفي الحديث اذا وقع الذباب في اناء أحدكم فليغمسه فان في احدى جناحيه دواء وفي الاخرى داء وان من طبعه أن يلقي نفسه بالجناح الذي فيه الداء ﴿وحكي﴾ أن المنصور كان جالسا فالح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاي حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعني زنبور فحككت على موضعه اكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله ويامرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقي عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى نمل فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا

واذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الارض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان فقتلهما كيف شاء والله أعلم

﴿حرف الراء﴾

﴿رخ﴾ طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها لمعانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسعة قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر ﴿رخم﴾ طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل فى بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

﴿حرف الزاى﴾

﴿زرافة﴾ حيوان غريب الخلقة ولما كان ما كولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح أنها خلقة بذاتها ذكرا وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة ﴿زنبور﴾ حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك

أنه يبنيه من بعاله أربعة أبواب لكل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

﴿حرف السين﴾

﴿سعلاة﴾ نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلاعب به كما يلعب القط بالفار قال ور بما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب ور بما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها ﴿سمندل﴾ حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق ﴿سنجاب﴾ حيوان كهيئة الفار يوجد فى بلاد الترك على قدر البربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفار وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق ﴿سنور﴾ حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة ﴿حكى﴾ أن اعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قال له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ بروثه بلعابه حتى يصير كان الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفار فاذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بارض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وخلفيه ﴿سوس﴾ هو دود الحبوب والفاكهة . ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

الا

* ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

﴿حرف الشين﴾

﴿شادهوار﴾ حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها صوت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شئ من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض فى قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه ﴿شاهين﴾ طير يكون كهيئة الصقر الا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فاخذه فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد به ﴿شحرور﴾ طير أسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

﴿حرف الصاد﴾

﴿صرد﴾ حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء ﴿صعو﴾ طير من صغار العصافير أحمر الرأس

﴿حرف الضاد﴾

﴿ضان﴾ نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ودبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجيب انه يأتى غنم من الهند للكبش منها ألية فى صدره وأليات فى كتفه وألية على ذنبه وربما تكبر أليـة الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها انها اذا تسافـدت وقت المطر لاتحمل وعنـد هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم ﴿ومن خواصها﴾ أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسـل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليـه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكر والله أعـلم ﴿ضب﴾ حيوان يجعـل بجحره فى الارض الصلدة وعنده يلم فر بما لايهتدى لجحره اذا خرج منـه فلذلك لايحفره الا بقرب كدية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه لايشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج بيضـها قدر بيض الحمام وهـذا الحيوان شـديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى بجحره حتى يمتنع بها ويخرج من بجحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حـدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينـه وبين الافاعى مناسبة وذلك أنه لايخرج زمن الشتاء ﴿فائدة﴾ قيل ان اعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسـمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتـله فقال عليه الصلاة والسـلام مهلا ياعمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك الا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صـلى الله عليه وسلم ياضب فاجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمتـه وفى النار عـذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صـدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عنـد ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشـهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشـهد أن لااله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وماعلى وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقـد صرت الآن أذهب من عنـدك وماعلى وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولانت الساعة أحب الى من أهلى وولدى ومالك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صـلى الله عليه وسـلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لايقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى ياحبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخـلاص قال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن

الكثير

الكثير ثم سأله أللك مال فقال يا حبيبي ليس في بني سليم أفقر مني فقال لاصحابه أعطوه فاعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندي ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابي من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فاسلموا عن آخرهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدي ﴿الخواص﴾ قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلي به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شيء وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا ﴿ضبع﴾ حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشربه زال سحره ﴿ضفدع﴾ حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل الاعضاء واذا نتق جعل فكه الاسفل في الماء والاعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لا سبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فناداته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي تسعون سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿حرف الطاء﴾

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل شهر في السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويسقد الذكر في أيام الربيع ويرمي ريشه في أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما ﴿فائدة﴾ قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت

دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاءه مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبي) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهى ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحيتها فى الماء العذب فاى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتى بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل ما فيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى اسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بنى اسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه صوت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم *(فائدة)* نقل القرطبى عن سيدى أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشدلهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد

قال

فاول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى * (عقرب) * هو من الحشرات قال الحافظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فاكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تاوى اليها وربما سمعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سيلحتى اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فائتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم حرينا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدماعرش بلقيس هدهد * وخرب فأرقبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

* (فائدة) * اذا لدغ أحدا فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله

على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لاتلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم • وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لااله الاالله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لوقلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لايضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك *(الخواص)* من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته *(عقعق)* طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لايأوى الاالاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لايفسده *(الخواص)* دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بو بر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه • ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب مافيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل بيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لايصل اليها أحد وجعل لها فيها ماتقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزوج اذا مضى عليه خمسمائة • وحكى الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له

وجه

وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين و يخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير و يصير عنكبوتا وتكمل صورته ﴿فائدة﴾ قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل و يتزوجها خادمها و يكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر هذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها تقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتينى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا و كرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فامرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور و بذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بأبهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من ماته

شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴿فائدة﴾ نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وجعل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه ﴿الخواص﴾ نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها و يجلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به ﴿ابن عرس﴾ حيوان معروف وهو بارض مصر كثير و يسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فار فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فاخذته أنثاه ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه و يلد عليه ﴿عجيبة﴾ قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسه فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فافلته له

﴿حرف الغين﴾

﴿غراب﴾ وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى فى طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأنيها ومنه قول الحريرى

يارازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ما وجد و يسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء وجد فى طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه و يسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق فى أثرهم . ومن الغرائب ان بين الغراب و بين الذئب الفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقربطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره ﴿الخواص﴾ اذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى

به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخناز برطلاء وان صرفى خرقة على من به السعال زال ﴿غرغر﴾ دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الفاء﴾

﴿فاختة﴾ طير أغبر من ذوات الاطواق يقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة ﴿الخواص﴾ دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو فرحة اذا قطر فيها ﴿فارة﴾ وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتى الى اناء الذيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلوها لزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا المسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم ﴿الخواص﴾ عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار ﴿فرس البحر﴾ حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره ﴿فهد﴾ حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كايب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى ﴿فيل﴾ حيوان يوجد بارض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند ان لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم

لشدة ذكائه وقيل ان ثديه في صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق ور بما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أوجه في فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور حكي عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم اني رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لي في رؤية الفيل
رأيت بيتا له شئ يحركه * فكدت أفعل شيأ في السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بأنفسهم ويتركونه . ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والآخر في يدراكبه فاذا أراد شيأ غمزه به في لحمه وأول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك (قيل) خرج كسرى ابرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فلما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد في غير بلادها ﴿فائدة﴾ من قرأ سورة الفيل ألف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساء في ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فاهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له ما لم يكن ظالما ﴿الخواص﴾ جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سق انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة

واذا

واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

﴿حرف القاف﴾

﴿قاقم﴾ دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب ﴿قاوند﴾ طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل و يحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام و يقال يا يمسك الله البحر فى هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا كرامة له لانه يقال انه بر والديه ﴿خواصه﴾ انه يقيم المقعد و يحلل البلاغم المزمنة و ينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب ﴿قرد﴾ حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل و يصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعد وخلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما الى أبى الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف * وما قصرت عنه فى الحكايه

﴿قنفذ﴾ بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا أذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

﴿حرف الكاف﴾

﴿كركند﴾ حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل ناباه شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر و بنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك و يتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين و يخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر و يقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه فى

بطن أمه و يزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها و بينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه و يسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ * (كروان) * طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة * (كركى) * طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه و بالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية * (كلب) * معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقى أسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الاجلاء من الناس * (حكى) * أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فانشد يقول

ومازال يرعى ذمتى و يحوطنى * و يحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

* (وحكى) * أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم يتنه ولم يرجع فلما قعد بعض الكلب بين يديه جاء عدوله فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فمازال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به أناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضارب

* (ومن ذلك) * ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه و ينبح و ينبش و يتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شانا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل

شهر

شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته و بؤس نفسه مايفتت كبده وقيل لرجل مابال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فاخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله *(فائدة أخرى)* قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه و بقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ماصنعه فى السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه *(فائدة أخرى)* قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان مايدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم *(فائدة أخرى)* اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(لغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت و يأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ماقسم الله له من الرزق و يأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمى بذلك لانه قيل انه لا يشرب

حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم *(نحل)* حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فاخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى *(فائدة)* قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فاتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى . وروى أن شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فامره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فامره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب

بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى *(نادرة)* قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك يا يخرج من بطون بنى هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته *(الخواص)* اذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم *(نسر)* هو سيد الطيور يعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب فى يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه ياكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه فى تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله فى عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض فى الاماكن العالية ويبقيه فى الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفى الحديث أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة *(الخواص)* اذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهيبا عند الناس مقضى الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها *(نعام)* يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بام البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله فى حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعنده الحق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها *(فائدة)* روى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان فى زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم

البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهى لا تشرب الماء كالضب و يقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها فى شئ اما شعب أو حجر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجر وفى طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباوقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعى وسأل أبو عمرو الشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة فى خلقه و يقال ان أنثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفار فيبرأ وفى طبعه عداوة الاسد وعنده شرف فى نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون *(الخواص)* من حمل من جلده شيأ صار مهيبا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبى الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة و يقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه *(الخواص)* اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنق يقال انه يكاد يقتل نفسه

اذا

اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول فى صياحه . لدوا للموت وابنوا للخراب . والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارئ

﴿حرف الياء﴾

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا باس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا البنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كانه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الامة

خلفه تطلب المجيء الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة ﴿يحمور﴾ دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى ﴿نادرة﴾ قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الحان ولى اليك حاجة قال وما هى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفر قا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا تفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

﴿فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال﴾

الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضىء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

﴿الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم﴾

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر

والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها مايشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ماوجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عوى الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشر بن أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشر بن أمة منها سبعمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت من أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتى مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنه ثلاثين وخمسمائة سن نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى أودنقى كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا وضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقينى يسلم على ويرحب بى ويكرمنى وكان رأسى لايصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجلهم الا أنه كان لايوصف طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها

كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهر اطويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى أفعاله يسير فى الارض برا وبحرا ويفسد ماشاء ويقال انه لما حضر بنو اسرائيل فى التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله له طيرا فى منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق فى عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز فى الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ماقيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة طار أسان وفى كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى أول من بغى فى الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين وصرفهم فى وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها وجابستين (ومن ذلك) ماحكى عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد المحمدية فى جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبى لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوى ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له فى عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط فى أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان فى بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ماذكر أنه أهدى الى أبى منصور السامانى فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضى عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه

مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور البركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيدو ذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طفطوفولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه (ومن ذلك) انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فثقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جيلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فاخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كتصييح النساء حتى ماتت في أيديهم فالقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وانهار فاقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فاخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فاما أحدهما فوثق بصاحبته فاطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كانه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فاطلقها فاغفلته وألقت نفسها في البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه درو جوهر فباعه وصار من التجار (ونظير هذه الحكاية) ما ذكره ابن زولاق في تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كانها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فاقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر

أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه درتم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية ... تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان فى بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وأنه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الامة التى لا رؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم . وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة

التى

التى لايقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد فى التمثال لايسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أراد أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فابصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لاتظل الاساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا ازدادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت فى ذلك على ماذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم﴾

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان

فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فارسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد ولكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفى الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتنى الى الارض وطردتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسمى عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل فى مكايده لعنه الله) (منها) انه كان فى بنى اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها فاقال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فاحضرك لو جعلتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله وقال اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت لى خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين (ومن ذلك) ما اتفق أن بنى اسرائيل اتخذوا شجرة وكانوا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك

عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك فى كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم ثلاثة دينارين ثم قطع ذلك عنه فاخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك . ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

﴿فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة﴾ منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب . ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فاقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغيرلونها وقالت بنوك و بناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه . ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بانفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فاتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لاعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر . وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى أثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال أنفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخاص صاحبه . ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما

نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل و يأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا و يأتينا فيأخذنى و يقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أردد ها الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه يخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فانخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

ياذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر

* وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر *

قال فاجبته

ياذا الذى للحين يدعوه الحق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق

* ما أنت فى الجن بأول من عشق *

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جزناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى و بين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد . وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط و بيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد و بدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص فى

البحار

البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى ذكر البحار﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء ﴿واعلم﴾ أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التى ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذى يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذى عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله فى البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمى البحر الاسود لان ماءه فى رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان فى يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاى شئ ذلك وكذلك يرى فى بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان فى هذه المواضع والماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض (وأما) ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فاتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فاقمنا شهرا ناكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينيها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فاقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها

فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فارسلنا له منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فارسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا انها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وانها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطرى الذى كأنه قطع من

شجره

شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقضبت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك و يضرب فى يدى فلففت يدى بكم ثوبى وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاى شئ يصلح ذلك . قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الارض التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك أنه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر و يلقى نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة و يسمونه الجوهر و يتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص . وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته . وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح و ينظر لنفسه و ينشر أجنحته و ينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر . وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تنام منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها و يتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يتجه نحو

الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه فى بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لاتحصى ولايمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بالوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لاتطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهم فى غاية اللطافة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده

وفيها

وفيها من الاودية والاشجار والانهار مالا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال مالكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحر الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فاحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وثقا منا نزلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا فى الجرى فامسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى تجريان

قال فاخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وشواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

﴿الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون﴾ قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة وهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى الى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عدد هال كنا نشير الى بعضها فنقول (النيل المبارك) ليس فى الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين فى بلاد الاسلام

وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب فى البحر الرومى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر . واختلف فى زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ﴿نهر الفرات﴾ يوجد بارض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقى وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتى الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفى وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات ﴿جيحون﴾ نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شئ من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب فى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه طما كن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين ﴿سيحون﴾ نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة ور بما يجتمع مع جيحون فى بعض الاماكن ﴿الدجلة﴾ نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفى بعض الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثير الماء ينجو غريقه . حكى انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كان أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر ان الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات . وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فمنها ﴿نهر حصن المهدى﴾ قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وأنه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه ﴿نهر أذربيجان﴾ قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ﴿نهر صقلاب﴾ يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام ﴿نهر العاصى﴾

بارض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى و يسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

(نهر العمود) بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس ونحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى و يقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة و يلقى نفسه فيتقطع (نهر بالين) قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذه التدابير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثانى فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فامر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر و يطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فامرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك *(بئر برهوت)* بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تاوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة *(بئر عسفان)* ماؤها يستشفى به قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم نفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها *(بئر معروفة بارض حلب)* خاصيتها أنها اذا شرب منها المكاوب زال كلبه ما لم يجاوز الاربعين و بنيسابور آبار كثيرة وهى معادن

الفير وزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها . وبارض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لمحة واحدة ويجرى فينتفع به في سقى الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)

(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كحردلة في كف أحدكم وقال رواة الأثر ان لله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم باسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك . وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثانى الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلا عتدال اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها في زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتا آن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فاتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى في ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الالماس الذى يقطع به الصخور وينقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام كنناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه

غار

غار يضيء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند) بهمدان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلمدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) ببرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

﴿الفصل الثانى فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها﴾ قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان نان فاخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد . حكى الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فامر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فاعجبتهم تلك الارض فامروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجانب

دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا وارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة من زخرفه وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما أكمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وانه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ . وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قريبا من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على

معاوية

معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال ها هو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة الخورنق) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فامر أن يلقى بانيه من أعلاه فالقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

﴿ومن المبانى العجيبة حائط العجوز﴾ واسمها دلوكة القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فاخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فاذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى ﴿ومن المبانى العجيبة الاهرام﴾ وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها فيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن سكانها * حيناويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور للملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله من الضيق ومهاوى يهول أمرها و يعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعد نا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة منارة الاسكندرية) التى بناها ذوالقرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندسة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر و يقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوّت صوتا مطربا و يقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق فى البحر و يهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك . قال المسعودى قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا فقيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد و بازائها خبية بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا

ان

أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا و بطل احراقها فندموا على ما فعلوا . وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشى خلفه اصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحد عشر ذراعا وفى تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه . وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجارى فى كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجأة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره و يغلق بابه و يجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجأة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذوالاكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرارفه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فاخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا نظر الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها﴾

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب

والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى . ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه . خواصه يقوى القلب و يدفع الصرع تعليقا و يمنع الفزع والخفقان و يقوى العين كحلا و يجلوها اذا كان ميلا و يحسن نظرها واذا ثقبت به الأذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط و يبرأ سريعا وامساكه فى الفم يزيل البخر ﴿الفضة﴾ قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول ﴿النحاس﴾ قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لا دواء لها ﴿الحديد﴾ كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب و يزيل الخوف والافكار والاحلام الردية و يسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا ﴿القصدير﴾ صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه أنه اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها ﴿الاسرب﴾ هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها ﴿الخارصينى﴾ حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

﴿الاحجار الجوهرية﴾ أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر و يفتح اذنه يلتقط بها المطر و يضمها و يرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط باجزاء البحر حتى ينضج ما فيها و يصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب و يبسط النفس و يحسن الوجه و يصفى الدم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين ﴿الياقوت﴾ سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى و يتولد منها ألوان كثيرة

واعدلها

وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى ثم العصفرى وأردؤه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض (خواصه) أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ماوزنه ثلاثون مثقالا على ماقيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سراذا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ماقيل (الماس) يوجد بوادباالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل فى أنبوبة قصب وصرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) ان الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن خواصه) أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الازرق الصافى (خواصه) النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفى (العقيق)

معدن بارض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه بتشجره يشبه النبات ويتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بارض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة النوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى

حالته

حالته وأجوده ماجذب نصف مثقال من حديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال وخاصيته أنه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده مايوجد بارض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ياعلى ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى فى المحبين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه﴾

وماذكرت ذلك الا لانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعدا شتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

﴿فصل فى الصوت الحسن﴾ قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بابينا أنت وأمنا يارسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضرب به على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا الكان كلاما تجتمع عليه فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان يتنحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم

داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادي للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بان يظمؤا ابلا ثم يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب ان الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفوله الدم وتنموله النفس و يرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كره اللطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقي من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه و يعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاياة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاياة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيري الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والنب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته و يتذكر نعيم الملكوت و يمثله في ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها و يبكون على خطاياهم و يتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كانه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن في البحر دواب ربما مرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشي من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بان شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما غشي على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ ومازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغي ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها و يتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة و يسرة وتتبختر في مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها باصوات شجية فيجتمع السمك في الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب البحار وما فيها من العجائب والراعي اذا رفع صوته ونفخ في يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت في رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت في الشرب وليس شيء مما

يستلذ

يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت مايطربها ويسرها اشتعل منها ماخمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض لتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى تنام تناوم الحجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده * الى صاصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن * مقرب من فرح
مبعد من حزن * لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الا اشاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه . واختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازوه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * علم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان

فيه تحريك لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا
مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبابكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبابكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ماعفا الله لك عنه من هنا تك فاسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جبال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف نوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وماجعلت العرب الشعر موزونا الا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور . ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التاويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال رجل للحسن البصرى ماتقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويجه فمه وسمع ابن المبارك

سكران

سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة . وكان لابى حنيفة جار من الكالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فاخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فاسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فامر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فاقبل الكال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يافتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت . وكان عروة بن أدية ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا البقا غزلا وكان يصوغ الحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فاقام يسمع غناءها فرآه سولاها فقال له هل لك ان تدخل وتسمع فابى فلم يزل به حتى دخل فغنته فاعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فاغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة مابينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو

الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الايام *

فاليوم أعذرهم وأعلم أنما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم) عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فانزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هل فاسمع ما فى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره أنى قادم عليه فذهب وأخبره فاقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فامره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داوأذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعادفان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لا بليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جوار به عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فاجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب * وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه

فاذا

فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * مافى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك . وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد على ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل فى الشوك وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصى * (أصل الغناء ومعدنه) * قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى فاشياظاهرا وهى المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك ابن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون اليمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الرؤساء﴾

(قيل) ان أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام هذا البيت

قد برانى الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور
فلا تشرب بلا طرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا في الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول في ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلي قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغني كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان . وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية ان تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليه ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فامر له بمائة ألف درهم . وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلي يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الايام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج ينظره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمر كما به لانكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفاه في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بابي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم انك ماسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن ما ئة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه وأعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا

عليه

عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها قطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق . وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله ابن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فررت بباب أبى عيسى ابن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى استفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى يا عيش من يحتشم اجلس فجلست فاتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع فى زجاجة كانها كوكب درى فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودينس ورقيق ولم يكن فى ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدرشاز به
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
* كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دينس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعنى * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يادير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فانى لست بالصاحى

ثم سكت وغنى دينس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كانها دمعة فى جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لاتحفلن بقول اللائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لالاؤها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

ياجنة الدمع هل للغمض مرجوع * أم السكرى من جفون العين ممنوع
ماحيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لاوالذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ماأرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالايحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أباعيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فاذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ماتراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ماأصبت به أهلى
* خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد مايبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا اعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به فنسخر به فدعانى فصرت اليه ولم يعرفنى فغنت

احدى الجاريتين بصوت هولى فاخطانه الجارية فقلت لها أخطات ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع مايقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتركذا وتركذا ففعلت وغنت شيأ ماسمع منها الافى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاتم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فامر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى برأ ستاذى فقال الوليد ذلك اليك فخلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هولك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فارادت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم مانرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فبعنى اياه فعوضنى عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتنى العقد ياأمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائى فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم . وقال على بن سليمان النوفلى غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فانشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالدير بن يومافاشرفت * بنات الهوى حتى بلغنا التراقيا
اذاماطواك الدهر ياأم مالك * فشان المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن على قال أتمنى الهنىء والمرىء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار فى كل سنة فامر له بهما فقيل له ياأمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا فى شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضى بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا ياأمير المؤمنين فى اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ماحكى اسحق الموصلى قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغنى بها شعره وشعر غيره فقال له يوما ياأبا محمد لقد فقت أهل العصر فى كل شئ فغنى شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومى هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم مافى البين من حرق * حتى تنادوا بان قد جىء بالسفن

قامت تودعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الى وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * ياليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لى بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودعينا ياسعاد بنظرة * فقد حان منا ياسعاد رحيل
فياجنة الدنيا و ياغاية المنى * وياسؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ماجئت جئت لعلة * فافنيت علاتي فيكف أقول
فما كل يوم لى بارضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لاسمعت يومى غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة ما أمر لى قبلها بمثلها

(ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ماحكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فاتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرنى فى الميعاد فمازلنا فى أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فاكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا يومنا ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فاذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا فى ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة مالا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما فى أيدينا وقمنا اجلالا له فقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان باسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عنى فانه شئ والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها لك مكافاة لك على ما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين بعض تغير على فسأله الرضا عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال جعفر هى حاضرة لك من مالى ولك من مال أمير المؤمنين

مثلها

منلها قال وأريد أن أشد ظهر ابنى ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين
بابنته الغالية قال وأحب أن تحفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف
عبد الملك بن صالح و بقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن
يجيبه أمير المؤمنين الى ماسأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد
بكرت الى باب الرشيد لانظر مايكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعى بابى يوسف
القاضى ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد
وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من فى القصر معه الى بيت عبد
الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك
ابن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه
قال كيف كان يومك ياجعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن
صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ماسألك قلت سألنى رضاك عنه يا أمير
المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان
عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه
ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد
زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تحفق الالوية
على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك
من ساعته قال ابراهيم المهدى فوالله ما أدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك
ابن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع
ماحكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق . وحكى أبو العباس عن عمر الرازى قال
أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جدد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت
لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ماسمعت فقال والله لو كان عندى فرى اقريكه
لفعلت ولكنى أجعله فراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته
وأنا كسلان فانشط أو عطشان فاروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ماجئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى﴾

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال ياعلى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفى حديثها اذ جاءت وصيفة فقال يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا ياعلى ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصار منى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كانك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال ياعلى هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان . قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعنى * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لاراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى

ونكون

ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فاخذها من يدها وقال ماهذا فحلفا له انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الان العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم . وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهد ابنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت ووقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له ياسيدى الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ليلة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وماحب الكواعب من أمرى
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
* أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
* فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى ياغلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
* ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فاقسمت عمرى لاركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

﴿ومن ذلك﴾ ماحدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة خلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

(وقال) أبو سويد حدثنى أبو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع

وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا يزيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا يزيد مايطيب فى يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشربها من كفها وأمسح فى بخدها فاطرق سليمان مليا لايرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا يزيد حضرت فى يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أولتخبرنى ماأثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها لهما صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوأتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء مالايشتكى وعلاج مالايسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس واله والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا نجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أوالى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترنى ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ماأكلت طعاما طيبا الاغصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها فقال سليمان أبا يزيد كاد الجهل يستفزنى والصبا يعاودنى والحلم يعزب عنى لشجو ماسمعت اعلم أبا يزيد أن تلك التى رأيتها هى الدلفاء التى قيل فيها

انما الدلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم وهى عاشقة لمن باعها والله ان مات مايموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت نهية قم أبا يزيد فى دعة الله تعالى ثم قال ياغلام نفله ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الدلفاء اليه فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر

ما

ما بين أصفر فاقع وأحمر قانى وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فامره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان فى أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان فى مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتى فارقها * من آخر الليل لما نبه السحر
فى ليلة البدر مايدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها الطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوى على قدم * تكاد من لينها فى المشى تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله فى نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

قال سليمان دعينى من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملنى على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وأن الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) أن الرشيد قصد يوما فارسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جيلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

قصدت عرقا تبتغى صحة * ألبسك الله به العافيه

فاشرب بهذا الكاس ياسيدى * واهنأبه من كف ذى الجاريه
* واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها فى الليلة الآتية *

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التى جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطأ قليلا * على الرغم منى فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه فى حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة . وأهدى داود بن روح المهلبى الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه اصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لانهجرن حبيبا خان موعده * ولاتذمن وعدا فيه تأخير *
ما كان حبسى الا من حدوث أذى * لايستطاع له بالقول تفسير

قال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * درا بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لاحسب لها فنقشت على خاتمها حسبى حسنى فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتى من يدى * أبكى عليها آخر الابد *
كانت هى الانس اذا استوحشت * نفسى من الاقرب والابعد
* وروضة كان بها مرتعى * ومنهلا كان بها موردى *
كانت يدى كان بها قوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

(وللمتوكل فى قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فاحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البرقال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة

رجل

رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فارسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أضحك الله انك لفي لذتك ولالذة لي قال ومالذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فامر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الايمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما ياحبيبتي أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

رحضت فؤادي خليتني * أهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه والله أظنهما ما فهمتا عني وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال ياحبيبتي أين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خرجت لها من بطن مكة بعدما * أقام المنادي بالعشي فاعتما

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه لم يفهما عني وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال ياحبيبتي أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنياني

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنياه الصوت فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم لم يفهما عني وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال ياحبيبتي أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خلا لي بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعاني الحزن

قال فغنياه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال ياحبيبي أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

أوحشوني وعز صبري فيهم * ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما ياحبيبي أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت أكثر افتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسألني أن تغني له

تكنفني الهوى طفلا * فشيبني ولا اكنهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما يازانيتان ان لم تعلماني به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي أعز علي من وطائك وقيل

انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفني الملاح وأضجروني * على مابي بنيات الزواني

فلما قل عن ذاك اصطباري * قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله (وقال) على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

قالت تأتى من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف ان تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الارض . وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لايشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها فى بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جارية فلانة فاقلقنى الشوق اليها فعسى ان تغنينى شيأ فى معنى ماذكرته لك فاطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحى طائر فاطير

فما لنعيم ليس فيه بشاشة * وما لسرور ليس فيه سرور

وان امرأ فى بلدة نصف قلبه * ونصف باخرى غيرها لصبور

والحكايات فى معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ماقل وجل خير من كثير يمل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمدنى منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق ومافى معنى ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى وصف العشق﴾ قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابى العشق خفى أن يرى وجلى أن يخفى فهو كامن كمون النار فى الحجران قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق

العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها و يقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بنى الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس

اذا شق بردشق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابى مابلغ من حبك لفلانة قال انى لاذكرها و بينى و بينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شيبب أخو بثينة جيلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شيبا أتى مكة وجيل فيها فقيل لجيل دونك شيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا ياجيل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحدادى يقول

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لايبقى ولايذر

وفى الجليس الانيس لابى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه . وقال ثمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفى فى القلوب مسلكه . وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان و يفتح جبلة البليد والبخيل و يبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم و يدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس مسىء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه و يعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له مايغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ماصيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو

لايهدأ الابها ولا يتشاغل الابها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بابى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فاعلمه أن ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنبه وتهجره فان استعلمها أعلمته انها لا تصلح الا للملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك ففعل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بادبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه وسره أن يرفع أمرها الى و يسألنى ان أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بابيها وزوجه اياها وأمر بتجهيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق باخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته بصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به ﴿وكان﴾ عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فاقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية . وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانى قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المرر بابها * وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * خطايا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال

وقال عمر بن أبي ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذري يقول

لوخز بالسيف رأسي في محبتها * لطار بهوى سريعا نحوها رأسي

وقال يحيى بن معاذ الرازي لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

﴿الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف﴾ روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم . وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي أن تنادي في الموقف بقولي

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الي فقال أنا الزاد فضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاء كما يقتصر على هذا فقالت أمسك ياهذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فتقنعني * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا تيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال بعض بني كلاب

ان أكن طامح اللحاظ فاني * والذي يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * واذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت ومافي القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوله فانزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره . وكان عمر بن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد . ودخلت بثينة على

عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الى بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيته في عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له * مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين في الجزء الاول فيما جاء في الكتابة على سبيل الرمز . وعن أبي سهل الساعدي قال دخلت على جميل و بوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اي والله فمن هو قال انى لارجو ان أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسي بريبة قط . وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغي الى نفسها و بذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا أبى ونستدينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر)

وأحور مخضوب البنان محجب * دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

(وقال ابن ميادة)

موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان في الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

(وقال آخر)

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحبين من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان

وكان الاصمعي يستحسن بيتي العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر

لايظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدي في هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها في الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهي قائمة على رأسه

ياغزالا اليه * شافع من مقلتيه أناضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي اليه فاعلميه أني قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فاكبت عليه فقال لها كفي فلست بخائن فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم

فلا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم *

(وقال آخر)

يقولون لاتنظر فذاك بلية * بلى كل ذي عينين لابد ناظر

وهل يا كتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفي مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ماذاك لحني ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وان أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يامولاي تنشد الشعر أفنسيت ماندرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسليت حينا

أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا

بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا

فقلت شكا الي أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا *

وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هى خمسة أبيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين فى الحلال • وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فاعجبنى حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت ياهذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحباك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدنى العام الاول بالاجتماع فى هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هى تكلمنى اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لاحسبه اياه فاقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فانشدها فقلت فى نفسى محبان قد طال التنائى بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيرى لاشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسامرنا فقال لى أقلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسى هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هى العفة فى المحبة • وعن محمد بن يحيى المدنى قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه و بعدها وتعده فان التقيا لم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها و يجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة • وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا القبلة * وغمز كف وعضد

ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا

يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينخلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى أمتعنى بحبها وأشقانى بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى لثمها وأعصى الشيطان فى اثمها ولا أفسد عشق عشر بن سنة بما يبقى ذميم عاره و ينشر قبيح أخباره انى اذن للئيم لم يلدنى

كريم

كريم . ومر سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبى خليل الاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربى والحياء يعفنى * واكرام بعلى أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضى الله تعالى عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فامر عمر رضى الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ماذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج

تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فاخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كانهما شقتا قمر فقال اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر الهاشمى فدست اليه المرأة أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى

ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا قفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة بن غزوان فاقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج

بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * ومانلت من عرضي عليك حرام
فاصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتسين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهانان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق﴾ حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فاخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن يناهم خيرا مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فاذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فساله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلي الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها أن تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فاعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فامر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
ادعو الى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فامر لها ففغنت وشرب يزيد وشربت الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فلثت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرلها ياأمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عودا راكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجانى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فامر لها ففغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فلثت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمر لها ياأمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا أسلوكمو أبدا * مالاح بدر أو بدا فجر

فامر لها ففغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ماحاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه ياأمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت . وحكى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة بسامره فتذاكروا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأمر ما مر لك فى هذه الاغانى وما رأيت من الجوارى قال نعم ياأمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى ببيع ولا هبة فامسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائز نافذ كرت لى أن بعض أعراب المدينة يحبها ويحبه ويراها وتراه وأنه يجىء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها فى تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فاصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا

فركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات

• وذكر محمد بن واسع الطيني أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون ابهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه أني أشتري له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فاما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت لخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهز واوخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فاتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

امكتوم

أمكتوم عيني لاتمل من البكا * وقلبي باسهام الاسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

(فاجابته تقول)

لو كان حقا ماتقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه فاخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين مابال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشا يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا *
مقرا بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا *
فان تقتل ففوق القتل ذنبى * وان تعفو فمن جود عليا *

فقال عبد الملك يافتى ماحملك على ماصنعت استخفافا بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ماهو الا هوى الجارية فقال هى لك بما أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نهضوا فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله تعالى عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فاخرجنى اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والباس قال فجدنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا لكن تدار كنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابى بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له ياغلام انعزل عن النساء فصاح صيحة من عجمة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فملك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل علي فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفلقت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الهك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فاخترطت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فباركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام والجارية فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة ابن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينا أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها *

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطي ء وطعام

غير

غير بطيء فنزلت فنزع شملته و بسطها تحتى ثم أتانى بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرنى فى هذا الوقت فقلت والله ان هذا لخير كثير فمال الى فرسى فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فانى لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شئ واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادى فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومازال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربى ولعلها حرمة له فتناومت ومابى نوم فما زالا فى أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لايهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء و بكى و بكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لاتبطئى عنى كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت أنى أنتظر الواشين والرقباء حتى ينامو أم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر و يبكى فبكيت رحمة لهما وقلت فى نفسى والله لأنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلنى الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد نالنى أمس تعب شديد فاحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندى بقية عمرك ماوجدتنى الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فاججها وشواها وقدمها الى فاكلت وأكل معى الا أنه أكل أكل من لايريد الا كل فلم أزل معه نهارى ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالولهان ولم أعلمه بشئ مما رأيت فلما أقبل الليل وطات وطائى فصليت وأعلمته انى أريد الهجوع لما مر بى من التعب بالامس فقال لى ثم هنيأ فاظهرت النوم ولم أنم فاقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فابطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فاوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها الذى تاتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم أنشا يقول

مابال ميسة لاتأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل

نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشا يقول

* ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جريت حقا لك الشرا

وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنانى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وأنا ألاطفها الى أن أقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن

فمزق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى (ومن ذلك) ما حكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت ياجمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حييتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك ياجمل

لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الا دلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمى قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادى هائما مخبولا

لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا * حتى أودع قلبى المتبولا

ساروا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أنى بالبيت الحرام لاصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم توادعا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا النطلق عزة من زوجها وتزوجها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم انه مال ليستقى راحلته من حى بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحى فقال يا ابن أخى أرأيت فى طريقك شيأ فراعك قال نعم ياعم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلى فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لااله الاالله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ماهذا اليوم ياسيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدى لا دردره * وأزجره للطير لاعز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه و يطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * و بانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد ﴿وحكى الاصمعى﴾ قال بينما أنا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيامعشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها * وأفواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أفواهها فقالت يا هذا انه ابن عمى هويتنى فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فأنشد بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لاندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما الامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الشعر﴾ قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تفلقلت بالهم الذى فلقل الحشى * فلا قل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسب ما بوب أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز ابن

ابن أبي الاصبع الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب . ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر (ابن نباتة)

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل *
وبيض رقاق من جفون فواتر * وسمر دقاق أم قدود قواتل
وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف مني الحشى والمقاتل
بروحي أفدي شادنا قد ألفته * غدوت وبي شغل من الوجد شاغل
* أمير جمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل *
له حاجب عن مقلتي حجب الكرى * وناظره الفتان في القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع بجرى فهو في الخد سائل
شكوت فما ألوى وقلت فما صغى * وجد بقلبي حبه وهو هازل
* طويل التواني دله متواتر * مديد التجني وافر الحسن كامل
* أطار حه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلي وهو مفعول باطوى * وينصب هجري عامدا وهو فاعل
تفقهت في عشقي له مثل ماغدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل
فيا مالكي ماضر لو كنت شافعي * بوصلك فافعل بي كما أنت فاعل
فاني حنيفي الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغي وان قال قائل

﴿ كمال الدين بن النبيه ﴾

الله أكبر كل الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافترمبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في جنى فمه أو ريقه الشنب
* كأنه حين يرمي عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
ياجاذب القوس تقريبا لو جنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمي ويلثمها سهم من الخشب

من لى باغيد قاسى القلب مبتسم * لاعن رضا معرض عنى بلا غضب
فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
* تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب *
أشار نحوى وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ماجليت * فى حجرة الدن أو فى قشرة العنب

(البها زهير)

يعاهدنى لاخاننى ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبى لايزال ودأبه * فيامعشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلنى يقول نعم غدا * ويكسر جفناها زنانى ويعبث
وماضر بعض الناس لوكان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاى انى فى هواك معذب * وحتام أبقى فى الغرام وأمكث
فخذ مهجة روحى ترحنى ولاأرى * أموت مرارا فى النهار وأبعث
فانى لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله محدث
أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظن الناس فى فاكثروا * أحاديث فيها مايطيب ويخبث
وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من أراد ويبحث

(النابلسى)

ما كنت أعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لى للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى أن ترى لك سيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

(أبو الحسن الجزار)

فى خده من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبى من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل الترا كيش
اذا تثنى فقلت الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت أطروش

كم ليلة بات يسقيني المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت أرجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

﴿سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء﴾

ترى مني من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لي خصره المضني فناسبني * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفي الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانها فيه قلبي أمره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنى غلط

﴿القاضي مجد الدين بن مكانس﴾

* أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا في سعده *
* بدر جرى ماء الحياة بثغره * وترددت فضلاته في خده *
* أسكنته قلبي فأعدت خده * نيران أحشائي عليه ووجده *
* من لي به حلو الشمائل أهيف * روت العوالي عن مثقف قده *
يا عاذلي في حبه لو أبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت أن ضلاله في رشده
فوحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده
ما جاد غيث الدمع الا من هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يا رسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدي في الهوى * خبري فصف فعل الغرام وأبده

﴿عز الدين الموصلي﴾

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * باي ذنب وقاك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت * ما قدمت من أسى قلبي وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان في تلفي * والسحر يوهم طرفي أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس في لواحظه * أما تراها الى كل القلوب حلت

من لى بالحاظ ظبى يدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وجرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت
أما كفانى تكحيل الجفون أسى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
أستودع الله أعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
* ومهجة لى كم ألقت بمسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت *

(غيره للفاضل)

شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كف بكم قضيته
وأنا الذى لو مر بى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بايام الشباب شريته
لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كلفى عليه تخلصا * لا والذى بطحاء مكة بيته
ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

(للشيخ بدر الدين الدماميني)

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور * وهو مازال من قديم عليلا
مر أبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كانه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدى * فيه ياعاذلى مد يدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

(وقال آخر)

لوان قلبك لى يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أننى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم
ياجامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ماتتكلم

ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

(وقال آخر)

تصدق بوعدان دمعي سائل * وزود فؤادي نظرة فهو راحل
خدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر)

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر)

وغزال كل من شبهه * بهلال أو بدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فيه * قد تعديت وأسرفت فمه

(وقال آخر)

بابي غلام لست غير غلامه * مذ جادلي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجري مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
خذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل في شرع الغرام وما غوى
وبمهجتي رشأ أطالت عذلي * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتي سوى
ما أبصرته الشمس الا كنست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروي الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

(وقال آخر)

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
* رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا *
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

(وقال غيره)

ياحسنا مالك لم تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعني عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * وياذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندى سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر)

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)

دنا هاجرى نحوى بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا
فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى * وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا
شكوت فما ألوى وولى ومالوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضا)

بانى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فاجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتق

حتى

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عني وكان معانق
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بان أراك مفارقي

(وقال ابن نباتة)

بداورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنادرا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لاني * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا
ساشكو الحسن ما بقيت حياتي * وأشكر من صنائعه الجمالا

(القاضي فخر الدين بن مكانس)

ياغصنا في الرياض مالا * حملتني في هواك مالا
يارائحا بعد أن سباني * حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا)

أجارك الله قد رثت لي * مما ألاقي عدا وحسد
وعاذلي مذ رأى ضلوعي * تعد سقما بكي وعدد

(ابن رفاعة)

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قده وما * يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

ووردي خد نرجسي لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودي له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا

ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشائى على حبة انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطى أيضا)

شبه السيف والسنان لعينى * من القتلى بين الانام استحلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وقال أيضا)

بانى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذوجفون مذرمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

﴿وقال آخر﴾

تملك رقى شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(ومما قيل فى الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديرى)

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب
وذكرها أنس روحى وهى ثانية * والقلب مازال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلنى * ولا لواش خلى بات يلعب بى
عذابها فى الهوى عذب ألذبه * ومر هجرانها أحلى من الضرب
فان نأت أودنت وجدى كما علمت * تشيب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فامر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

﴿وقال عفا الله عنه﴾

سقى ظلل حلته سلمى معاهد * وحيا من دمعى مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فاعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عنى ولم أزل * ويقظان طرف البين عنى راقد
وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد
وكم قد مرجنا فى مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
تجر ذيول اللهو فى قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد

ولم

ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فيما تعاند *
فهل أنت ياسلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لى أم حاد بالقلب حائد
* وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى * وقولك لاعاش الخؤون المعاهد
وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقينى بالوفا منك شاهد
وانى ما بدلت عهدك فى الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمرى وجدى بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كونى انى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندى الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقاد زمامى نحو حبك قائد *
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد
وجل منائى القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

(وقال عفا الله عنه)

* تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد *
وتحلف لى لتلبسنى سقاما * تهى جلدى به وتذيب جلدى
وترمينى بنبل من جفون * فتضنينى وتصمينى وتردى
* وتحرقنى بنار الصد حتى * تذيب حشاشتى كمدا وكبدى
فقلت لها ودمعى فى انسكاب * يفيض دما على صفحات خدى
ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكرنى هواك ولو بصد

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميرى * ووجدى فيك أيسره عذابى
ومالك عن سواد العين يوما * وما لسواد قلبى من حجاب
وما اخضرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دار اشط عنا مزارها * وأنحلنا بعد البعاد ادكارها *
وعوجا باطلال محتهايد النوى * فاظلم بالنأى المشت نهارها *
فقدنا بهار يما من الانس ان رنت * بمقلتها يصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
* وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حجلها وسوارها *
منازلها منى الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففى القلب دارها
يمثلها بالوهم فكرى لناظرى * وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها
* وهيج دمعى حر نار صبابتى * وما خمدت بالدمع منى نارها *
وساعدنى بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعينى فاضت بالدموع بحارها

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله المستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى * بلطف وقل عن حال صبك سائلى
فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبور اعلى حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلى
الا ياسليمى قد أضر بى الهوى * وهاجت بتبريح الغرام بلابلى
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى
كتمت غرامى فى هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعى برسائلى
سليمى سلى ما قد جرى لى من النوى * فقد عادلى حال له رق عاذلى
لعل نجودى للكثيب وتسمحى * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى

عسى

عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى * فبالسقم أعضائى وهت ومفاصلى
خفيت عن العواد لولا تاوهى * وعظم أنينى لا يرانى مسائلى
فرقى فقد رقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل
فما آن أن ترضى على وترحمى * ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى
توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل *

﴿وله رحمه الله تعالى﴾

ياربة الحسن من بالصد أوصاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
ويافتاة بفتان القوام سبت * من فى الورى ياترى بالقتل أفتاكى
لقد جننت غراما مذ رأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلا حزينا لم يزل باكى
عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهل ترى تسمحى يوما برؤياكى
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكى *
ما آن أن تعطفى جودا على فقد * أضحى فؤادى أسيرا لحظ عيناكى
ماكنت أحسب أن العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل أهواكى *
حتى تولع قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبدك جودا واعطفى وذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
ياهند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت ياهند ما اقساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثى * وأنت ياهند لا ترثى لضناكى
والله لو مت ما أسلاك يا أملى * ولو فنيت غراما لست أنساكى

﴿وقال آخر﴾

كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير أمام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول
وقائلة لى كيف حالك بعدنا * لتعلم ماهذا اليه يؤول *
فقلت لها قدمت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلى طال هما فأنشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمى لم يزل مسترجفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل

فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * بيوم وداع ما اليه سبيل *
قلعت عينى فى هواك بأصبعى * لكيلا أرى يوما على ثقيل

﴿وقال الواوالدمشقى عفا الله عنه﴾

يامن نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سهادى
* فبأى ذنب أم بأية حالة * أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى
وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشا وقيادى
ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا * قلبى أسيرا ماله من فادى *
لاغروأن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآسادى
يامن حوت كل المحاسن فى الورى * والحسن منها عاكف فى بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقر فى الاغماد
* وتعطفى جودا على بقبلة * فبميم مبسمك شفاء الصادى
ماتت أطال الله عمرك سلوتى * ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لو دام لى فيك الضنى * ياحبذ الأراك من عوّادى
وأجيل منك نواظرى فى ناضر * من خدك المترقرق الوقاد
وأقول ماشئت اصنعى يامنيتى * مالى سواك ولو حرمت مرادى
الامديح المصطفى هو عمدتى * و به سألقى الله يوم معادى *

﴿وقال البهاء زهير﴾

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوّق
وفوق سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتى بحار بالجوى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففى القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

(مجنون ليلى)

وقد خبرونى أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا ستنقضى * فما للنوى يرمى بليلى المراميا
* أعدّ الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعدّ اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

يمينا اذا كانت عينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلي لا والله لا أملك الهوى * اذا علم من أرض ليلى بداليا
خليلي لا والله ألا أملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
* قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا *
ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو انه * يزادها في عمرها من حياتيا
على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

(وقال آخر)

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سمته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

﴿كمال الدين بن النبيه﴾

أما وبياض يمسك الثغر * وسمرة مسكة اللعس الشهي
ورمان من الكافور تعلو * عليه طوالع النهد الندي
* وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلي
لقد أسقمت بالهجران جسمي * وأعطشني وصالك بعد ري
الى كم أكتم البلوى ودمعي * يبوح بمضمر السر الخفي
وكم أشكو للاهية غرامي * فويل للشجي من الخلي

﴿صفي الدين الحلي﴾

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء
أحييت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * درر بباطن خيمة زرقاء *
أمست تعاطيني المدام وبيننا * عتب غنيت به عن الصهباء

آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى
أمصيبة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته اسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء *

(وله رحمه الله تعالى)

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى
قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وما حل البياض بمفرقى
قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المنع والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينق
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذمى أفعاله وترفقى *

(وقال عفا الله عنه)

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جورية الخد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج
جادت لعرفانها أنى المريض بها * فما على اذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * والصمت فى الحب أولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة)

رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى فجاد لنا * وكان أبخل من تموز بالمطر *
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت * والبدر ساه اليها سهو معتذر

رايت

رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحيا من مقبلها * اذ نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فحانظرت * من يرشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

(وقال ابن الساعاتى)

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر)

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(الواوا الدمشقى تضمين)

قالت منى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * ورد اوعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة)

عزولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر)

ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
* حديثى عال فى السهاد لانى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

﴿السراج الوراق﴾

* ياالامى فى هواها * أسرفت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال آخر)

وعدت أن تزور ليلا فالوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلى)

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفتن

ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

(وقال آخر)

قالت وناولتها سوا كا * سادبفيها على الاراك
سواى ماذاق طعم رقى * قلت لها قد ذاقه سوا كى

(وقال آخر)

سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

(ابن نباتة)

وملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال أبو الطيب المتنبى)

يأبى الشموس الجانحات غوار با * اللابسات من الحرير جلابيا
الناهبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن من الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
و بسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسى فكنت الذائبا
ياحبذا المتجملون وحبذا * وادلمثت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن أنشبن فى مخالبا

(وله أيضا من جملة قصيدة)

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عناظلت أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم

(الشريف الرضى)

وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر وممسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضى * قالت روادفها اقعدى وتمهلى
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودى وقال دلالها لاتفعلى

(ابن اسرائيل)

وعدت بوصل والزمان مسوّف * حوراء ناظرها حسام مرهف

نشوانة خصباء منهل ثغرها * در وريقتها سلاف قرقف
وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لاتحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوّف
يابانة قد أطلعت أغصانها * ورداجنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكى الغزالة وجهها * و يعيرناظرها الحسام الاوطف
ماتأمرين لمغرم تسطوبه * أجفانك المرضى ولاتستعطف
قسما بوجهك وهوصبح مشرق * وسوادشعرك وهوليل مسدف
و بهز غصن البان منك على النقا * مالى الى أحد سواك تشوف

(ولنذكر) ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولاترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البديرى)

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أنى بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفى ضرام فى الحشا وهيب
وكان هيامى والهوى وصبابتى * لمن هوفى الاولى الى حبيب

(وله فى المعنى)

تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقلت فاها مبرد الصبابتى * فأضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

(وقال أيضا)

سالت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لالكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * و يعتاد المحب تغيرات *
فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود و بالتجنى * وتنحلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولاتك ذا الجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار)

يقولون هذى أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء

ألا انما قرب الحبيب و بعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

(وقال غيره)

وقالوا بع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف آمن الجديدا

(وقال آخر)

لم أنس ان قلت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم *

(وقال آخر)

* أمن المروأة ان أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسى بدموعى
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع *

(وقال آخر)

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالى من يديه خلاص
جرحت عينى خده وهو جارح * بعينيه قلبى والجروح قصاص

(وقال آخر)

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب ومايقول فأعجب
* حتى رميت بحلوه و بمره * من كان يتهم الهوى فيجرب *

(وقال آخر)

سألتها التقبيل من خدها * عشرا ومازاد يكون احتساب
* فقد تلاقينا وقبلتها * غلطت فى العد وضاع الحساب *

(وقال آخر)

يامن سقامى من سقام جفونه * وسواد حظى من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

(وقال آخر)

صبحته عند المساء فقال لى * تهزا بقدرى أو تريد مزاحا
فاجبته اشراق وجهك غرنى * حتى توهمت المساء صباحا

(أبو عبد الله الغوّاص)

من عذبرى من عذول فى رشا * قامر القلب هواه فقمر

فر

فمرلم يبق منى حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

(وقال آخر)

جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عنى بقلب العقرب

(وقال آخر)

لومت من كثرة الاشواق وانبداد * مدامعى بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا لا ولا نظرت * عينى لغير محيا وجهك القمر

﴿ابراهيم بن العباس﴾

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى * ويشرع قلبى اذ يهب هبوبها
* قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(وقال النوفلى)

اذا اختلجت عينى رأت من تحبه * فدام لعينى ماحييت اختلاجها
وماذقت كأسا مذ علقت بحبها * فاشربه الا ودمعى مزاجها

﴿وقال آخر رحمه الله تعالى﴾

ياذا الذى زار ومازارا * كأنه مقتبس نارا
قم بباب الدار من تهوه * ماضره لو دخل الدارا

(وقال آخر)

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

(ابن نباتة)

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوالعصر ان العاشقين لفى خسر

﴿أمين الدين بن أبى الوفاء﴾

يانازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب مقيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر)

ياعاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجبي)

ملأت فؤادي من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبي رائغ
وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

(وقال ديك الجن)

ولي كبد حرا ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبي قطاة تذكرت * على ظمأ ورد افهزت جناحها

(وقال عبد الله بن طاهر)

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس في الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر)

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لا ملالا ولا لتجنب *
لكن خشيت بان أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتقادبي

(وقال ابن المعتز)

هب لعيني رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التي * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

(وقال آخر)

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

(وقال آخر)

ولي فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

(وقال آخر)

وما هجرتك النفس يا مي انها * قلتك ولا أن قل منها نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

(وقال المحاربي)

اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب

ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بانضج من كى العضى المتلهب

﴿وقال الاقرع بن معاذ﴾

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أمتائم التى * أضر بجسمى منذ مرخيالها
فقال بلى والله أو سيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر)

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ماضر لو بوصال منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * مابال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

﴿وقال عبد الله بن أبى الشيص﴾

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كانى قد قتلت لها قتيلا * فمامنى بغير الهجر ترضى

﴿وقال الحسين بن الضحاك﴾

بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننته ذلك المعشوقا

(وقال آخر)

وأجيل فكرى فى هواك بحرقة * من غير قلب صادق
أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

(وقال آخر)

ياويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يتيه
أنظر الى جسدا أضر به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر)

تقول العاذلات تسل عنها * وداوعليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشمامة بالعدو

﴿وقال اسحق مولى المهلب﴾

هيبني يامعذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فان الفضل منك فدتك نفسي * على اذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية)

يقول أناس لونعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيني قليل مفوت
اذا اشتد مابي كان أفضل حليتي * له وضع كفي فوق خدي وأسكت

(وقال بشار)

ياقرة العين اني لا أسميكي * أكني باخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أوسهم غيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * بالله لاتجعليها بيضة الديك

﴿وقال آخر﴾

ألم تعلمي ياأحسن الناس أنني * أحبك حبا مستكنا وباديا
أحبك مالوكان بين قبائل * من الناس أعداء لجر التصافيا

﴿وقال آخر﴾

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فادزكاة منظرك البهي
وذاك بان تجود لمستهام * لرشف من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لازكاة على الصبي

﴿وقال آخر﴾

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغرك الهنا في روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

﴿وقال آخر﴾

ألم تعلمي ياعذبة الماء انني * أظل اذا لم اسق ماءك صاديا
ومازلت بي يابين حتى لو انني * من الوجد استبكي الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بابي شجاع)

لاعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما
ولاهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هي أوقعتني في حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلاسفحن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

(وقال العتبي)

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم *

(الرفاء الاندلسي)

ومهفهف كالغصن الا أنه * تتحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكامل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

(وقال آخر)

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف * كان نسرين وجنتيه
بشعر أصداغه مغلف * يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

(وقال آخر)

مازال ينهل من صرف الطلا قرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فعائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناقي فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق *
وقال لي بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت في عنق *

(وقال آخر)

أركان هذا البيت انى لطائف * وفي الكون أسرار وفيه لطائف

رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف
وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى * يريد امتحاناتى وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فيا ذهبى اللون انك حائف

﴿وقال آخر﴾

أسنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكأس من أعمالى
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

(ومما قيل فى الرقباء)

لو أن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الامر فى التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

(وقال اعرابى)

بسهم الحب كم فى فؤادى * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
* ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

﴿وقال آخر﴾

من عاش فى الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب *
عين الرقيب غرقت فى بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

(وقال أحمد بن أبى سلمة)

يعذلنى فيه جميع الورى * كأننى جئت بأمر عجيب
أظن نفسى لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب

﴿وقال آخر﴾

وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

﴿وقال آخر﴾

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل ألف * اذا بانت حبيبته بكاها *

﴿وقال آخر﴾

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها ياعلوه هذا الذى بقى

ألم تعلمي أن البكى طال عمره * فشابت دموعى عند ماشاب مفرقى
وعما قليل لادموع ولادما * ولم يبق الالوعتى وتحرقى

(وقال آخر)

ولم أرمثلى غار من طول ليله * عليه لان الليل بعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال آخر)

رجوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

(وقال آخر)

ياناز ح الطيف من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بادمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

(وقال آخر)

ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياما جرى

(وقال آخر)

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

(وقال آخر)

ان عينى مذغاب شخصك عنها * يامر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر)

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جرت قلت لاتتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

(وقال البدر الذهبى)

قالوا تباكى بالدموع ومابكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فاجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

(وقال ابن مطروح فى الغيرة)

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

(وقال آخر)

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو انى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

(المظفر بن عمر الآمدى)

قل للذين جفونى اذ هجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(وقال غيره)

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضى)

* عللانى بذكركم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر)

قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ما حق طرف هدانى نحو حسنكم * أنى أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلى)

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر فى أولى تسايره
كأنما أدهم الظلماء حين بجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

(وقال آخر)

ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الا ان الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره)

فلم

فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

(وقال آخر)

ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(وقال آخر)

* ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره)

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عينى فيه دمع وسهر
* كلما هيج ليلى حرقى * صحت يا ليلى أما فيك سحر

(وقال آخر)

يا ليل طل أو لا تطل * لابد لى أن أسهرك
لو بات عندى قرى * مابت أرعى قمرك

(وقال بشار بن برد)

خليلى مابال الدجى لا يزحزح * ومابال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل اليها المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر)

كأن الثريا راحة تشير الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
و بنات نعش فى الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال آخر فى ليلة مطيرة)

أقول والليل فى امتداد * وأدمع الغيث فى انسفاح
* أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

(ومما جاء فى الاشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * خرقت حلة الظلماء باللهب *
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال درعلى مهد من الذهب
* بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
* باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كان فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غداق الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذلت عقلى صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنه العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطر بنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
* بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

(وقال أيضا)

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
نم السرور فقم بنا يا صاحبى * نستدرك الماضى بنهب الآنى
توج بكاسات الطلا هام الربا * فى روضة مطلولة الزهرات
تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار عنيمتى * وفراغ راحاتى على الراحات
تركى لاكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * وأعجب لما فيها من الآيات *
* تم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا)

حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح *
* حاش الانام وعاطنى مشمولة * ظنت فسادى وهى عين صلاحى
حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلالؤها عن المصباح *
حبب تظل به الكؤس كانها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح

حجب الحباب شعاعها فكانه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عن اطرافه * ياصاح لاتقنع بانك صاح

(وقال آخر)

قد قلت اذ أضحى بعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
* بالله ما أنصفتها ياسيدى * تاتيك باسمة وأنت تعبس

(عز الدين الموصلى)

لئن شبه الساقى المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فيزماقد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاوية)

وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقى ومغربها فمى
مدام كتبر فى اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

(وقال آخر)

* كان الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا فى الروض تملى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر)

* فكانها وكان حامل كاسها * اذ قام يحلوها على الندماء *
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم)

صدح الديك فى الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدرى من رقة وصفاء * هى فى الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم ياغلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فاسقنى * ماضل فى الظلماء من قدح القدح
صباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الانهلل وانشرح *
* لله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هى صفوة الكرم الكريم فاسرت * سراؤها فى باخل الاسمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار وافتضح

(وقال غيره)

وليلة أوسعتني حسنا وطوا وأنسا
مازلت ألثم بدرا بها وأشهد شمسا

(عبدالله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى فاولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(وقال ابن تميم)

وليلة بت أسقى من غياهبها راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس)

نزل الطل بكرة وتوالى تجددا والندامى تجمعوا فاجل كاسي على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازي)

كاسنا ياصاح صرفا جليت بين الندامى لم نجد ماء لمزج فقنعنا بالندامى

(صفي الدين الحلي)

كيف لا تخضع العقول لديها وهي سلطان سائر المسكرات
ألفوا في الكؤس اذ مزجوها بين ماء الحيا وماء الممات

(غيره)

صبها في الكاس صرفا غلبت ضوء السراج ظنها في الكاس نارا فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن تميم)

نديمي لا تسقني سوى الصرف فهو الهنى ودع كاسها أطلسا ولا تسقني معدني

(تقي الدين بن حجة)

حيا بها عاصرها في كاسها مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذي تحفة في عصرنا قلت اسقنيها يا امام العصر

(أبو الطيب المتنبي)

ياصاحبي امزجا كاس المدام لنا كما يضيء لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ما نديمي هم يشربها أخشى عليه من اللألاء يحترق

لو

لوراح يحلف أن الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر)

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم

ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر)

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى

اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين بن المعمار)

باكر لكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه

واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنابه *

(جولان العاذلى)

اذا ما الخمر فى الكاس صبت * رأيت لها شموسا فى بروج

وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)

يامن يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا

ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخسر لا قدرا ولا حطبا

(وقال أيضا)

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر

لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر

ترنو اليك من الحباب باعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره)

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقنا بتصريح

هذا من الحى للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

(وقال غيره)

عابوا على مداما * أخرتها الصبوحى واستنكروها وقالوا * تخللت قلت روحى

(وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق)

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا

فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكى
وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

(وقال آخر)

ياليلة جمعت لنا الاحبابا * لوشئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا رقرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كان بنانها * من فضة قد قمعت عنابا

(وقال آخر)

أماترى الغيث كالباكى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فديتك نشكو مانكابده * من الزمان ومانلقى الى القدح

(ابن نباتة)

أماترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم رق فامتنعا *

(ومن شعر عضد الدولة)

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * وناری بين نارنجى وراحى
فشمومى ومشروبى وناری * وثلجى والصباح مع الصباح
* طيب فى طيب فى طيب * صباح فى صباح فى صباح

(ابن وكيع)

وصفراء من ماء الكروم كانها * فراق عدو أو لقاء صديق
كان الحباب المستدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

(وقال آخر)

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

(وقال آخر)

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال

وحركت

وحركت الغصون فشابهتها * قدود سقاتنا فى كل حال
فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى *
فكل جماعة لاشك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

(وقال آخر فى الشراب على الغيم)

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى أن تدعو برطل * فتشربه وتدعونى برطل

(وقال آخر)

فيابكرا كر بكرة بكركرمة * تفز ببكور باكرتك بهابكر
وداوخمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

(الصنوبرى)

لاتبكين على الاطلال والدمن * ولاعلى منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولاتبقى على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
حمرا مروقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج ينمى الى اليمن
فى ريقه عسل قلبى به خبل * فى مشيه ميل أربى على الغصن
* كأنه قمر مامثله بشر * فى طرفه حور يرنو فيجرحنى
سبحان خالقه ياويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كانها فرشت من وجهه الحسن
ياطيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)

* طاب الصبوح لنافهاك وهات * واشرب هنيأ ياأخا اللذات *
* كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب مواتى
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
* حمراء صافية توقد نورها * فحجبت للنيران فى الجنات *
* ينسل فى قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات *
* عذراء واقعها المزاج أماترى * منديل عذرتها بكف سقاتى *

يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كالساود الحيات *
لو قسمت أزراقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

(وقال أيضا)

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره *
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملا الدنيا بشائره *
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع المعنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره *
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن خل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره *
تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتاها روت آيته الـ * كبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره *
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره *
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره *

(وقال آخر)

شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعلل بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطى)

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب
جئنا الخمار وقلناله * احمل الينا جرة كى نطيب
قال زيبا قد تريدون أم * خمر افان الكل منى قريب
قلناله خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

(وقال

(وقال أيضا)

صرف الزيب لصرف همى * نص على نفعه طبيبى
* آها على سكرة لعلى * أن أخلط الهم بالزيب

(وقال)

قالوا اترك الخمر واجتنبها * لاتتعد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ماتعدى

(ومما قيل فى شرب الفقهاء)

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
و بعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بافواه الابارين *

﴿فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده﴾

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

﴿ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو﴾

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

﴿وقيل فى شجاع السكر﴾

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان *
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

(وفيه أيضا)

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز
ومن لى بحرب ليس تخمد نارها * لعمرى انى لست فيها بعاجز *
ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال فى شرب الثلاثة)

ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم مافيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا الذى * يسقى وذا بالشرب مسرور

(وقيل فى شرب الاربعة)

ألا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

(وقيل فى شرب الستة)

خير المجالس خمسة أوستة * أوسبعة وعلى الكثير ثمانية
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنية
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * وائن أتيت به فامك جانيه

(ومما قيل فى الشرب مع التجار)

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
ذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذى بعت الذراعا
وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهموا بدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب)

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل ارتعدت يداه
نديم دأبه فى الشرب أكل * فلا يبقى على شئ يراه

(وقيل فى قدح)

غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا فاضحى فى المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

(محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض أصدقائه الى الشراب)

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير
وقد صفى دنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور
ومن يرد السرور يعش هنيا * اذ العيش الهنى هو السرور
وعندى اليوم فتيان كرام * وجوههمو شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لامر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك فى الحضور فحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

(وقال آخر)

باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنا بعيش جيد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم

كأن فى كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لا صاحبتنى يدلم تفن ألف يد * ولم ترد القناجر الخياشيم *
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

(سيف الدولة بن حمدان فى ساق)

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمابين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا * على الجو كنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء باصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كاذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(ابن نباتة)

سقى وواعدنى وصلا ألذبه * عند المنام ولا والله ماوصلا
قبيله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

(وقال آخر فى ساق)

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

(وفيه لابن النبيه)

ساق صحيفة خده ماسودت * عبثا بلام عذاره وبنونه
جد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه

(فى جارية ساقية)

نديمى جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

(فيمن حبس الكاس فى يده)

قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
فاجبتهم كفوا الملام فانه * قمر ينزه طرفه فى كوكب

(وقال آخر فى مجلس أنس)

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

(صفى الدين الحلى فى عود)

وعـــود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدماوهو ريان ناعم
يغـرب فى تغـــريده فكانه * يعيد لنا ما القنته الحمائم *

(وقال آخر فى زامرة)

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعـــبر عما دوننا وتترجـــم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(ومما قيل فى فانوس لابن تميم)

انظـــر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبـدو وتلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وفيه لابن قزل)

وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

(ولبعضهم فى شمعة)

حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صـــبادونها متوجعا
ضنى وسهاد! أو اصفرار اورقة * وصبر اودمعا واحتراقا وأدمعا

ومما قيل فى الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك قال الشاعر

هـذا الربيع وهـذه أزهاره * متجاوب فى أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لى * هـــذا هواك وهـذه آثاره

(وقال غيره)

غدونا على الروض الذى طله الندى * سحيرا وأوداج الابارين تسفك
فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك

(وقال آخر)

أما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فالسماء بكاء فى جـوانبها * والـــربيع ابتسام فى نواحيها

(غيره)

* ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر

والارض

والارض لاتنجلي أنوارها أبدا * الااذا رمدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص)

أياحسنها من رياض غدا * جنـــونى فنـــونا بافنانها

مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقـــدام أغصانها

(وقال آخر)

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعـد التعانق رجعا

كالصب حاول قبـــلة من الفـه * فـرأى المراقب فانثنى متوجعا

(وقال ابن تميم)

وحـديقة ينساب فيها جـدول * طرفى برونق حسنها مدهوش

يبـدو وخيال غصـــونها فى مائه * فـكأنما هو معصم منقوش

(وقال أيضا عفا الله عنه)

لم لاأهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظـل ضافى

والزهـــر حيانى بثغـر باسم * والماء وافانى بقلب صـــافى

(وقال آخر)

قد سـعينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام

ناولتنا أيدى الغصون ثمارا * أخرجتها لنا مـن الاكمام

(ومما قيل فى الازهار والثمار) قال بعضهم فى الورد

ياراقـــدا ونسيم الصبح منتبه * فى روضة القصف والاطيار تنتحب

الورد ضيف فلاتجهـل كرامته * فهاتها قهـوة فى الكاس تلتهب

ســـقياله زائرا تحيا النفـوس به * يجـود بالوصـل شـهرا ثم يحتجب

(وقال آخر فيه)

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للـــورد أنوار وأزهـار

واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لاطـــولت للئام الناس أعمـار

(وقال آخر)

اشرب على الورد من حمراء صافيـة * شـهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تامن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر)

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

(وقال بعضهم)

ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يخنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل فى البنفسج) وقال ابن المعتز

* ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات صففن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

(وقال آخر)

اشرب على ظهر البنفسج قهوة * تهدى السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن بأثمد

(ولبعضهم فى الورد)

للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه فى المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص بدا فى خد ذى غنج

(وقال آخر)

يا مهديا لى بنفسجا ارجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بان ضيق الامور ينفسح

(وقال غيره فى النرجس)

وقضب زمرذ تعلوعليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

(وقال آخر فيه)

أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست

(وقال آخر)

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام *
* أيارب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين نمام

(وقال أيضا فيه)

لما تمادى الورد فى زهره * وراح من اعجابه يرأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل فى اللينوفر لابن المعز المصرى)

وبركة تزهو باللينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتح الاجفان فى نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب
اطبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

(وقال تميم بن المعز المصرى)

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصادنى ظبى الفلا بالشرك
فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

(ومما قيل فى البان)

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفرو الى برا

(وقال آخر فيه)

أما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

(وقال فى الشقيق)

حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فانبت خده * أضعاف ما حملت يداى اليه

(وقال آخر)

لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فانشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور)

تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان

والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هـذا هو العيش الا أنه فانى

(وقال آخر)

قد أقبل المنثور ياسيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
ثناك لازال كأنفاسه * ومن يشناك مثل اسمه

(ولبعضهم فيه)

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور اقام ونرجس * مع الحوان وصفه لايدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل فى الياسمين)

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة و يقطب
وكان مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر)

رأيت الفال بشرنى بخير * وقد أهدى الى الياسمين
فلاتحزن فان الحزن شين * ولاتيأس فان اليأس مين

(ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى)

سقيا لارض اذا مامت نبهنى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

(ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى)

أفدى الذى زارنى سرا فاتحفنى * بالحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبله * لما رأرشف من ريق له شبم

(ولبعضهم فيه)

ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند مايحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(ومما قيل فى الجلنار)

وجلنار مشرق * على أعالى شجره
كأنه فى غصنه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره

ومما

(ومما قيل فى الآس)

أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما تحكيه فى الانفاس

(ومما قيل فى الريحان)

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه أيضا)

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

(وقال آخر)

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى فى سوالف أغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما) فى الاترج قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * جلا ونشرا وطاب العود والورق

(ولبعضهم فيه)

حياك من تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
جلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر)

ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب
كانها كافورة * لها غشاء من ذهب

(فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)

ياحسن ليمونة حيا بها قمر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كانها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا ضيغ من ذهب

(وفيه أيضا)

وصاحب ناديته * والطير لم يغرد
انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد

واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قدا كتست تلهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد
كاكرة من فضة * مملوأة من عسجد

(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)

نظرت الى نارنجة فى يمينه * كحمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

(وقال آخر)

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا صيلتها الريح مالت كاكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

(وقال آخر)

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ما ترى كالصولجان
أشبهها ثديا ناهدات * علائلها صبغن بزعفران

(وقال آخر)

وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
فطالعها بين الغصون كانها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لا يدرى

(فى التفاح لبعضهم)

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

(وقال آخر فى تفاحة)

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

(ولبعضهم فيه)

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

(وقال

(وقال آخر)

وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أصولها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

(وقال آخر)

جرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

(وفيه أيضا)

أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

(وقيل فى السفرجل)

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

(وقال آخر)

سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شبه ريحها * يريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

(وقال آخر)

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

(وقيل فى الكمثرى)

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهى جاء من روح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتتلنا * مغبرة بلون الزعفران

(ابن برغش متغزلا)

وكمثرى سبانى منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر فى معنى وقد

(ومما قيل فى المشمش)

بدا مشمش الاشجار يذكوشهابه * على غصن أغصان من الروض مبيد
حكى وحكت أشجاره فى اخضراره * جلاجل تبرفى قباب زبرجد

(ماقيل فى الاجاص)

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمراناهيك من ثمر
تراه فى أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج فى خضر من الازر

﴿ماقيل فى الخوخ﴾

أهدى الىّ الصديق خوخا * منظره منظر أنيق *
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثلها دقيق
جراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

(ماقيل فى الفستق)

تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد

﴿ماقيل فى البندق﴾

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

(ومماقيل فى النبق)

وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون
كأنما النبق فيها * وقد حلا فى العيون
جلاجل من نضار * قد علقت فى الغصون

(ومماقيل فى اللوز)

ومهد اللينا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

(فى العنب لبعضهم)

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده

نوعان من عنب جا آعلى طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فابيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

(فى قصب السكر)

ورماح لغير طعن وضرب * بل لاكل ومص لب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

﴿ومما قيل فى البطيخ الاصفر﴾

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
* فشبهته بدرا يقد أهله * من الشمس ما بين النجوم ببارق

(وقال آخر)

و بطيخة وافى بها فوق كفه * اليناغلام فاق كل غلام
فخيل لى شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

﴿ومما قيل فى البطيخ الاخضر﴾

وظبى أتى فى الكف منه بمدية * وقد لاح فى خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت فى أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

(وقال آخر)

و بطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
* وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج

(ومما قيل فى القثاء)

انظر اليها أتاك يبا منضدة * من الزمرذ خضرا ماؤها ورق
اذ قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

(ومما قيل فى الباذنجان)

وكأنما الابذنج سود حمائم * أوكاره خجل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرذ سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

﴿ومما قيل فى الانهار والبرك والنواعير﴾

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس فى حافاتها طلعا

والنهر من فوقه يلهيك منظره * شـــهب سماوية فارتج والتمعا
* كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمى الى ضرب الكماة سعى

(وقال آخر فى بركة)

يامن يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
تحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * وورنق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

(وقال آخر)

وبركة للعيون تبدو * فى غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * فى الارض جزء من السماء

(وقال محمد بن سارة المغربى)

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصول تهزها الاعجاز

(وقال آخر)

يوم لقيا بالنيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما امواجه عكن * وكأنما دارانه سرر

(وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمان)

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كانهم نجوم فى المجره

(وقال آخر فى النيل)

النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعى * فى غيظ من طلب العلا
عم البلاد منافعى * وعيونهم بعد الوفا * قلعتها باصابعى

(وقال آخر)

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبد ولعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

(وقال

﴿وقال آخر﴾

وفت أصـــابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أيادى

(وقال آخر)

سدا الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطانا فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

(وقال آخر)

ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعاله فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها و يجرى

(وقال آخر فى ناعورة)

و كريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

(وقال آخر)

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

(وفيها أيضا)

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة * وأبكى بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدي

﴿وفيها أيضا قال الخطيرى﴾

رب ناعورة كان حبيبا * فارقته فقد غدت لى تحكى
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكى

(ابن تميم)

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كان نسيم الجو قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجرى وذاك يدور

﴿فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك﴾ لابن عفيف فى قاض مليح)

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنالى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

(وقال فى فقيه مليح)

وبهجتى ظبى غدا متفقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه ممطولا * لكن وجيز الحصر منه المختصر

(وقال فى محدث مليح)

* علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن
* حديثه ووجه * كلاهما عندى حسن

(وقال فى امام)

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت ان وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

(ابن الرومى فى عروضى وأجاد)

بى عروضى مليح * موتى فيه حياة
عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

(فى مؤذن مليح)

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

(لابن عربى)

و بنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكو الغرام اليه
كيف يصغى لما يقول حبيب * واضع أصبعيه فى أذنيه *

(وقال آخر فى مريد)

مرادقلبى مريد * مخبا فى الزوايا
وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا حبايا

(وفى فقير مليح)

بى فقير يتغنى * بسناوجه منير
لاتلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

فى

(فى أمير شكار لابن دانيال)

بى من أمير شكار * وجديذيب الجوارح
لماحكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

(فى مليح مغن)

أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكانما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

(فى مليح عواد)

غنى على العود ظبى سهم ناظره * أمسى به قلبى المضنى على خطر
دنا الى وحست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(فى مليح كاتب)

بروحى كاتبا كالبدر حسنا * بديعا مارأينا منه أجل *
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعى مسلسل

(غيره)

وراقناذا المفدى * فيه يزايد عشقى * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقى

(وفيه أيضا)

ياحسن وراق أرى خده * قد راق فى التقبيل عندى ورق
* تميل فى الدكان أعطافه * ماأحسن الاغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطى فيه أيضا)

فديتك أيها الوراق قلبى * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

(فى مليح صيرفى)

ياسائلا عن حالتى ماحال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
* بى صيرفى لابرق لحالتى * قدمت من جور الزمان وصرفه

(فى مليح بحاتى)

تسلطن فى الملاح بحاتى * ولا يرضى ببدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

(فى مليح فراء)

قلت لفـــرافرى أديمى * وزاد صداوطال هجرا
قد فرنومى وفرصـبرى * فقال لما عشـقت فرا

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء فى مزين)

حبى المـزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبى * بكاس راح وبطه

(فى مليح قصاص)

أشكو الى الله قصاصا يجرعنى * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسـن القص يمناه فقلتـه * أيضا تقص علينا أحسن الغصص

(فى مليح صياد)

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكى

(فى مليح رامى بندق)

* وأهيف القد ذى دلال * طائر قلـبى عليـه واجب
كالشـمس فى كفه هـلال * يرمى الى البدر بالكواكب

(وقال آخر فى راع)

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضـيفتى بالجـدى ناديتـه * ما القصد يا مولاى الا العناق

(القيراطى فى مليح طحان)

حسـن طحان سبانى * بلحاظ وبقامه *
خاف من واش فاضحى * يجعـل الغـمز عـلامه

(القاضى بدر الدين البلقينى فى تراب)

رب تراب مليـح * أورث القلب عذابا
قلت لما أن بدالى * ليتنى كنت ترابا

(وقال آخر فى مليح عوام)

ياحسن عوام كغصن النقا * يبخـل بالوصـل لمن هاما
وتقنع العشاق منـه بان * يريهـم الارداف ان عاما

(ابن نباتة فى مليح حبشى)

بروحى مشروطا على الخد أسمرا * دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشـترطنا فلا تزد * فقبلتـه ألفا على ذلك الشرط

(وله

(وله أيضا)

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر فيمن به صفرة)

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

﴿للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد﴾

وزائر قال قلبى * للطرف ياطرف شاهد
مدحته فتجنى * تيها على بزائد

(وقال آخر فى مليح أرمد)

شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

(لمجد الدين بن مكانس فيه)

تورعت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمى محبيه باسهمه * فياله من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبى حجلة فى أعور)

ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين باسرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر فى مليح راهب)

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

(القيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق فى حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(وقال آخر فى مليح اسمه حمزة)

متى يبدو لحمزة مابقلبى * ويرثى لى وينظر فى بلائى
وأشفى بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائى

(وقال آخر)

كلفت به ولم أبلغ مرادى * غزال قد تحكم فى فيادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه * وفى معسول فيه وفى فؤادى

(فى مليح سروجى)

فتنت به سروجيا بديعا * به فدذبت وجدا من ضجيجى
اذا جذب الغرام له عنانى * يلذلى الركوب على السروج

(وقال آخر فى مليح محموم)

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذى كنت فى حمائه السببا
عانقته وطيب النار فى كبدى * فاثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لابى نواس فى مليح ألثغ)

ومهفهف دنف الصبا ذى لثغة * تصبو اليه ذو والعقول الرجح
قبلت فاه فقال لى متخوفا * من كاشح متدللا بالثا انتحى

(وقال فى مليح خباز)

ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال فى ملبح حائك)

وحائك ياصاح أبصرته * كالبدر فى كفيه ماسوره
فلم أرح الا وروحى لما * عاينت فى كفيه ماسوره

(وقال فى مليح لاعب شطرنج)

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال)

تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وأنشدنى مالى أراك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

(فى مليح خياط)

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

(وقال

(وقال غيره)

فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسي للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسي

(الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه)

لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

(وقال في مليح سلم عليه)

تنبأ فيك قلبي فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بي * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الى وقيل كله الغزال

(وقال في مليح يرمي بالسهام)

وظبي بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا باسهم
كبدر بافق فوق برق بكمه * هلال رمى في الليل جنا بانجم

(وقال في مليح يضرب بالعود)

فتن الانام بعوده و بشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كان لسانه بيمينه * وكان ما بيمينه في فيه

(وقال أيضا فيه)

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال في مليح مشيب)

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأي الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذا جئت في اللفظ والمعنى على قدر

(وقال في مليح ساق)

وساق من بني الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

(وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عند من يحبه)

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
ياطلعة الشمس التى * جاء الصباح دليله
لم يبد وجهك قبلة * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتنى * بل الفؤاد غليله

(فى مليح قارئ)

نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

(وقال آخر فى مليح مكتمل العذار)

وكامل العارض قبلته * فصدنى وزور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى لحيتى

(وقال آخر فى مليح حجام)

كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواظبى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

﴿فصل فى الالغاز﴾

(فى غزال)

اسم من قد هويته * ظاهر فى صروفه
فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

(فى كوز فقاع)

ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

(فى زرموزة)

مطية فارس هاراجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب من بولة * لا تشرب الدهر ولا تاكل

﴿وقال فى طاحون﴾

ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تتعب

وفى

وفى سيرها ماتقطع الا كل ساعة * ونا كل مع طول المدى وهى لاتشرب
وماقطعت فى السير خمسة أذرع * ولاثلث تمن من ذراع ولاأقرب

(فى دواة)

ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها البين مالدقط الشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

(فى دواة أيضا)

وما أم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كانهم اذا ولجوا حشاها * أفاع فى أماكنها قعود

(فى قلم)

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لايتكلم

(وفيه أيضا)

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولاقلب ولاهو سامع
كان ضميرا القلب باح بسره * اليه اذا ماحركته الاصابع

(وفيه أيضا)

وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان نحمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

(وفيه أيضا)

وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

(فى مرملة)

معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة مانراها قط تبتسم
كانها من صروف الدهر خائفة * تبكى دماء على ماسطر القلم

(فى كتاب)

وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين مادمت تبصر

﴿فى سلطان حسن لابن أبى حجلة﴾

ما اسم محب للقلوب لانه * حسن الحروف بجود بالاحسان
تصحيفه أمسى حبيبا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لوجادلى يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

(فى شبابة)

وما صفراء شاجية ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها انقاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

(وفيها أيضا)

ومقروحة الاجفان مثلى شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذاك محرم * ولاحرج كلا ولا وجب الحد
اذا ماوطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد *

(وفيها أيضا)

* منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها الثما ويظرها شزرا *
وتصحيفها فى كف حاملها فقل * اذا شئت فى اليمنى وان شئت فى اليسرى

(فى دملج)

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

(فى خلخال)

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا نوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

(فى شعر اللحية)

وذى عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفى قلب هرون له الهلك والمحق

(فى التين)

* أى شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين
كيف لا يبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين

(فى

(فى الموز)

ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

(فى حزة)

من لى بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
فى فيه تصحيف اسمه و بخده * و بقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا)

اسم الذى أنا أهواه وأعشقه * وطول دهرى أخشى من تجنبه
تصحيفه فى فؤادى دائما أبدا * يبدو وفى خده أيضا وفى فيه

(فى ساقية)

وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع اطفالا ولاهى أمهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

(وفيها أيضا)

وجارية تبكى اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

(فى زروعروة)

وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفى أعناقهم ذاك النكاح

(فى راوية)

وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون اختها * وثنتاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى واختها * وفى ساعة يضعان الولد

(فى شطرنج)

ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

(فى فيل)

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله

حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

(فى بجع)

* ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

(فى نار)

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يختشى الرمح باسه * ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فم عنها ونبه لها عمر *

(وفيها أيضا)

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

(فى يد الهاون)

قل لى فما شئ يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القعر له رنة * ويظهر الصفق باعلى مكان

(وفيه أيضا)

خبرونى أى شئ * أوسع ما فيه فمه
وابنه فى بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

(فى خشخاش)

وماقبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكى الملاحة بالظرف
وأولادها فى بطنها فى جماعة * يكونون ألفا أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

(فى كوز زير)

وذى أذن بلاسمع * له قلب بلالب
اذا استولى على صب * فقل ماشئت فى الصب

(فى اسم على)

اسم الذى أعشقه * أوله فى ناظره ان فاتنى أوله * فان لى فى آخره

(فى موسى الصفدى)

وما شئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

﴿فى حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى﴾

مابلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجى النغم

(وقال فى سمرقند)

وما اسم سداسى اذا ما لحته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله ياصاحبى له * على مدد الايام نشر معطر
وفى نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذى العقل لغز معسر

(وقال فى كمون)

يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تراه بالعينين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

﴿وقال فى قالب الطوب﴾

وما آكل فى قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل الماء كول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

(فى العين)

وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

وبكفى من ذلك ما أشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة

على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها (ولنذكر) ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظ معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

﴿فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح﴾

(لابن المبارك)

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذ حل

(دور)

أميل له فلا يميل * يحول وعنه لا أحول * أقول اذا زاد بي النحول
أما حل عقد الصدود وينحل * ويرحل عن نجم المزحل

(دور)

كم أبعدوكم أبيت مكمد * ويعمد بهجره لا فقد * وأجهد لارتصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * تمحل والوعد منه ماحل

(دور)

متوج بالحسن هذا الابلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه ذا الادعج
مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر مجعل

(دور)

برغمي من يد تحل ظلمي * ويرمي بحربه لسلمي * وجسمي من التزام سقمي
منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمي وماحل

(دور)

قلانى واشتط ذا الفلانى * غزانى بطرفه اليمانى * ترانى أنشد لمن يرانى
قد أنحل الجسم أسمراً كحل * وأوحل القلب فيه مذ حل

(لابن سناء الملك)

كلى ياسحب تيجان الربا بالجلى * واجعلى سوارك المنعطف الجدول

(دور)

ياسما فيك وفى الارض نجوم وما * كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهى ماتهطل الا بالطلى والدما
فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

(دور)

تتقد كالكوكب الدرى للمرتصد * يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد
فاتئد ياساقى الراح بها واعتمد
وامل لى حتى ترانى عنك فى معزل * قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور)

لاأليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لاأهيم الا بهذين فقم يانديم
واجل لى من أكؤس صيرت من فوفل * أللذى من نكهة العنبر والمندل

(دور)

خذ هنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى * واسقنى على رضاب الفطن الملسن
والهنى ببعض ماصيغ من الالسن
لوتلى مدح سناه مع رشأ كحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسل

(دور)

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت * أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت
طولى ياليلة الوصل ولا تنجلى * واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

(دور)

من ظلم فى دولة الحسن اذا ماحكم * فالالم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم

من ولى فى دولة والحسن لم يعدل * يعزى لاحاظ الرشا الا كحل

(وله أيضا)

ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

(دور)

لقد أسرفت فى هجرى وصدى * بلا سبب سوى كلفى ووجدى * وماذا فى سلوعنك بجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

(دور)

لئن شحيت عنى بالسلام * وطيفك قد جفا لجفا المنام * فقد جادت بار بعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أشف به النحول

(دور)

لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم * فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها نزيل

(دور)

تلقته الموالى والموالى * بالحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

(وله أيضا)

شمس الضحى أم القمر * أم بارق الثغر يابشر أم البها حفه الخفر * بطرز خديك مستطر

(سلسلة)

قم تباها بما تباها ولا تلاها

(قفلة)

فكل أحبابنا حضر * والعود يشجيك والوتر

(الدور)

أفديك بالسمع والبصر * ياأهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

(سلسلة)

ذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

(قفلة)

تحير

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

(الدور)

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

(سلسلة)

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

(قفلة)

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

﴿وقال رحمه الله تعالى﴾

وانسيم السحر هل لك خبر * عن غريب همو بالمنحنى
فارقونى ولم أقض الوطر * من لقاهم ولا نلت المنى
قلت يا قلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا
ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنى

(دور)

ليش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك
لست ألقى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك
لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

(دور)

يا قمر فوق غصن من نقا * أتخطفنا مطالك والصدود
يا رعى الله ليلات اللقا * ليتها يا خل يومالى تعود
ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

(غيره)

حلت مذ سارت الحمول * وجد امضى العمر وهو باقى

(دور)

ساروا وسار الفؤاد لكن * جسمى مقيم على المساكن

وعنى الحب صار ظاعن * مالى الى وصله وصول
* لوسرت بالبرق والبراق *

(دور)

وغادة كالقضيب قدا * والورد والياسمين خدا
كانها البدر اذ تبدى * وشعرها أسود طويل
* كانه ليلة الفراق *

(دور)

هونا أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا
فقلت شمس تزور ليلا * ومادرى كاشح عذول
* فذاك من أعجب اتفاق *

(دور)

وسدتها ساعدى لسعدى * وبت أرعى رياض ورد
وخمر ريق كذوب شهد * لوذاقها مدنف عليل
* لعاش والروح فى التراقى *

(دور)

لما رأتنى أذوب سقما * ومن ورود الرضاب أظما
قالت كلمت الخدود لثما * مايشتفى منك ذا العليل
* بغير نومى وشيل ساقى *

﴿فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت﴾

﴿لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى﴾

أهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق
تدرى بالله مايقول البرق * مابين ثناياه وبينى فرق

(وقال أيضا)

أهوى رشأ كل الاسى لى بعثا * مذعاينه تصبرى مالبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ماخلقت هذا عبثا

(وقال أيضا)

عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واستده الى

واقصص

واقصص قصصى عليهم وابك علىّ * قل مات ولم يحظ من الوصل بشىّ

(وقال أيضا)

روحى لك يازائرى فى الليل فدا * يامؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لاأسفر بعد ذاك صبح أبدا

(وقال آخر)

ياشمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لوفعلت ماشئت بهم * ماتوا كمدا و باطوى ماباحوا

(وقال آخر)

أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واوصدغه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

(وقال التلعفرى)

قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ماالصبر على بعادكم عادته
بتم فرثى لمابه شامته * لاكان فراقكم ولاساعته

(وقال المنشد)

احسانك طول الدهر لاأنساه * لاأذكر بعد خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

(وقال آخر)

ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكر وطى وماجناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

﴿فصل فى الفن الرابع وهو الزجل﴾

(حمل للبغارى)

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا ذا النفار
لم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

(دور)

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لوعيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود

وذا غصن بان أهيف قوام قدو قد الاغصن جهار
وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

(دور)

تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم ياعشاق لكم قلنا والحسود راح بنار
أنتم التفاح ومايقصد منكم الا الخيار

(دور)

وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار
وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

(دور)

حسن حبى الفرارجى فرحه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر رد جفنى بنار
وجفانى وخد بياض جسمى خلطوا بالصفار

(دور)

وقع الطل خط بالابيض فى اخضرار الطروس
قم ياساقى على بساط زهرى تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار
قد جلوها فى كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

(دور)

خمر فيه سر لو جعل أشياف رد الاعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكى الليل شفق أحمر يصير
ياترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير
وترى النور داعليه يلمع ذاك من ايش استنار
وكذا الكاس يحاكى ياسمير من كساه جلنار

(دور)

فهو عطار عند وشراب هندى وبرانى جفاء *
كل من مص من لسانور يقو يلتقى فيه شفاء
ورد خد ووحبتو سودا شبه خال فى صفاه
جبل آس عارض وأسر قلبى والكبار والصغار
فى المحبا غاروا على حسنو وكل حر غار

(دور)

دورونى الملاح على كعبى ونصوا نصوص
بلاد عوى التف لف اليسير فى هواهم خصوص
وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين مارأوا خلف له همه ولواصطبار
قرونى فى عشق هذا القمر والمحبه قمار *

(دور)

لحبيبى ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدود ورد من غير نمش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت أهداب غزار
فى صفاء وجه وأنزه طرفى عند خلع العذار

(دور)

فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لاترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف
وأعجب من النهر اذ صفق لومن الموج كفوف

والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أعلى مطار
باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

(دور)

أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد البحار
والخلائق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار

(دور)

خلف أستاذ فى الفن ماينطاق ذاق عداه المنون
مايعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون
شيخ مصدر لبيب فهيم فى جميع الشئون
باتصاعو مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار
وأهل الفنون تجرى وماتلحق للغبارى غبار *

(غيره لناصر الغيطى)

كنز روضى طالبو يسعد ياخليع قم فى دجى الاسحار
تلتقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

(دور)

كنز روضى نزهة الطالب جوهر وبين الندى يرهج
ولجين الماء يتكسر ياخليع هيا تعا انفرج *
* بين عنابر نلتقى الخلع كل أحد مع الفو يدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وماو أطيار
فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده حكت لنا دينار

(دور)

وترى الياسمين بحال فضة ضربت لاهل النزه صلبان
والشحارير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان
وكذا الكتان وهو أصفر بعمائم زرق للناس بان

وانجلت

وانجلت بين القسوس فى الحان وعليناد ارها الخمار *
* والقطيع الراهبى يحكى لشماس لابس الزنار

(دور)

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضى ودا محبوبو عليه يشفق
وهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وأنا مطمن وسط روضازهرها معطار
فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح فى نار

(دور)

وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور أنغام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتروجد وهام
والنخيل باكمامها ترقص وأقبل الريحان بحال أعجام
والعصافير شيخهم زيق لوطريق بين الازاهر طار
* والبلبل بالغنا يشجى فكانو نای أو مزمار *

(دور ناصر الغيطى)

يا أخلايا صحبت انسان أنكر الصحبه وعادانى
و بغضنى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى
فى بلاد قبلى وأرض الشام يشكرونى ساير أقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لو تذكار
* والبلطيو قع لو تعلق مايحصل شئ مع الشطار

(للغبارى)

جار حبيبى فقلت ذا الحجاج جايجور أو يزيد
لوعدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

(دور)

اقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت أحسب قلب معوريس غرتو ذى البحار

صحت لما وحلت يامحبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

(دور)

أنا يوم فى الغبوق بانفرج على شط الغدير
اذ رأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتى الى منظر ماالحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد
بوقعك فى فخاخ شباك عشقو وكراكى يصيد

(دور)

من محبوحديد حبيب يوم قلبى يوم صد فتو صدف
قلت لين ياقاسى لمن دمعو سال وحالو وقف
دار وقال لى ماالاسم بالانجيل قلت اسمى خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذاالكلام يستفيد
فى الحقيقة من لايكون داود مايلين لو الحديد

(دور)

لك عوارض فى الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفاك صار حماق وباب وصلك كان وكان ياغزال
وأنت دو بيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك ألفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد
و بشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد

(دور)

عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان يذهب الاصفرار
وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
فى ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد
حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

(دور)

من لهيب مدمعى جرى الطوفان للهيب ماطفى
وأنا هو الغبارى فى العشاق ماجرى لى كفى
حين علينا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبى فقلت ذا الحجاج جابجور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

(غيره)

حين سكنت القلب ياعيسى أمسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

(دور)

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدى بقيت حاير
جيت الى طرفو ونا ديت لو أحرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت فى خدو الق العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقة جيت اطرفو قلت يا كسلان
هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى أنا نعسان

(دور)

بدر شعبان منيتى لما فى بروج السعد لاح نجمو
قلت لو اقصى بفيض دمعى اطلقو واجراه على رسمو
قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشموم قسمو
ايش قد أذنب حين قطرتو دا يمغلط قول بالبهتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت ليش أصوم يابدر فى شعبان

(دور)

حين تدبج احرار خدو باخضرار العارض اسبانى
ضحك فابيض وابتسم واسود شعرى وأبكانى
وحين أضحيت باصفرار لونى أشعت أغبر فى هواه عانى
قال لى لونك قد صبح حايل وقد أبصر مدمعى طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت فى هواك ذقت الهوان ألوان

(دور)

قلت لو حين عنى تخلف لله كن لى يارشيد مهدى
قد تلون دمعى من بعدك وتجرى اليوم على خدى
دار الى انسان مقلتى قال لو أنت ماعندك نظر بعدى
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال لو أيافتان
جرى الما من تحت بعدك راقب الله فينا ياانسان

(دور)

ذا الغزال النافر الانسى للغزاله قد أعار النور
كسر قلبى كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
وبخمر الدن قد عربد وادعى انى أنا المخمور
وابتسم لى عن ثغائرو وخطر والبشر فيابان
صحت ياقلبى صفاوردك أنت مابين النقاوالبان

(للصفى الحلى)

أنت ياقبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

(دور)

أنت شاما بين الانام الله يحرس شمايلك
* ويزيدك بالدوام كى نعيش فى فواضلك
ماينطوى ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
وتهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
قد بقينا بك فى أمان الله يحييك طول السنين

(دور)

مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم
كل من جاليسالك ليس تقول له سوى نعم
أملك أنت أوملك ضاعف الله لك النعم
أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين
درغيثك فى انسجام عم كل السائلين

(دور)

لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

(دور)

حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

(غيره)

خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم
دا للى قد هواه قلبى صاد و با و با *
مليح ما رأيت مثله ظا و با و يا *
ما احلاه عند مايلبس قاف وبا ويا *
ذقت من صد ودحبى غين وصاد وصاد
* لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خا ولام وصاد *
وأصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال
اعدل فى الذى صبرو نون وفا ودال *
ولا تهجر العشاق با وعين ودال
ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

حل فى الالغاز

(المطلع فى العين)

وما طير أكلوا الحجر ياكرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح
ولمس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

(دور فى السراج)

وما بحر ماهو ما وفى الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شئ صفات حيه بلا وكر استفيد * لها جوهره فى فمها يارفيق
بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى و يظهر كل يوم عن حقيق

يغيب فى النهار لكن اذا جا الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح
و يسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

(دور فى جوزة الكنافة)

وماهى التى تركب على سنين ألف * ومامثل ذاك فسر لنا ياخبير
مليحة وقصيفة وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير
لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير
لها خل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى الحجى والرواح
وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلتو ومن غير مزاح

﴿دور فى الغربال﴾

وماهو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيي أصول الحيا
اذا غاب عن أهله فرد يوم مايهون * ولا حد يعوض موضعه لو عيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المساوالصباح
و يحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

﴿الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى﴾ فمن تلك الاربعة واحدة

(لصفى الدين الحلى)

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هو اطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

(وقال أيضا)

سل مقلتيك الكحال عمن سلاسلها * ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

(وقال آخر)

قد أوعدونا الغضا با أننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالثمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

(وقال آخر)

قسما بالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بسجدها وجامعها
لو حل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

(ومن

(ومن اثنين واثنين قال آخر)

قوم اسقنى ماتبق فى أباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقو * سقى المدام وان عزت سقى ريقو

(وقال)

البارحة ريت بعينى فى الدجا جبين * اثنين مثل البدوره فى الدجى جبين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيين

(وقال)

قد رد ت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ماظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

(غيره خمرى عاطل)

كاس الطلا لطلاها طال لما سر * وصار لما حوى خمرا مكال در
مدام لو طعم كله حلو ما هو مر * ما حل مملوك الا صار مالك حر

(غيره حربى)

لك يا امام الوغا فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع و ينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحا الحرب * سيوف تفنى وكفك لا يمل الضرب

(الصفى الحلى فى المدح)

أغنت وأقنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى فى الكرب

(وقال أيضا)

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ماجدت الا وثغرك مبتسم يازين * وذاك ماجاد الا وهو باكى العين

(وقال فى التهنئة)

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * وريت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
وريت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

(فى المعاتبة)

عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضا)

يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر)

حلف علىا جكاره أن يقاطعنى * وصدعنى واقسم مايطاوعنى
كم ذا يصدوكم يرجع يصدعنى * ان كنت آنا المطلق لا يراجعنى

(وقال آخر هجوا)

قطع قفا ابن اخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن أمك
وان تكلمت تصفع بل يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

(وقال آخر)

ان ردت تسلم بطول الدهر ماتبرح * لاتيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لاتحزن ولاتفرح * وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

(وقال آخر)

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه ياأيها الانسان ماغرك

(وقال آخر)

يا قلب ان خانك المحبوب لاتدبر * عنووعن قصة السلوان لاتخبر
واستعمل الصبر دائم للعداتقهر * فان والله ماخاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) له وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى فنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر * ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك * ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل * فكيف يامتخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه يافتى وافهم مقالى واستمع * ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه * وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع * مافى النصيحة فضيحة كلا ولا انكار

(وقال أيضا)

صرح

صرح بذكر المحبة مافى المعمى فائده وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى وفيه عزى وذلى بهجتى أفديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

(الصفى الحلى)

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى أنصب شركه ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طير الذى كان الفى لوردت مثله ماحصل وهو على معود واثا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلق لبرج غيرى ماعرف كانتا فى الصحبة جينا على ميعاد
من قبل ماأبصبص له يجى ويدخل مصورى وانا أرصده فى مطاره خائف عليه ينصاد

(وقال آخر)

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى الله يصبر قلبى على الذى بهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لونه وطعم وريحه ماأكثر مغابن حبيبى وماأقل وفاه
أنا عرفته وحظى وكل ماأحن لو يسىء لوكنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

(وله فى الفراقيات)

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى لاأوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وأنسكم فى خاطرى والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قد انتهى الصبر منى وما بقى فيا رمق هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى أعد بين الاحيا وأنا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم ابش ضر لوكان جسمى من جملة التبعات
ماريت ضدى يقول لى من فرحته هنا تشق المرابر وتسكب العبرات
لولم أسلى روحى وأرض نفسى بالمنى لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين أظعانكم أخفض جناح المذله وأرفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا أقطع الدمع منى وأصعد الزفرات
ماأطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه وماأقصر أيام وصلى كأنها ساعات

مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت وسيآت الاعادى ابتدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكمو يفعل الله مايشاء والدهر من عاداته يقلب الحالات

﴿الفن السابع فن القوما﴾ قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين وقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ماقاله قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات أنا بنى ابن نقطه * تعيش أبو يامات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

(ومنها للصفى الحلى)

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
يسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * برى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور
اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيرى يلازم الصدور * وأنا عليكم أدور
وأصطلى الصد وأنا * من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مخمور * يريد جلد صبور

تصون

يصـــون سره والا * يبقى من أهـل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتـك سر حبو * يمحى مـن الدستور
ابذل لبيض النحـور * أموال مثـل البحور
ان ردت تملك وتظفـر * ولدانهـــم والحـــور
قم فابذل المـدخور * وفى العطا لاتجـــور
تريد هـذى المحبـــه * قلوب مثـل الصـخور
كم حول تلك الخـدور * مـن عاشـق مغـدور
مثـل الدواليب تجرى * دمـــوعها وتدور
مـن يركب المجـذور * هو فى الهوى معـذور
يظفـر بحبـه ويبلغ * قصـده ويوفى النذور
كن بالهـوى مسرور * ولاتبيت مغـــــرور
واجعل تراب أعتابهـم * لاجفان عينـك درر
طـرق المحبـه وعور * كم بينها مـذعور
من فتك بيض السوالف * على سـواد الشـعور
كم عاشـق مـذعور * فى حب بيض الثغـور
يغار قلبـه ولكـن * مـدامعـه ماتغـور
كم بينهـــم يعـفور * كالظبى آنس نفـور
من أهـل بدر فديتـه * ايش ماعمـل مغـفور

(ومن ذلك) مانظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سـعيد
ولابرحت مهـنى * بكل صـوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صـفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شـديد * ولطف رأيه سـديد
ومن يلاقى الشدايد * بقلب مثل الحـديد
* لازلت فى تاييد * فى الصـوم والتعييد

ولا برحت مهنى * بكل عام جديد * نحن لذكرك نشيد
بقولنا والنشيد * ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * مافوق جودك مزيد * وكم غمرت بفضلك
قريبنا والبعيد * لازلت فى كل عيد * تحظى بمجد سعيد
عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد * لازال قدرك مجيد
وظل جودك مديد * ولا برحت مسوقى * كما يوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد * ومابرح جودكفك
منا كجبل الوريد * لازال برك مزيد * دائم وباسك شديد
ولاعدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

﴿ومما قيل فى فن الحماق﴾

أنا ماعبورى الحمام * لجسمى لكى ينظف * الا لدمع جارى
على الماولا يوقف * وديك المجارى تجرى * ودمعى بسابقها
تقول الانام فى الحمام * له أحباب فارقها

﴿وقال آخر﴾

نوى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفه * فاسلاه واترك هواه
وسد الطريق خلفه * وان زاد على عشقو * وزادبى الهوى والذل
تركتو ولوكان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ماتبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسال الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه﴾ قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أوأكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن

للفرج

للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمدا كان يختار الدين فانظر أنت بايهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى أن أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما قالوا أشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلئ مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

(فاجابته امرأة)

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

(وقال خالد بن صفوان)

عليك اذاما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين هو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا النطف وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

(وقال بعضهم)

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدي وقيل ان جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فتزوجها لك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلونها لاولى الالباب مختصرا
* صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت في نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التي أجلوا لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهي ثابتة * أحاط علما بها من في العلوم قرا

(وقال آخر)

مطيات السرور فوق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

(وقال آخر)

فاياك اياك المجوزو وطأها * فما هو الا مثل سم الارقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الخليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان في المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل . ولما خطب عمرو بن حجر الكندي الى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أي بنية انك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه

درجت

درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له أمة ليكون لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لوامع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصي له أمرا ولا تفشي له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمني غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر . وعن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال لقيني شريح فقال لي يا شعبي عليك بنساء بني تميم فاني رأيت طخن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كاحسن ما رأيت من الجواري فعدلت اليها واستسقيت وما بي عطش فقالت لي أي الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فاني أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هي زينب بنت جرير احدى نساء بني حنظلة قلت هي فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفاء ولم تقس كفؤا وهي لغة بني تميم فتركتها ومضيت الى منزلي لاقيل فيه فامتنعت مني القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت في حبالي ندمت وقلت أي شئ صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم و يصلي ركعتين و يسأل الله تعالى من خيرها و يتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي تتوضأ بوضوئي وصليت فاذا هي تصلي بصلاتي فلما قضيت صلاتي اتتني جواريها فاخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فاني امرأة غريبة لا علم لي باخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فاجتنبه فانه قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

لى ولك ولجميع المسلمين قال فاحوجتنى والله ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لى وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثيها وما رأيت من سيئة فاستتر بها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يملنى اصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون و بنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بانعم ليلة ومكثت معى حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فاحسنت الادب وريضت فاحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى أسوأ حالا منها فى حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فاحسنت الادب وريضت فاحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاؤا فكانت تأتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية فمكثت معى ياشعبى عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لى جار من كندة يفزع امرأته و يضربها فقلت فى ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفى ألف فى السر وخمسمائة ألف فى العلانية فاجابه الى ذلك وحملها الى العراق فاقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله ابن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافد انزل بدمشق فاتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخى فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله و بشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بنى عبد مناف فعرضتها على عبد ثقيف يتفخذها قال وفى هذا عتبت على يا ابن أخى قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومنى فى هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمى و يعرفون حقى وانك وأباك منعتمانى رفدكما حتى ركبنى الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطانى بها ما أعطانى عبد ثقيف لزوجتها منه انما

فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فادركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) ان المغيرة بن شعبة لما ولى الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فاى خير في اجتماع عمياء وأعور وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس و يقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك ماذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شئ يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * أكد وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته فاتوا فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح

فائذن له يا أمير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير فتزوجها عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا اني لاحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أني أخطب الى أحد فيردني قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائي قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث ثم قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استهجنني قالت وكيف قال لانه جاءني خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتني وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ما طلبت قال فركب في أثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمني هذا أوس في أثرنا فقال ما أصنع به فلما آنا لا نقف قال يا حارث اربع علي فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك

ثم

ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فاجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فابتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله انى الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتى هنيئة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن تهيئها وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدى اليها قالت مه أعند أبى واخوتى هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فالبث ان لحقنى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بى كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلى فقلت والله انى لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فاحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد أحضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك فى أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت أخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله انى لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا باجل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فاقامت عنده فى ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبى قال حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بنى سعد مرت به جارية لامية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها أهى زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتى قلت حرفتى * مقارعة الابطال فى كل شارق
اذا عرضت خيل لخيل رأيتنى * امام رعيل الخيل أحمى حقائقى
أصبر نفسى حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فانشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من

نسائك وأنشدته تقول

ألا انما أبغى جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق

فتى همه منذ كان خودخريدة * يعانقها فى الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

ومايستوى الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

ومايستوى الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ماستطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يالفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألونى بالنساء فانى * بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وماضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لاتشتمن امرأ ممن يكون له * أم من الروم أوسوداء عجماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعى أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخى أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت يا ابن أخى أما القصيرة النسب فالتى اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهى التى لاتعرف حتى تطيل فى نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة فى غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين باننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة الجعد

بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا

فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت ياغلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره مني السلام وقل له * غنينا وأغنتنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد

وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أوكفل نهد

فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد

فعجل الينا بالسراح فانه * منانا ولا ندعو لك الله بالرد

فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

﴿الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة﴾ كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال نجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس . وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فاثر فيها الغنى وأدبها الفقر . وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار

خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

(وقال الاعشى)

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن قطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فاخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فانشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ باقبح تمثال
دعانى اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فان مدائحى * توافق عند الاكرمين نوامى
توافق عند المشترى الجد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس ببنانه لتنافست فيهن الملائكة المقربون . وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى السكن والتضمخ الطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته

(قال على بن زيد فى وصفه)

حمرة خالطت صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال على بن عبد ربه)

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء و بالعشى صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن ينجب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به في ليلة مزورة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

﴿الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها﴾ في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه. وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن الصيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة المشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو عضلى زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت ان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعواء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير)

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمئنت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزني دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

﴿الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن﴾ في حكمة داود عليه الصلاة

والسلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شركلهن وشر مافيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لاتثق بامرأة ولاتغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ماساعفتك ولاتكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تقى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هى أعطتك اللين فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقال ابن بشار)

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله تعالى عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن باضر من دخول من لايوثق به عليهن فان استطعت أن لايعرفن غيرك فافعل وقال السمعانى

لاتأمنن على النساء ولو أخا * مافى الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أن بنظرة سيخون

(وقال غيره)

لاتركنن الى النسا * ء ولاتثق بعهودهن
فرضاؤهن جميعهـ * ـن معلق بفروجهن

وقال على رضى الله تعالى عنه لاتطلعوا النساء على حال ولاتأمنوهن على مال ولاتذروهن الا

لتدبير

لتدبير العيال ان تركن ومايردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذل من أسند أمره الى امرأة . وقيل ان صيادا أتى ابرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمتها فامر له باربعة آلاف درهم فخطأته شيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكر فاطلب منه الانثى وان قال لك انثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اتتنى بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا فى الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت وقال عمر رضى الله تعالى عنه أكثروا الهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر

﴿ومما قيل فى الباءة﴾ ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضى الله تعالى عنه مارأيت نهما فى النساء الا عرفت ذلك فى وجهه وخلا تملم بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

(وقال آخر)

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الى وجيهتها يتصبب عرقا فقلت لها ماظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فاجابها يقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على مالا يجوز

وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من

البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفاد والله تعالى أعلم بالصواب

﴿الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه﴾ عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الاصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك إنما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الامن قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبى فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أيادى بهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق قال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازنى بعلك فاجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضر انى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

﴿ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه﴾ قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغربان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليها تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول)

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استظرافه وطرا * وفى الليالى وفى أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فانشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى

بلى واعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

قال فاتاها أشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له مابدالك فى زيارتنا يا أشعب فقال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجوار بها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتى انه دفع الى عشرة آلاف درهم فهى لك وأعتقينى لوجه الله فقالت والله لأعتقنك أو تبلغ اليه ما أقول لك. قال ياسيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فاخذه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر منى احدى ثلاث اما أن أقتلك واما ان أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال ياسيدى ما كنت لتغضب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله . وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار * فاصبحت الغداة ألوم نفسى
يامر ليس لى فيه اختيار * وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت بها يمينى * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فأنشد يقول

فنى صبرى وعاودنى وداعى * وكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فازعجونى * فيالله للواشى المطاع
فاصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كانها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه شجتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يامولاى غير متعمدة لذلك كنت اعالج طيبا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يامولاى ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هى لك قال فهى اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسى علينا نفسك وأنشأ يقول

ياشيخ ياشيخ من دلاك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها﴾

قد أنزل الله تعالى فى الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ بلحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنى ابن كبشة ان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عنى * وينشرنى اذا بليت عظامى
ألا من مبلغ الرحمن عنى * بانى تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعنى شرابى * وقل لله يمنعنى طعامى

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا انتهينا . ومن الاخبار المتفق عليها فى تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال . وممن تركها فى الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ منى الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا . وممن حرمها فى الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أو ما علمت ما صنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه

وممن

وممن حرمها فى الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر و يقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة و يقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال مالى هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم • ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدى أسود وخلقى مشوّه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلنى الى ذلك الا عقلى وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملى منه وأكره أن أمنعهم عن شئ ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابى لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا قومى ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائى)

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

(وقال الصفدى)

دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كأسها للمرء كسوة عار

وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداءك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث عن عجل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها الا لضعف الاسناد . ومن المجون فى ذلك ماحكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فمال على وجهه فقال وماء حارا أيضا بارك الله فيك . وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت . ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلى عقالى

فرعت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالى

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

﴿الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه وماجاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى النهى عن المزاح﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله تعالى عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح . وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى أمى لا تمازح الصبيان فتهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ

من

من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فاحجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به وما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حالتهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

﴿الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم﴾ لا بأس بالمزاح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا قال عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالى أراك عابسا كأنك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بى وروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال لا بأس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاء رجل فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لأحملنك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مريبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل

الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى أبول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر أن أضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المسور هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا ورب عالم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع فى قلبى أن أتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكاج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدى وحلفت أنى لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك باحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال است بصاحب لهو فقال ما الذى تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسا فى ليلتى هذه فبلغ منى ما ترى فقال ان بديحا مولاى أرقى الخلق منه فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلى فقال يا مولاى أنا أرقى الناس لهائم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتونى بها تكتبها الثلاثيج بى الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتجميل جائزتى فامر له بار بعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتى الى بيتى قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد منى ذنب غيرى تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتبها على فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى خص برجليه وأعجبه هذا البسط * وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) أما

النهى

النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروى يقول لاترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولاتسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات • وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لاباس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولايعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حراء من أدم * مابين حرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند دما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار ﴿ومما جاء فى لعب الغلمان﴾ ماحكى أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه فوالله مافرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفال اصغار اشتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول﴾

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فاخرج له قرص شعير فاكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابى أتدرى من أنا

قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فاخذ الاعرابى الركوة فوكأها وقال اليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل . ووجد اعرابى يأكل ويتغوط ويغلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا . وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابد دن شمله بالاسفار . وسمع اعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا باس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا لاخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان أطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع . ورؤى اعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ماهذا قال جنابات الشتاء أقضيها فى الصيف . وسرق اعرابى غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلى فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج . وحضر اعرابى مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأرجع أنام . وسرق اعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج . وحكى الاصمعى قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حى من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالى يا الهى أعلم
فان كنت يوما فى جهنم مدخلى * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فانشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لاصليت ماعشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل * ستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر مومياً نحو قبلتى
فحالى بيرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لاتقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يارب فى وجه صيفتى
وان أتالم أفعل فانت محكم * بماشئت من صفعى ومن نتف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال اعرابى أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ماطاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت لاختها فقالت ياأختاه مازال الامام يامرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على وصلى اعرابى خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان فى الصف الاول فتاخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتاخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لارأيته بعد اليوم . وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فانشد يقول

اذا ماخلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى أنه كلب فقال انظر واما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق

الحير فضى الملك هاربا فمضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه سهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى . ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * وولج فى عطيته السبابا
أما فى مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا النصابا

وحكى الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه . وصلى اعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك . وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف . ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يا أعرابى ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الابر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها . وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته . وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لى لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الوفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك

كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حارى فى حرامه وارجع الى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق باصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فاتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذى أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوانه فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال ياسيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

﴿الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء﴾ عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان بن شيبة نخرج الينا فقال ن والقلم فى أى سورة . ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك فى أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا فاقتلهم الله . وكان جماعة يجلسون الى أبى العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لا شريك له فقال له فى سورة الحمد فضحكوا عليه . وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا مامونية فسبقتنى يدى اليها فاكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسبقتنى يدى اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك . وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وانى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة اذ أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خرجت باجماع المذاهب . وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لا كثر الله فى المسلمين مثلك . ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجود كفيه فقال له الاعمش قم فبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه . وسكن

بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه رقة فيسجد

﴿الفصل الثالث فى نوادر القضاة﴾ كان لبعض القضاة بغلة فقر أيوما فى المصحف ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فمات فامر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لناشئ نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضى ألمثلى يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وماتروحون من هذه البغلة بلاشئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعاروتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير أراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولا تدعنا نروح بلاش . تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه . وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى خص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل . وأحضر رجل ولده الى القاضى فقال يا مولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فانكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدى أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى اقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى اسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ماشابت وشابا

ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وأنا الآخر

أحفظ آية منها وهى

فارحمى مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به . وتقدم اثنان الى أبى صمصامة القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فانكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان فاحضر رجلين شهد له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدى عن صناعتهما فاخبرا حدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضى الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره . وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوذينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فامر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أنى الآخر بحجته . وأتى بعض الجان لبعض القضاة فقال يا سيدى ان امرأتى خبأتنا فقال له القاضى طلقها فانا فقال عشقتنا فقال قودها فانا . وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضى يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضى حتى أوضح من هذا النهار فقال له القاضى اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفى خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتى خيرا فقد أوهنتها . ورفعت امرأة زوجها الى القاضى تبغى الفرقة وزعمت أنه يبول فى الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضى يا سيدى لا تعجل على حتى أقص عليك قصتى انى أرى فى منامى كأنى فى جزيرة فى البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضى ذلك بال فى فراشه وثيابه وقال يا هذه أما قد أخذنى البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكى) أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلى على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه فى الجامع الفلانى يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفى حجره مصحف وبين يديه باطية مملوأة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضى وأخبره فجاء الى القاضى فدفع الباب فانفتح فوجد القاضى نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضى لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا

يهودياً صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا و يبيعه و يصرف ثمنه فى مصالح الجامع وأما الغلام الذى رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندى انه بلغ فاتانا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

﴿الفصل الرابع فى نوادر النحاة﴾ وقف نحوى على بياع يبيع أرزا بعسل و بقلا بخل فقال بكم الارز بالعسل والاخل بالابقل فقال بالاصفع فى الارؤس والاضرط فى الاذقن . ووقع نحوى فى كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاء نى قتلنى فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلنى عنك الا فلان فانه دعانى بالامس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج فصاح أبوه غمضونى فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحى . وجاء نحوى يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله فى بطر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه . وعاد بعضهم نحويا فقال ما الذى تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية باليتها كانت القاضية

﴿الفصل الخامس فى نوادر المعلمين﴾ قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل و بوق فقلت ماهذه فقال عندى صغار او باش فأقول لاحدهم اقرألوحك فيصفر لى بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من من بين يدى فأضع الكرة فى الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل فى عنق والبوق فى فمى وأضرب الطبل وأنفخ فى البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى و يخلصونى منهم ﴿وحكى﴾ الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو يذبح ذبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبى قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل

يلطمه

يلطمه ويسبه فقلت عرفنى خبره فقال هذا صبى لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتى ظن انه صوت الكلب فيخرج فأمسكه . وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهى والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبى ما ينفع فيه الكلام فافعل ماشئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها . وقال الجاحظ رأيت معلما فى الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعوك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذنى فقال الآخر لا والله ياسيدنا هو الذى عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جل يعض أذن نفسه . وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلى العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذى عملت وسوف أكافؤك اذا فرغت من الصلاة ﴿وحكى﴾ عن الجاحظ انه قال ألفت كتابا فى نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بى فجلست عنده وباحثته فى القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته بالفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوى عزمى على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس فى بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ما تريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا قلت وما هو منك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن انى رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ✻ ردى على فؤادى أينما كانا

لا تأخذين فؤادى تلعبين به ✻ فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو وهذه ما فى الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان من الغد يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت ياهذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله تعالى

﴿الفصل السادس فى نوادر المتنبئين﴾ ادعى رجل النبوّة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذى يقال عنك قال انى نبى كريم قال فأى شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا فى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة . وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه . وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ . وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال ومابراهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال ومابراهينه قال ألقى عصاه فاذا هى حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وماهى قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق . وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ما يخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله . وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحد النبى قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحد النبى فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله . وتنبأ آخر

فى زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبى قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال ائتونى بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبى الله وانما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه . وادعى رجل النبوة فى زمن خالد ابن عبد الله القسرى وعارض القرآن فاتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجاهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود . وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتى انى أعلم ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال فى نفسك انى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى اليك بشئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبى بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها . وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب مر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى

﴿الفصل السابع فى نوادر السؤال﴾ وقف أعرابى بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا . ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر لعلى جئت أدعوك الى وليمة . وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم . ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من برأو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فانتم أحق منى بالسؤال

﴿الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين﴾ قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى أسمع صوتى من مسيرة ميل . وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب ان أسمع اذانى أين بلغ . واختصم رجلان فى جارية فاودعاها عند مؤذن فلما

أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا . وسمع مؤذن حص يقول في سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فإني أكلكم قبل أن أؤذن فبسخم الله وجوهكم . وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضي فاتوه فقالوا السلام عليكم فاخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس و يقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة . ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بي رداءة صوته ولكن شمامة اليهود والنصارى بالمسلمين

﴿الفصل التاسع في نوادر النواتية﴾ حكي أن بعض النواتية تولى أحد الكراسي السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته اني أسمع غاغة في البرحلي قلوعي واعملي اسفيرتي على جاموري وقدمي الى اسقالة الرجل وقيميني بدراة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتيه حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله و بالوالي فقال له تعال ياشيخ مالي أرى ارطمونك في حلقك وشابورتك مكسورة وأنت بتزلع ماء متغير وتقيم الهليلا في الساحل دخل عليك شر دغربي والا دخلت على بواجي فقال الشيخ والله ياسيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا أولاد جيبوا غريمو بخنسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت يغنوس بسفر البحر أنت الذي قطعت القلس وخرجت في الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت علمتك في بدرواة وعقلتك في الصاري فلما سمع الرجل كلام الوالي علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخوند هو كارزني في معاشي اجصطن على الوحسة وأنا عايم في الليل الاوشر دجاني من الشرق كابس هز أطرافي وكسر شابورتي وقطع لباني وها هو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شيء فانا بمرسوم الامير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيد له وسقه وأخليه يروح في طريقه فقال له الوالي أنت بتقدف في وجهي وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الحجر يارجالة الصاري سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه و بلواشينة اللبان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر حتى تلعب اليه على بطونسته هيا قوامك خلوا جنب براوجنب جواقدام الخن وراء الصاري فاكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخوند اهو خنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين

وقيمره

وقيموه فلما أقاموه باس بدالامير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بحر اللبان فى الحلافى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الار بعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفا عند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهد سقالتك وأقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت أعبر هذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على أبوس

﴿الفصل العاشر فى نوادر جامعة﴾ سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان . وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس . وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف . وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عوات على بيع النصف الذى لى واشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها . وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث . وقيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال فاى آية قال ذرهم يا كلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان

خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له مايضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مافعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط أنه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وماعسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم و يتمسخر ويفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل مابدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ماحصل لى من الصدقات يكون له الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبى و بقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له مابقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الدعاء وآدابه﴾ قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ماصلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك و بكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا

دعاءنا

دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أي أقبل عبادة من عبدني فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة في الدنيا واما أن يكفر عن الداعي واما أن يدخره له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخرها له ثوابها واما أن يكف عنه من السوء بمثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد ادخره لك ﴿واعلم﴾ ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وان الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا لا كل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يؤثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط . ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء

لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كان زكريا اذا دعا ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فادوها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون الخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما . وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة . وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا أفشيت سرك فافشه الى فاني وفي واذا أقرضت فاقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما

تستجيب لعبدك فاوحى الله تعالى اليه ياموسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام . ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدو لكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقرب الله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله تعالى عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

﴿الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها﴾ كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم انى أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك أذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا باحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية . وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضى أن الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا أحسن شيأ من الدعاء فاسألك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركمانى لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعى حسدت

عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى . وركب ابراهيم بن أدهم فى سفينة فهاجت الريح و بكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم انى أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد الهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابى أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك . وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى أن الله تعالى يقول كيف أرحمه من شئ به أرحمه وقال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على على بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسيكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها فى كرب الا فرج عنى . ودعا اعرابى فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا . ودعت اعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا انجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا اعرابى فقال اللهم اصح ما فى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وامانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فانزله وان كان فى الارض فاخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه

(وقال أبو نواس)

أحببت من شعر بشار وكلمته * بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلى فى منازلنا * وجاور بنا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصريه كان يحبها ويتغزل فيها ونعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل

شئ

شئ وسمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك ملء السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار ولا تبذل جاهى بالاقتار فاسترزق طامع رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من أعطانى وافتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى . وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابنى فقالها فاوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه باحق بالدعاء من المعافى الذى لا يامن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فربنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فاتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولطمنا حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن على بن أبى زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم

الاعظم الذى اذا دعى به أجاب فقمت ليلة أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهى واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ماروى عن وهب أن ابن عباس رضى الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم انى أسألك يا من يملك حوائج السائلين و يعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به فى الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى تهنينى المعيشة اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحيه مكتوب اللهم انى أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذى ملأ الاركان كلها أن تكشف عنى ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدى الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به . حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فأتيت بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره ما دار رجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء وقال من دعا

به

به فى كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صباحى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد مادمت أنت فى الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى ودينى باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم . وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو . اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا استوجبه منك مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الى وأنا المسيء الى نفسى فبينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فى الذنوب فأسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلى على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم بقدرتك ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فأضيع برحمتك يا أرحم الراحمين . وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فايما عبد من عبادك أو أمة من اما ئك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها اياه فى مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أتحللها فأسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يا رب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك فانى لا شئ وأسألك يا رب أن تكرمنى

برحمتك ولا تهتك بذنوبي وما عليك أن تعطيني الذي سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام • وقال صالح المري قال لي قائل في منامي اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم اني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بها في شئ الا تعرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني أسألك بالعزة التي لا ترام والملك الذي لا يضام والعين التي لا تنام والنور الذي لا يطفا و بالوجه الذي لا يبلى و بالديمومية التي لا تفنى و بالحياة التي لا تموت و بالصمدية التي لا تقهر و بالربوبية التي لا تستذل أن تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين • وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة مقمرة وأظن اني قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفي ياعبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم اني أسألك بانك ملك وأنت على كل شئ قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط في شئ الا رأيت نجحه • وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال روينا عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبانا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن مناع الفزاري خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن الامام أبي محمد ابن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ابن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا تافأنا أهل ذلك المنزل فقالوا للنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابي وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما تمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الى فلما أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي ياهذا نسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد أتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طار ولا سبع ضار وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة ألم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب و يامعشر الجن

والانس

والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جدر بنا الى قوله شططا زاد البونى الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعد وامنها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فاذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البونى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبى أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقد رشايخ وهى على مار ويناه بل مار أيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات . وقال أبو العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشى يقول سمعت أبا زيد القرطبى يقول فى بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها الا هلى وعملت أعمالا ادخرتها لنفسى وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول يا عم هذه أمى فى النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمنى الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر فى نفسى ان قال يا عم هذه أمى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان امتحانى لصدق الاثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه . ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول يا شديد المحال يا عزيز أذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره . وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه انه كان يقول لولده يا بنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول يا موضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجى موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وفات حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يا مؤنس كل وحيد

ياقريب ياعتيد ياشاهد ياغير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحي ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لاتأخذه سنة ولانوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلي على محمد وعلى آله وأن تعطيني كذا وكذا انك على كل شئ قدير

وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البوني قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهي هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى
لابد أن ينشر ما كان طوى * جودا وأن يمطر ما كان خوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شئ ينتهي الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسا
من لاذ بالله نجى فيمن نجا * من كل مايخشى ونال مارجا
سبحان من نهفو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخطي ولايمنعه * جلاله من العطا الذي الخطا

(ومن المنظوم أيضا)

يامن يرى مافي الضمير ويسمع * أنت المعد لكل مايتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به يتشفع

(وقال آخر)

ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال في محكم التنزيل ادعوني
اني دعوتك مضطرا فخذ بيدي * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجيني

والطلق

واطلق صراحي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملنى * وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحى ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى * يامن له حسن العوائد
خفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريبا يا الهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئس * ت من الاقارب والاباعد
ثم الصلاة على النبى وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

﴿ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض﴾ دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا

اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله من الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تسجده وخير من الله تستمده . وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

﴿ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم﴾ دعا اعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتاوحته حتا وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا اعرابى على آخر فقال أطفا الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

ومادعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين

فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد . ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بر بوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا النفوس قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولت لنا نفوسنا وأعاننا شقوتنا وغرنا ستر ك علينا وأطمعنا فى عفوك برك بنا

فالآن

فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهي ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالي الهي أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذي دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والسبعون في القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل﴾

اعلم ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا ظبي بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق في تحصيله أنه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه له فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويهيء الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو بريء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكوت وحمل الرطب الى فيها وأنشد وا في ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما أرجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به ان تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالى أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية فى فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لوان رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن . وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد

مركبا

مركبا فاغتنم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجدك أو أجد من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الى ولم أر لها طالبا فاخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل . وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت . وحكى ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا للمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من أحد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة فلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق ان الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحقها فاخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروأة أعملها ولا أؤاخذه ببخله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فخط يده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى العلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى

الصانع برجو مكافاته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الأيام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل مايحتاج اليه وأكد عليه فى تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى أن عمل الزوجين وهو لا يزيد شيأ على الدرهمين فى كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش فى باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفى فعفى خرجت أطلب رزقى * وجدت رزقى توفى
فلا برزقى أحظى * ولا بصنعة كفى كم جاهل فى الثريا * وعالم متخفى

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ماعنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما فى قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له فى القضاء فاخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك فى انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس فى مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده فى آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثانى خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التى عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما فى يديها فاخذهما ليعيد نظره فيهما وفى حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فاسبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقنى الحق لاضربن عنقك فاصدقه الحق فامر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وماجرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه فى الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

(وقال آخر)

ماسلم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم
تجرى المقادير التى قدرت * وأنف من لا يرتضى راغم

﴿وقال كعب بن زهير﴾

لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى

يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة واهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل * لاينتهى ذاك حتى ينتهى العمر

روى فى الاسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يانبى الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدنى به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر فى الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يانبى الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين . ويروى أن رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محرورا فعلمت أن التدبير ليس للعباد . ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء فى الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعده فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشد وافى ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر)

أقام على المسير وقد أناخت * مطاياه وغرد حاديا ها
وقال أخاف غادية الليالى * على نفسى وان ألقى رداها
مشينا ها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت فى أرض سواها

(ولما قتل) كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طبا عا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهم فى قوله وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله . وحكى الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته أياما ففى بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة

اذذاك مسردبة بسرداب يمشى الماشى فيه قائما فمازال الرجل يمشى الأن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمنقلب فى يد الطالب وأنشد وافيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر
لانلت خيرا ان بقيـ * ـت ولاعدانى الدهر شر
ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

﴿الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار﴾

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون . ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياأيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة . وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بارض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده ومايصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب

مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال الله عز وجل علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ماشاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ به قد غفرت لعبدى فليفعل ماشاء وكان قتادة رضى الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما دائكم فالذنوب ، وكان على رضى الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وماهى قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشر احين يصبح وحين يمسى أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم انى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك من نفسى ثم لم أوف لك وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فاغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتى ولا ييأس من مغفرتى أشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت له وقال بشر الحافى بلغنى أن العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرنى فلا تكتبوها وان لم يستغفرنى فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فاوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبون معكم فجودوا بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل

ايديهم

أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحنا يا أرحم الراحمين فازلوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين . أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي ولقد أحسن من قال

أسيء فيجزي بالاساءة افضالا * وأعصي فيولينى جميلا وامهالا
فحتى متى أجفوه وهو يبرني * وأبعد عنه وهو يبذل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولاحال عن ستر القبيح ولازالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الباب والله أعلم بالصواب

﴿الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الامراض والعلل والطب والداء وما جاء في السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الامراض والعلل وما جاء في ذلك من الاجر والثواب﴾ روى عن عبد الله ابن أنيس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحبر الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذي بعثني بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا في فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله في الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء في الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لي كنه معرفته ولم يبق مني جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثوري يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية

ربك فاذكر الموت بهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه ماتشتهى قال ماترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ماتشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة﴾

قيل تسارر أبخر وأصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لاأدرى انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ماتصنعين بها قالت أميت الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسار أبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فسترسليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لايصلح للخلافة من لايقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

ياحب والرحمن ان فاكا * أهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ مسواكا * من عرفط ان لم تجد أراكا
لاتقربنى بالذى سواكا * انى أراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لاينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بان كنت أبرصا * وكل كريم لاأبالك أبرص

(وقال)

كفى حزنا أنى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وماذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه مافى الصوت مسلك

فان

فان سدمنى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

(ومما جاء فى العمى) ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن المغيرة بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل اعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب
لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال)

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتى سمعى وهاد فترى قلبى

(وقال)

ان ياخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

(وقال)

عزاؤك أيها العين النكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فالشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الأمل الكذوب
اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فأرسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال داء الأنبياء الفالج واللقوة قال

الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه الصلاة والسلام وأكثر مايعترى المتوسطين من الناس لأن الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لارماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية ألوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم وممن أفلج ابن أبى دواد قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبى دواد

وشجة عبد الحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى أمية وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه أثر فى جبهته قال أصبغ الله أكبر هذا أشج بنى أمية يملأ الأرض عدلا وقال أعور لأبى الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولاشئ فقال أما الشئ فالبصر كانا وأما لاشئ فالأعمى وأما نصف الشئ فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى التداوى من الأمراض والطب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيا من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خثيم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكننى أدعوك يا منزل القطر

﴿وعاد الفرزدق مريضا فقال﴾

ياطالب الطب من داء تخوّفه * ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى مايريد فالح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لأخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فأتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه

فحركوه

فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد فتنت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه أوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافى فاسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة ما تك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة . وفلج الربيع بن خثيم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب . ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت . وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشرب به لم يمرض فيها وعوفى من وبائها . واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار . وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع ما كله وقتيل أنامله

فكم أكلة أكلت نفس حر * وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام أثمره الاسقام . وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيأ مريئا فمن جمع بين ما بورك

فيه و بين ما فيه شفاء و بين الهنيء المريء يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين وينهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور . وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكو من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو باكل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة . وقيل كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء يا نبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية . وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فانت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فانت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فانت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى

كرمه

كرمه أو فى الحديث فانت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فانت السموأل بن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذاك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج . وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهى قارورتك لانه ماء ميت وأنت حى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فاحضر الطبيب فامره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك . وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فاحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فارسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزل مابك نخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن جعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم و يشد العصب و يحسن الخلق و يطيب النفس و يذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الافتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرئ مافيه ولا تأوالى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها . وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده انه اذا لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم مافيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى مايكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

﴿الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة . مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العوّاد على الملك فقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام و يتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم دعواله وانصرفوا . قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك مابك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة . ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لابك كلما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

(وقال آخر)

بى السوء والمكروه لابك كلما * أراداك كانابى وكان لك الاجر

(وقال عبد الله بن مصعب)

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم و يمرض كلبكم فاعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب . وعاد مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست أبالى * بعد من عادنى ومن لم يعدنى

(وقال على بن الجهم)

أراقد الليل مسرورا عدمت اذا * عيشى وأحدر عمى ليله وصبا
الله يعلم أنى قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

(وقال آخر)

اذا مرضتم أتينا كم نعودكمو * وتذنبون فناتيكم ونعتذر

(وقال

(وقال آخر)

أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العياده يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

﴿وعلى الثانى قول بعضهم﴾

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبرمن علينا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

﴿الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله﴾

(روى) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ، ومن وصية على رضى الله عنه لابى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاصى رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كافتنى رهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم أستطل حياتك لم أستبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا لى فراشا واسندونى وأوسعوا رأسى دهانا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى . وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على أبى دلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى اصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشران قلبى يحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى واجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم حاجته فكتبوا الرقاع ووضعناها بين يديه انه قبض منى ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه . قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين أهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفى الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرارى من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على أن الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك . وقيل بينما حسان جالس وفى حجره صبى

يطعمه

يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يامغرور في مهل
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة و بسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه و يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاصي دعا بغل وقيد وقال البسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فانت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن على ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة مايمر بظهر المجلود . وسمع أبو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فانا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما) احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة . وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

﴿وحكى﴾ ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام و يحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يانبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن يذهب بي الى الهند فامر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني أن تحمله الريح الى الهند فامرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم . وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحبيني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فخم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة . وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتفصح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أوضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى ان قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه

رحمه

رحمه الله . وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد ماضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمى عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ماترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخى جعفر وعمى حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون على يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلى لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد اذا أنامت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعنى فى حفرتى وخلنى وشانى وعليك شانك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابنى يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة فى بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا الضربت الذى فيه أعيناكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد فى حنجرته وهو يقول الحمد لله الذى لا يبالى أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله ثم بعد ساعة نفدت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

(وقال محمد بن هرون)

كانى باخوانى على جنب حفرتى * يهيلون فوقى والعيون دماتجرى

فيا أيها المذرى على دموعه * ستعرض فى يومين عنى وعن ذكرى

عفا الله عنى أنزل القبر ثاويا * ازار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

وكان يزيد الرقاشى يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكى حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره صالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وان يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتاسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى الصبر﴾

قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصاب بمصيبة وان طال عهدها فاحدث

استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغنى سأله ما فى يده أحبط الله ثلثى عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذى فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن . وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعنى قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اؤجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضى الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أول شئ كتبه الله فى اللوح المحفوظ انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليتخذ ربا سوائى وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما ثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكى يا بنتاه قولى اذا مات انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومنى وعن عطاء بن أبى رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بى فانها من أعظم المصائب وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعنى عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا فى النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفى وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه . وقيل ان معاوية رضى الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبى وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتانى نعى سيد شباب العرب فقال له ابنى أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة وعما قليل اصبر لحكم من

لا

لاتجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسى

فاوصيكما يا ابنى سدوس كلاكما * بتقوى الذى أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

(وقال)

أيا صاحبى ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم *

(وقال آخر)

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك (ولما) مات ذر الحمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا ومابى اليك من وحشة ومابى الى أحد غير الله من فاقة وماذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ياذر لولا هول المطلع لتمنيت ماصرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ماجعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا فرتته بحقك فقلت اشكر لى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ماقصر فيه من حقى فاغفر له ماقصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال ياذر قد انصرفنا وتركناك ولو أغنا عندك ما نفعناك . وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤادى فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتى أنى بنيت له بيتا فى الجنة

وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى﴾ روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة . واعلم ان التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهى من أحسن ما يستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه . واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى أن يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفى الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عدد اروى أن النبى صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمها الله أن الشافعى قد بلغه أن عبد

الرحمن

الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فمر بى مجوسى وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون . وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه باخيه ويسليه ما نصنع يا أخى والقضاء نازل والموت حكم شامل

وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعز يز على أن أخاطب مولاى معز ياوأ كاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجلت مولاى أن أفاتحه معز ياوأ خاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فبمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب و بنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه . وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بنى سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف . ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه اعرابى وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له . وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه . وكان لعلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزلت هذه العبرة لانصدع كبدى ثم انه لم يبك بعدها وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابى هذا فاجمعى أهل بلدك وأعدى لهم طعاما ووكلى بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة فى أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم

يدخل

يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها فى نفسه . ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزنى على الفضل فانا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضنى عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر . وممن جزع على ولده جعفر بن علية لما قتله الحرث قام نساء الحى يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين معى على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكى معهن فلم يرمأتم كان أوجع منه . وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح . ومما قيل فى التأسى والتسلى بالخلف عن السلف قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية فى والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حابا كا
لا رزء أصبح فى الأيام نعرفه * كمارزئت ولا عقبى كعقبا كا

(وقال آخر)

لا بد من فقد ومن فاقد * هيهات ما فى الناس من خالد

(وقال آخر)

تبصر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمرو

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم فى والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول
يغاث بها فى ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له فى تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس هذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعى عن قول الخنساء فى نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع

الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه و يتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يانفس لاتنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي * على أمواتهم لقتلت نفسي
ومايبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر)

ولولا الاسى ماعشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

(وقال آخر)

وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

(وقال آخر)

ومما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

﴿الفصل الثالث في المراثي﴾ لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ماروي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت على بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ماحييت كسير
أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك مابقيت يسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

﴿وقال آخر﴾

فقدت أرضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا
خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا
وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا *
حازما عالما حليما كريما * عائدا بالنوال برا تقيا *
ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان خليا
فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث فقال

ارقت

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
وبهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

(ولما) مات أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرين العيش لى * فالعيش بعدهم حرام
انى رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد *
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا يا بن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أفنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد *

(وقال آخر)

ولا أرتجى فى الموت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من خطب

(وفى المعنى لبعضهم)

لقد أمنت نفسى المصائب بعده * فاصبحت منها آمنا ان أروعا
فما أتقى للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح

وما كنت أدرى مافواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك مافاضت دموعى فان تغض * فحسبك منى ماتكن الجوانح
وماأنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثى بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(وقال آخر)

الى الله أشكو لا الى الناس انى * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ماعلى الدهر معتب

﴿وقال العباس بن الاحنف﴾

اذا مادعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن مابقى الدهر

﴿وقال آخر يرثى صديقه﴾

خليلى ماأزداد الاصابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلى لو نفس فديت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسى ومالياً
وقد كنت أرجو ان تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال)

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

﴿وقال آخر يرثى بعض أولاده﴾

وقاسمنى دهرى بنىّ مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * سبقتك اذ كنا الى غاية نجرى
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فاصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للخنساء اخبرينى بافضل بيت قلتيه فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فانت على من مات بعدك شاغله

لابى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا

والثلج

والثلج قد غطى الربا فكانها * من حزنها لبست عليه بياضا

﴿وقال آخر﴾

وليس صرير النعش ماتسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف

وليس نسيم المسك رياحنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

﴿وقال قاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك﴾

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عند ماعزت الى الصدف

﴿وقال آخر﴾

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابى وأمى وجهك المقبور

وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور

فالناس كلهم لفقدك واحد * فى كل بيت رنة وزفير

عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن أبى الحسين جديدا

أيسرنى عيد ولم أر وجهه * فيه ألا بعد الذلك عيدا

فارقته وبقيت أخلد بعده * لاكان ذاك بقاء لاتخليدا

من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤون مودة وعهودا

مت مع حبيبك ان قدرت ولاتعش * من بعده ذالوعة مكمودا

ماأم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليك وجفنها تسهيدا

ان نام لم تهجع وطافت حوله * فيبيت مكلوأبها مرصودا

منى باوجع اذ رأيت نوائحا * لابى الحسين وقد لطمن خدودا

ولقد عدمت أبا الحسين جلادنى * لما رأيت جمالك المفقودا

كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا

ولئن بقيت وماهلكت فان لى * أجلا وان لم أحصه معدودا

لاموت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا أتجاوز المحدودا

حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا

ماهد ركنى بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا

ياليت أنى لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقى الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفنى لم يزل محمودا
فلانظمن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذفقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكى كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب *
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين مافيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

(وقال الصدفى)

ياغائبا فى الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

(وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابنا له)

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم *

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(وله يرثى الامير يلبغا)

ألا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا

وما

وما عجبي الا لمن بات واثقا * بايام دهر ماوعى حق يلبغا

(وقال آخر)

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس فد أفنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثي صديقا له توفي وكان من الكرماء)

* مادرى نعشه ولا حاملوه * ماعلى النعش من عفاف وجود

﴿ولبعض الكتاب في ابن مقلة﴾

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام *

فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى

هلما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

فياقبر معن إ كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا

فتى عاش في معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا

ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

﴿وقال آخر﴾

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

﴿وقال آخر﴾

فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

﴿وقالت ريطة بنت عاصم﴾

وقفت فابكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر

غدوا كسيوف الهند ورادحومة * من الموت أعيا وردهن المصادر

فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر

ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عميه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فاوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم

الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك فالاعلى المنصور ولم يرى بعد ذلك اليوم راحة . وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها باهلها والزهد فيها﴾

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدى وأتى الى وادى من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى

عمر

عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا . وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها . وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باق

(وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك)

ما أنعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافية
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

ياواقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو * أن المفرط فى التزود نادم

لاتستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى مابيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر)

عن قليل أصيركوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

(وما أحسن ماقال عبد الله بن طاهر)

* أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يانفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

(وقال شرف الدين بن أسد)

يامن تملك ملكا لابقاء له * جمعت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

(وقال بعضهم)

وغاية هذى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره)

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء مايأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(وقال آخر)

فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن * بانك لاتبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الأمم الماضيه أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم

الالوية

الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تصعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم أكن لهم وحبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا بالسلام فان أينم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبد
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أمواهم ونواهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى ان أبا العتاهية مر ببدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع النفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى (وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزواله ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله

الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ماهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ماهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فاقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا خادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناظورنا فأجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناظورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله يا سيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى . وروى ان داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح فى الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله انا جياع فأوحى الله تعالى اليه أن ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبأذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها

من

من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يانبي الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال . ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فيا منا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حتى كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام وما تعد قلائل

(وقال) عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك أن تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بوبر تتير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

ياخل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار ستنضجه

فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدران المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهى هذه الابيات

بانوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم * فاسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم وصارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عنه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلا هما ثم مرا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاءا قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فانطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف

الثالث

الثالث فقال عليه الصلاة والسلام هي لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذي ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما في الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسي فوضع السم في الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل باهلها . وقال الهيثم بن عدي وجد غار في جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سبا بن نواس خدمت عيصو بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة يستنزلونني عن سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا . وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فبهابيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال مالم يجمعه أحد قبلي ولم أستطع أن أفتدي به من الموت اذ نزل بي ويروى في الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينا هو في سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله في أن تتكلم فانطقها الله له فقالت يا نبي الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتي فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشي عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذي منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

(وقيل في المعنى)

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا في حوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

(وفيه)

أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

﴿وحكى﴾ ان رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فاخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا . وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته انى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها على عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم)

أيها الربع الذي قد درا * كان عينا ثم أضحى أثرا
أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادي دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فالذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب . ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الأصابع

(ووجد مكتوبا على قصر بادأهله)

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وروى) ان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخر الأوان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور

أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب و به يختم الكتاب﴾

﴿ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم﴾

﴿الحديث الاول﴾

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه

﴿الحديث الثانى﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام

﴿الحديث الثالث﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك

﴿الحديث الرابع﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألف لم يعذبه الله بالنار

﴿الحديث الخامس﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات

﴿الحديث السادس﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل ان يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا

(الحديث

﴿الحديث السابع﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة

﴿الحديث الثامن﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة

﴿الحديث التاسع﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية

﴿الحديث العاشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة حاجة

﴿الحديث الحادي عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني مجلسا أكثركم على صلاة

﴿الحديث الثاني عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته

﴿الحديث الثالث عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد الا ويصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة

﴿الحديث الرابع عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد

﴿الحديث الخامس عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي على

﴿الحديث السادس عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة

﴿الحديث السابع عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة

﴿الحديث الثامن عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فى الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتى

﴿الحديث التاسع عشر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه

﴿الحديث العشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى أكثرهم على صلاة

﴿الحديث الحادى والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مالم يندرس اسمى من ذلك الكتاب

﴿الحديث الثانى والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى الصلاة على من أمتى فاستغفر لهم

﴿الحديث الثالث والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فانا برىء منه

﴿الحديث الرابع والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطؤن الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمى ولم يصلوا علىّ

﴿الحديث الخامس والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فاقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معى فى ميزانه وهو الصلاة علىّ فترجح ميزانه و ينادى سعد فلان

﴿الحديث السادس والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل علىّ فيه الا تفرقوا كتفرق قوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه

﴿الحديث السابع والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلى على

على أحد الى يوم القيامة الا بلغنى اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

﴿الحديث الثامن والعشرون﴾

عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح

﴿الحديث التاسع والعشرون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت ان أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فاكثر الصلاة على النبى الامى صلى الله عليه وسلم

﴿الحديث الثلاثون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرجها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فامره أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

﴿الحديث الحادى والثلاثون﴾

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

﴿الحديث الثانى والثلاثون﴾

عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

﴿الحديث الثالث والثلاثون﴾

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة

﴿الحديث الرابع والثلاثون﴾

عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

﴿الحديث الخامس والثلاثون﴾

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت

عنده فلم يصل علي

﴿الحديث السادس والثلاثون﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

﴿الحديث السابع والثلاثون﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم

﴿الحديث الثامن والثلاثون﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلي على الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه

﴿الحديث التاسع والثلاثون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة

﴿الحديث الاربعون﴾

نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علي فانه من صلى علي في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا و يا ابراهيم أعرض عن هذا و يا داود انا جعلناك خليفة في الارض و يا عيسى اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في أربع مواضع

اقتضت

اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم . الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولى لقال الاعداء ليس هو محمد فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد . الثانى قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولى لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم . الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة فى ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحد فى موضع واحد وله حكمة وهى ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه من بنى اسرائيل يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة التى أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه فى التوراة أحمد فما ناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد واعاذ كر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أى شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أى يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبس منه والسراج اذا كان فى بلد يملأ ذلك البلد نورا الان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله تعالى

عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم و بلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا فى زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى عدد ماذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

﴿يقول راجى غفران المساوى رئيس لجنة التصحيح بمطبعة دار الكتب العربيه الكبرى محمد الزهرى الغمراوى﴾

نحمدك اللهم على ما منننت من محاسن الآداب ووهبت من نظم لآلئ الحكم التى يسرت سبيلها لذوى الالباب ونسألك ان تديم الصلاة والتسليم على رسولك الدال على صراطك المستقيم سيدنا محمد الخاتم لأنبيائك وصفوة ذوى الهداية من أوليائك وعلى آله وأصحابه وكل متبع لجنابه أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف للعلامة الأديب والفهامة الاريب ذى النفس السامية والآداب الراقيه الشيخ شهاب الدين أحمد الابشهى قدس الله أسراره وأضاء فى الخافقين أنواره وهو كتاب حاز من الآداب خلاصتها ومن الحكم والطرف ومحاسن الطرف زبدتها يستغنى به الاديب عما سواه ويسرح النظر فى رياضه فيجد ما اشتهاه خصوصا وقد حسن الطبع شكله وعدل قده وقرب نيله وذلك بمطبعة (دار الكتب العربيه الكبرى) بمصر التى حازت من الدقة والعناية مايفوق الحصر مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بها وكان الفراغ منه فى أوائل شهر ذى الحجة من شهور سنة ١٣٢٧ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية آمين



﴿فهرست الجزء الثانى من كتاب المستطرف﴾

صحيفة

٢ الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته
٩ الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان
الفصل الاول فى الصدق
١٠ الفصل الثانى فى الكذب وماجاء فيه
١٢ الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق
١٣ الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء الخ
١٧ الفصل الثالث فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة
الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق
٤١ الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب الخ
٤٤ الباب الثامن والاربعون فى الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى الشباب وفضله
٤٥ الفصل الثانى فى الشيب وفضله
٤٨ الفصل الثالث فى العافية والصحة
٤٩ الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام
٥٠ الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب الخ
٥٦ الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وماقيل فى الوداع الخ
٦٣ الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه
٧١ الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه
٧٣ الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد
٧٩ الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك
٨٢ الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف الخ
٨٦ الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول

تحيفه
٨٦ الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه باهله
٩١ الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع
١٠٠ الفصل الثالث فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر
١٠٢ الباب السابع والخمسون فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح الخ
١١٠ الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا
١١١ الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم
١١٣ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم
١١٨ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل الخ
١٢٩ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ الخ
١٣٨ الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات
١٨٢ الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
١٨٧ الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتها
١٩١ الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيها من العجائب الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى ذكر البحار
١٩٥ الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون
١٩٧ الفصل الثالث فى ذكر الآبار
١٩٨ الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض ومافيها من الجبال والبلدان الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى ذكر الارض ومافيها من العمران والخراب
الفصل الثانى فى ذكر الجبال
١٩٩ الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها
٢٠٣ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها
٢٠٧ الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ
٢١٣ الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ
٢٢٠ الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى

صحيفه

٢٢٦ الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به وفيه فصول
الفصل الاول فى وصف العشق
٢٢٩ الفصل الثانى فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف
٢٣٤ الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق
٢٤٢ الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى الشعر
٢٩٢ فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك
٢٩٨ فصل فى الالغاز
٣٢٤ الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه
٣٣٣ الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة
٣٣٥ الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء
الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن
٣٣٨ الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه
٣٤٠ الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها
٣٤٢ الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى النهى عن المزاح والبسط والتنعم
٣٤٣ الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح
٣٤٥ الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه عشرة فصول
الفصل الاول فى نوادر العرب
٣٤٩ الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء
٣٥٠ الفصل الثالث فى نوادر القضاة
٣٥٢ الفصل الرابع فى نوادر النحاة
الفصل الخامس فى نوادر المعلمين
٣٥٤ الفصل السادس فى نوادر المتنبئين
٣٥٥ الفصل السابع فى نوادر السؤال

صحيفة

٣٥٥ الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين
٣٥٦ الفصل التاسع فى نوادر النواتية
٣٥٧ الفصل العاشر فى نوادر جامعة
٣٥٨ الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان
الفصل الاول فى الدعاء وآدابه
٣٦١ الفصل الثانى فى الادعية وماجاء فيها
٣٧١ الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل
٣٧٦ الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار
٣٧٩ الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى الامراض والعلل وماجاء فى ذلك من الاجر والثواب
٣٨٠ الفصل الثانى فى ذكر العلل كالبخر والعرج الخ
٣٨٢ الفصل الثالث فى التداوى من الامراض والطب
٣٨٧ الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت ومايتصل به من القبر وأحواله
٣٩١ الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى الخ وفيه فصول
الفصل الاول فى الصبر
٣٩٤ الفصل الثانى فى التعازى والتأسى
٣٩٨ الفصل الثالث فى المراثى
٤٠٤ الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها
٤١٤ الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ تمت ﴾

12400157
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0112400157
BUTLER STACKS

893.783
Ab811

DATE DUE

OCT 17 1985

FEB 3 1967

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58889191
893.783 Ab811
Mustatraf.